

الصلوة المبرورة في ردة أهل الغرور

(للمتوسل بالصادق الأمين)

« محمد الجانيبي المسكين »



يغيب الليل محوًا بالصباح
ويخفي القبح في حسن الملاح
ويُسَمِّحُ لأندراج الرياح
بوافيه يسوم الاقراض

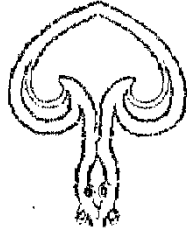
تصلي الله ربي من إله
ويزهق باطلا ويقيم حقا
ويفتس الفضل وإن تعالى
ويجهل كل ذي زبغ إلى أن



العمل المبرور ❀ في ردع أهل الغرور

(للمتوسل بالصادق الأمين)

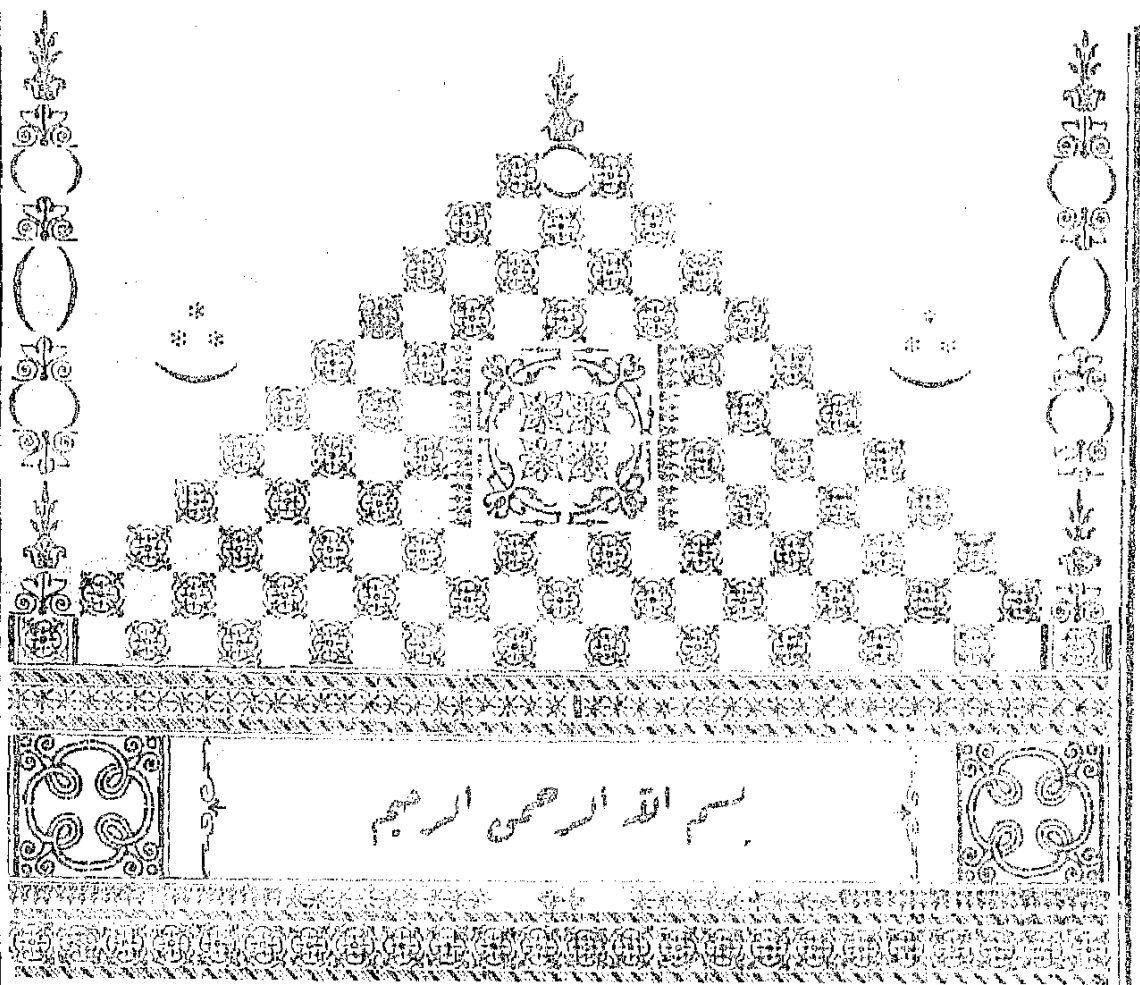
« محمد الجنبيني المسكين »



يُذِيبُ اللَّيْلَ مَحْوًا بِالصَّبَاحِ
وَيُخْفِي الْقَبِيحَ فِي حَسَنِ الْمَلَاحِ
وَيُسَلِّمُهُ لِأَدْرَاجِ الرِّيحِ
يُؤَافِقُهُ يَسُومُ الْإِفْضَاحِ

تَعَالَى اللَّهُ رَبِّي مِنْ إِلَهٍ
وَيُزْهِقُ بَاطِلًا وَيُقِيمُ سَقَا
وَيُفْتَرِسُ الْفَضْلَ وَإِنْ تَعَالَى
وَيُجْهِلُ كُلَّ ذِي زَيْغٍ إِلَى أَنْ





يا ماضي من وراء القلب آرائ	بسرّ رابطة تخفى عن الرائي
ألهم فتواذي صريح الحق يكفّه	نور يجيد به عن خبط عشواء
ولا تكنني إلى نفسي وغرّتها	ولا للمة غي ذات إغواء
إن الشياطين لا توحى زخارفها	إلا إلى كل همار ومشاء
قامت تحارب دين الله طائفة	إرشادها محض تضليل وإغراء
جاءت تدهن أهل الدين وهي لم	تسرّ كل إساءات وإيذاء
واليوم تعلن حربا حال مملته	كحال طليّة تطفئوا على الماء
لك الدفاع ومنك النصر عاجله	يرجي فتوّ قوي حسي ومعنائي
واجمل لقولي لسان الصدق مسربة	واحفظ من لغوتباني وأنبائي

يا مرشد الضال إرشدني لقائمة
 إن السفينة إذا لم يلبه سفة
 أي تابع الشر وازدادت حماقة
 وصاحب النية والدعوى يسر بما
 وأنت أعلم بالبلوي ومصدرها
 يا مالك الملك يا من شأن قدرته
 أرح عبيدك من قوم قد افتنوا
 واستسلموا لظنون ساء مسلكها
 وغرهم من رجال الدين أن لهم
 ومن طويل الثاني ما به أملوا
 لذلك ككل سفينة جاء يحطمهم
 ويملن الحرب لأعن أئمة مسبب
 إذ هم أناس شديد الطيش يلجؤهم
 باعوا الجنان بحر النار مذجهلوا
 تمر مر سريع السحب يحملها
 وهم كالي وجهه الجدة يعجزهم
 هل يقو من قويت في الزيف فقلته
 لهول يوم يشيب الطافل موقضه
 يوم مهول ألوا الأهواء تشغلهم
 مكائهم والمنايا نصب أعينهم

من السداد تزيل الداء بالداء
 عن الإسمات شأن الشين بالراء
 وهل يرث صياح عدو صماء
 يسي إن لم يذق آلام ضراء
 فمن سواك أرجيه لبوائ
 قهر القوي وتعزيز الأزلأ
 من الفنون بتاريخ وأنشاء
 فناوشونا بتشويش وغوغاء
 من واسع الحلم أرض ذات أرجاء
 أن تهدي بهداهم كل عمياء
 بنيا ضحية أغراض وأهواء
 بل محض طيش كما طاش ابن تيماء
 إلى استماضة آلاء بلاواء
 أن الحياة كطيف المفقن النائي
 ربح إذا هب يدعي ربح أنواء
 والكذب في الجدة من شأن الأجلأ
 على استقامة محزونة وبكاء
 كثير صغق وزفرات وإنهاء
 عنه ودائع أموال وإبشاء
 بهم تحاول أن تعدوا المرعاء

أَوْ أَنَّهُ الْمُرْتَشِي يَوْمًا بِرَشْوَاهُ
 وَأَنْ دَنِيَاهُمْ مِنْ غَيْرِ أَخْرَاءَ
 بَلْ غَادَرْتَهُمْ كُنْ تَأْمُرُوا بِأَفْيَاءَ
 وَمَا احْتَمَى نَائِمٌ مِنْ حَرِّ أَضْوَاءَ
 مِنْ طَيْشٍ لَبٍّ وَإِعْجَابٍ بِضَوْضَاءَ
 أَخْفُوا النَّدَامَةَ وَاشْتَاقُوا لِرُجْعَاءَ
 حِيَاضِهِ كَوُرُودِ الْبُهِمِ لِلْمَاءِ
 فَكَانَ كَالسَّمِ فِي جَوْفٍ وَأُصْمَاءَ
 إِلَّا تَتَّبِعْ تَشْخِيسَ الْأَطْبَاءِ
 مِنْ فَضْلِهِ بِسُكْرَامَاتٍ وَأَلَاءَ
 خَنُوا إِلَى الصَّبْرِ كَالْمُضْنَى بِمَفْوَاءَ
 حَاكُوا نَوَاحًا وَحَزَنًا كُلَّ وَرْقَاءَ
 طِبِّ الْقُلُوبِ الَّتِي تَبْلَى بِعَدَوَاءَ
 فَلَجَّةِ الْيَمِّ كَمْ أَوْدَتْ بِفِرْقَاءَ
 تَسْوَمُكَ السُّوءِ مِنْهُمْ كُلَّ فُتْيَاءَ
 مَا فَاتَهُمْ حَالُ طَاوُوسٍ وَحَرْبَاءَ
 سَابِقِ مَسِيئَتِهِمْ الْمَغْرَى بِبِأَسَاءَ
 وَاجْمَلِهِ تَذَكُّرَةَ يَارِبٍ لِلرَّأْيِ
 مَا بَيْنَ ضَالٍ وَمُضْلَالٍ وَخَطَاءَ
 مَا الدِّينُ إِلَّا لِمَعْتَبَرِهِ وَحَقِّقَاءَ

كَأَنَّمَا الْمَوْتُ لِلْأَلْمَابِ تَارِكُهُمْ
 خَلُّوا الْحَيَاةَ بَقَاءَ لَأَفْنَاءَ لَهُ
 فَاسْتَأْمَنُوا فَلَمْ تَحْفَظْ مَوَدَّتَهُمْ
 تَقْلُصُ الظِّلُّ فَاسْتَأْنَتِ رُؤُوسُهُمْ
 أَلْهَتَهُمْ عَنْ طَرُوقِ الْمَوْتِ غَاشِيَةً
 حَتَّى إِذَا الْمَوْتُ فِيهِمْ صَاحَ صَاحُهُ
 كَفَاهُمْ الزَّبِيعُ حَرِّ مَا نَاوَقَدَ وَوَرَدُوا
 ظَنَّتْهُ عَزَبًا فَوَافَقَتْهُ عَلَى ظُمَاءَ
 وَالزَّبِيعُ أَدْمَى وَلَكِنْ لَادُوا لَهُ
 هَلْ تَذَرُهُمْ يَافَتِي لَا وَالَّذِي ابْتَهَجُوا
 يَا حَبِيبَةَ الْقَوْمِ إِنْ أَشْبَاهَهُمْ مَرْضَتْ
 وَإِنْ أَحْسَوْا فَتُورًا فِي بَعَائِثِهِمْ
 تَمُودُوا الطَّبَّ طَعْلِيمًا وَتَجَرُّبَةً
 فَيَا صَرِيعَ غُرُورِ الْعِلْمِ كُنْ حَذَرًا
 وَيَا أَخَا الزَّبِيعِ لَا تَرْكُنْ إِلَى قَفَّةِ
 فَايَنَّهُمْ وَفَنُوبِ الطَّيْشِ مَهْلِكُهُمْ
 فَيَا إِلَهِي وَيَا عَسَوْنِي وَمَعْتَمِدِي
 وَابْطِشْ بِهِ يَاشَدِيدَ الْبَطْشِ مَتَقَمًّا
 فَإِنْ حَامَكَ يَا مَوْلَايَ صَبِيرُهُمْ
 وَاسْتَحَقُّوا الدِّينَ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ

فاصدع بمقتك يا مولاي قائمهم حتى ينام ضجيج الدّين والدّاء
فما دعوتك إلا بعد ما اجتمعوا على الضلال فشتهم بدهماء
قد دبروا المكر فاقطع أنت دابرهم وابد الدين وارحمنا برحماء
(لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)

طاشت الأبواب وضاعت الآداب وانتصرت الدنيا بفساق بنينا
على الآخرة ونام المسيي في مهاد مساويه وتناسى الساهرة وتمكنت سيطرة
سلطان الأهواء من عقول المغترين وأغلقت أبواب المتاب في وجوه السفهاء
وقيل بعدا للقوم الظالمين * وادعى الجهلاء العلم بمجرّد القليل من الإطلاع *
حتى حرموا بالدعوى الكاذبة مزايا الاستفادة وثمرات الإلتفاع *
وأصبحت اللسان أرفع معراج لمن يعم معالم المجد والشرف * من الأحداث
الذين صرق الطيش عن أفئدتهم وقاية النسيم ودرّوع الأسف * وما جنى
جانهم من ثمرات الإطلاع الا زخرفة القول وطلاقة اللسان * فأصبح
المُرشد للمسترشد منهم على الضلالة اكبر معوات * لانهم ما تجنبوا في
نصائحهم الا معالم الدين * ولا تحاشوا في خطبهم الا ماورد من الموعظة
عن سيد المرسلين * وما كان إرشادهم إلا إلى التشبه بأهل أوربا في اتباع
الشياطين والأهواء * والإستخفاف بأوامر عالم السر والنجوى * حتى
أصبحنا لا نسمع في بيوت المتمدنين من يقول لا إله إلا الله * ولا نرى من
ابنائهم ولا حاشيتهم من يعرف ان شجدا رسول الله ولقد استكبر كل ذي
منصب او مال أن يكون لربه من الساجدين * غافلا عن تهديد وعيد قوله
تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وما

أَكْبَهُمُ التَّمَذُّنُ إِلَّا مَجْرَمَانِ هِجَ الْإِعْتِدَالُ وَالْإِسْتِقَامَةُ * وَمَا أَوْفَقْتَهُمُ الْحَرِيَّةُ
الْأَمْسَارِ الْخِزْيَ وَمَرَارِدِ النَّدَامَةِ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنِ اتَّقَى
اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) يَوْمَ يُقَالُ لِلْمُتَكَبِّرِ فِي جَهَنَّمَ (فَقِ انْكَ انْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)
يَوْمَ يُحْشَرُ الْمَعْجِبُ بِجَاهِهِ وَمَنْصِبُهُ ذَلِيلًا خَفِيرًا * يَوْمَ تَكُونُ الدَّوْلَةُ لِلَّذِينَ
قَالُوا (إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غِيًوً سَاءَ قَاطِرُهَا) يَوْمَ يَكُونُ صَاحِبُ الْجَدَلِ
وَاللِّسَانَةِ أَسْوَأَ أَحَالًا مِنَ الْكُفَّارِ * يَوْمَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا مِنْهُمْ لِلَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَتَمَّ مَقْنُونٌ عَنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ * يَوْمَ يُقَالُ
لِلْكَافِرِينَ أَتَخْذُونَ بَأَيْدِي سَادَاتِكُمْ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَفَرِّجُونَ
(لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّمِيرِ) * يَوْمَ يُسْأَلُ الْفِيلَسُوفُ
عَنْ عِلْمِهِ مَنْ مَنِ اسْتَفَادَهُ « وَفِيمَ ضَيَّعَ أَوْقَاتَ عَمْرِهِ وَقَطَعَ آمَادَهُ » فَيَقُولُ
يَا رَبِّ إِنِّي أَدْرَكْتُ مَعْلُومَاتِي بِمَا أُوَدِّعْتَنِي مِنَ الْقَوِي * فَيَقُولُ لَهُ أَمَا
أُرْسَلْتَ لَكَ بِرِسَالَاتِي رَسُولًا صَادِقًا لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى فَمَاذَا الَّذِي اسْتَفَدْتَهُ
مِنَ الطَّبِيعَةِ وَعِلْمِ النُّجُومِ * وَقَدْ جَهَلْتَ آدَابَ عِبَادِيَّتِكَ وَحَقُوقَ رَبِّيَّتِي
وَأَنَا الْحَيُّ الْقَيُّومُ * إِذْهَبُوا بِعَبْدِ السُّوءِ إِلَى النَّارِ الْمَحْرُوقَةِ بِطَبْعِهَا فِي زَعْمِهِ *
ثُمَّ اسْحَبُوهُ عَلَى وَجْهِهِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ مِنْ أَكْبَرِ مَحْبِيهِ وَرُؤُوسِ قَوْمِهِ *
يَوْمَ يُقَالُ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرْ رَبَّهُ لَمْ تَنَاسَيْتَ مِنْ أَصْبَغَ عَلَيْكَ جَلَالُ النِّعَمِ * وَلَمْ لَمْ تَخَفْ
سَطْوَةَ بَطْشِ جَبْرُوتٍ مِنْ لَوْ شَاءَ لَعَجَلَ لَكَ غَوَائِلَ النِّقَمِ * أَمِنَ الْمَعْقُولُ
أَنْ تَقْبَلَ مَذْرُوتُهُ إِذَا قَالَ يَا رَبِّ غَرَّنِي الزَّائِفُونَ بِزُخَارِفِ أَقْوَالِهِمْ * أَلَمْ
يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْهَامِلُ مَنْ يَقُولُ لَهُ لَمْ لَمْ تَتَّبِعِ الْمُهْتَدِينَ فِي صَالِحِ أَعْوَالِهِمْ
وَمَحَاسِنِ أَعْمَالِهِمْ * أَمِنَ الْمَعْقُولُ أَنَّ يُحْشَرَ الْمُتَفَرِّجَ مَعَ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ *

كلاً والله لا بدوا أن يحشر مع من أحب وإن كانوا كافرين * ولكن
الفلاسفة يفكرون المحشر والحساب ويأولون من أنباء القيامة كلما جاءت
به آيات الكتاب

أولئك أقوام دهاهم غرورهم فطاشوا وداء الطيش أسرع قاتل
لذلك تراهم يسلمون نفوسهم لأهوائهم فليغبطوا كل جاهل
فما العلم عند الطيش إلا حيلة لزندقة أو فتنة للأسافل
وهل بعد ذم الاتقياء مذمة وهل خطاة عوجا كبغض الاوائل
الا فيبع الله الفتنة المرائية وأهلها فإنها هي منشأ الطيش ومبدا
الفتن وأساس الفسق وفزائكة الفجور ومولد الزندقة والزيف ومهرجان
الكبائر ومسريرة الاعوجاج ولقد تولدت من بطون شرورها مواليد
الشبه الفلسفية التي أفسدت العقائد وأمات القلوب القاسية وأظلمت
أسرار المتعلمين وطمت بصائر المرشحين وذهبت بنفوس ذوي الاطلاع
إلى حيث شاءت الاهواء وتركت السفلة لا يتناولون الا المعلومات الزيفية
ولا يركنون إلا الى الفنون الفلسفية وما زالت شياعين الجن والانس
تلمب بعقول الأغبياء حتى حلت بها وبين الطريق القويم وصرفت
بصائرهم وأبصارهم عن الصراط المستقيم ولقد دس أهل الجدل للناس
في زخرف القول سموم الزندقة حتى عدموا الاحساسات الذوقية وفقدوا
بقية ما كانوا عليه من الشعور بعظمة الإله القوي القادر وشديد انتقامه
وقد آمنوا مكره ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ونسوا الله فأنساهم
أنفسهم فغفلوا عن الموت وما وراءه وزين لهم الشيطان أعمالهم فارتابوا

فما جاءت به الرسل واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً
 وضلوا عن سواء السبيل وذلك كله وما وراءه من المهلكات الزينة ثمرات
 تلك الفتنة المشؤومة التي ماتت عقبها أفاضل العلماء العامين الذين أراحهم
 الله بملوت من شرور هذا الزمن الذي ضعف فيه الأيمان وقوى الزور
 والبهتان وماتت المروآت وحيت الكبائر والمنكرات فطهرهم ربهم من
 خبائث أحواله وقد كانت موتهم عاملاً قوياً في ظهور المفساد الفلسفية
 وانتشار الظلمات الزينة فجمحت في أودية الجدل قرائح اللؤماء وانطلقت
 في ميادين الزيف السنة السفهاء حتى امتلأت الأرض فجوراً وأصبحت
 الدعاوى كلها بهتاناً وزوراً وما تركت الكبائر قلباً إلا تقلبت به في أودية
 الملاهي وفقد الناس الحياء والأدب فتجاهس الفاسق بفسقه وتباهى المخمور
 بسكره وماستر الزاني ولا خجل السارق وأصبح السباب لا يستحي ولا
 يخاف ولا يتحاشى الزنديق مسيات أقواله ورقت الأحداث المنابر لوعظ
 الشيوخ والخوض في أعراض العلماء مع جهلهم الآداب وكفرهم بما
 جاء به الكتاب وما منهم من خطيب إلا وهو لا يدري كيف يتطهر ولا
 كيف ينام ولا كيف يأكل ولا كيف يبول ولا كيف يقف بين يدي ربه
 قال أبو محمد الفتح ابن سعيد الموصلي رضي الله عنه صحبت ثلاثين شيخاً
 يعدون جميعهم من الأبدال وما منهم من شيخ إلا وأوصاني عند فراقه
 إياك ومما شئت الأحداث وقال إبراهيم ابن ادهم رضي الله عنه صحبت
 الأشرار من الأحداث تورث سوء الظن بالأخيار وقال ذوا النون المصري
 رضي الله عنه إنما غلب الفساد على الأحداث من ستة أشياء ضعف الهمة

عن عمل الآخرة . والثاني طول الأمل مع قرب الأجل . والثالث ان
أبدانهم رهينة شهواتهم . والرابع أنهم يؤثرون رضاء المخلوق على رضاء
الخالق . والخامس اتبعوا أهوائهم ونبذوا سنة نبيهم وراء ظهورهم
والسادس جعلوا زلات السلف الصالح رضى الله عنهم حجة لأنفسهم
ودفنوا كثير مناقبهم

وقال أبو محمد المرتعش سمعت أبا الحسين ابن أحمد ابن محمد النورى
رضى الله عنه يقول لبعض اصحابه . عشرة وأى عشرة فاحفظ بهن واعمل
عليهن جهدا . اولها من رأته يدعي ان له من العلم حال يخرج به عن حد
الشريعة فلا تقربه . الثانية من رأته يركن الى غير أبناء دينه وجنسه فلا تقربه
الثالثة من رأته يركن الى الرياسة ويجب ان يكون ممظا فلا تقربه ولا
ترج له فلاحا . الرابعة من رأته يدعي العلم وهو محب للدنيا فلا تقربه فانه
يُقسي قلبك . الخامسة من رأته مستغنيا بعلمه فلا تأمن جهله فان خطاه
أكثر من صوابه . السادسة من رأته يدعي حالة باطنة مع ربه لم يشهد
له بها حفظ ظاهره فاتهمه في دينه فإن كمال الظاهر عنوان طهارة الباطن
السابعة من رأته يرضي عن نفسه ويزدري غيره فاعلم أنه مخدوع فاحذره
الثامنة من رأته يميل الى الرفاهية ويستغنى بالعلم عن العمل فلا ترج خيره
التاسعة من رأته كثير المزاح قليل الخوف من الله فاعلم انه مشوش السر
محروم من بركة التقوى . العاشرة من رأته مطمئنا الى اخوانه واصدقائه
مدعيا كمال الخلق بذلك فاشهد عليه بسخافة عقله ووهن ديانته

وسئل أبو عبد الله محمد ابن علي ابن الحسين الترمذي عن صفة

اشرار الاحداث فقال ضعف عن العمل ظاهر ودعوى عريضة وعلم مشهور وأدب مفقود ونفوس ترى نقصها كمالا وكال غيرها نقصا وقال ابوا بكر محمد ابن عمر الوراق رضى الله عنه اشر الاحداث من اكتفى بالكلام من المسلم وتعلم العلم ولم يتعلم الأدب وقال اذا غلب الهوى على طالب العلم أظلم قلبه واذا أظلم قلبه ضاق صدره واذا ضاق صدره أُنْفَضَ المتدبسين واذا أُنْفَضَهم أُنْفَضَوه واذا أُنْفَضَوه جفاهم واذا جفاهم صار شيطانا وقال من عشق نفسه عشق الكبر والحسد وعاقبتهما الذل والاهانة وانه شاهدنا مصداق ما قال . وقال ابوا سعيد أحمد ابن عيسى الخراز إن شر الناس من يكون مع نفسه على العلماء . وخيرهم من يكون مع العلماء على نفسه . وقال ابوا الحسين علي ابن سهل الاصبهاني ما وصل الضر الى الاحداث إلا من تعظيم نفوسهم واشتغالهم بتحسين ألقاظهم . وقال ابوا محمد احمد ابن محمد ابن الحسين الحريري رضى الله عنه من استولت عليه نفسه صار اسير هواه ومن أسره هواه حرم الله على قلبه الفوائد فلا يفهم عن الله خطابا ولا يعرف طريق الحق ولا يهتدي اليه سبيلا

وقال ابوا العباس احمد ابن محمد ابن سهل من حرم الأدب حرم جوامع الخيرات وقال شر العلم علم يورث الإعجاب بزخرفة القول ويجر الى الإعتقاد والإعتراض وسئل عن أقرب شيء الى مقت الله تعالى فقال الرضا عن النفس وازدهاء الغير وقال ابوا بكر محمد ابن موسى الواسطي رضى الله عنه إذا أراد الله هوان عبده ألقاه الى هؤلاء الجيف المنتنة أي شبان الاحداث فإنهم جعلوا سوء أديهم إخلاصا وشره نفوسهم

اقتصاداً ودناءة همهم جلالة وسوء جدلهم نصحاء وموعظة وهدوتهم إلى الضلال إرشاداً وتعليماً فمروا عن الطريق المستقيم فلا أدب ولا عبادة ولا حياة ولا خوف إن نطقوا فمن غضب وإن خاطبوا فمن كبر وإن سوء سفهمهم لينبيء غما في سويداء اسرارهم وشرهم بين مستور أخلاقهم ثم قال (قاتلهم الله أنى يؤفكون) وسئل أبو بكر عبد الله الأبهري ما سبب فتنة الأحداث فقال احتياج الخیار منهم إلى الاشرار ثم قال (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) وهذه هي أكبر فتنة افتتن بها طلبة العلم الأزهريون في السنين الماضية

وقال أبو بكر أحمد ابن محمد ابن أبي سميان رضي الله عنه من تمرض للمناظرة في الخطابة فقد أظهر لنفسه ثلاثة معائب أولها الجدل والصياح وهو منهي عنه وثانيها التعمالي على الخلق وهو منهي عنه وثالثها القدح في الأعراض وهو منهي عنه ومن أراد المناصحة الأدبية الدينية فليكن أول كلامه موعظة شرعية وأوسطه دلالة دينية وآخره معروف وبركة . وقال أبو عمرو محمد ابن إبراهيم الدجاجي كان الناس في الجاهلية يتكلمون بما تستحسنه عقولهم وطباعهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فردهم إلى الشريعة والإتباع فالمقل الصحيح هو الذي يستحسن ما استحسنه الشرع ويستقبح ما استقبحه الشرع والمفتون من اتبع في الموعظة هوى نفسه . وقال أبو عمرو إسماعيل ابن نجيد رضي الله عنه إنما تولد الدعاوى من سوء البدايه فمن صحت بدايته صحت نهايته ومن فسدت بدايته فإنه يهلك في نهايته من حيث لا يشعر ثم قرأ قوله تعالى (أفمن أسس بنيانه على

تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار
فانهار به في نار جهنم)

ومن أراد أن يتحقق صدق ما قاله ذلك الإمام وما جاءت به آيات
الكتاب الحكيم فليتأمل في أحوال من كانت بدايتهم التعليم الأوروبى
ليعلم آثار قدرة الله وحكمته وعمل القدر الذي يضطر المبدؤ من الذي
يمد نفسه من المسلمين إلى أن يسلم ولده الذي كتب الله عليه الشقاء وحققت
عليه كلمة المذاب إلى معلمين لا يعلمون الدين ولا يعقلونه ولا هم يهتدون وهم
في نظره هو العلماء والعقلاء ليقتضى الله أمراً كان مفعولاً

فالو أن في الأمة عقلاء لتنبهوا لما ساقه القدر إليهم من تلك الفتن
التي أكلت عكارم أخلاقهم وسحقت مآثر أسلافهم وذهبت بهمهم
وصرواتهم وخطفت أبصارهم وأزاحت قلوبهم وأظهرت فيما بينهم عجائب
الحوادث وغرائب البدع المهلكة حتى تمشيخ الصبيان وتصابي الشيوخ
وصعدت الزنادقة المنابر واتخذ الفساق الوعظ سبيلاً إلى التفاخر ومن الناس
من هو معجب بأقوالهم لاهياً عن سيئات أحوالهم وذلك مصداق قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله نفاذ أمر سلب من ذوى العقول
عقولهم

وإن منهم العالم الزنديق الذي يدعى أنه من أهل التحقيق وما تحقق
من الأخلاق إلا بما يمتعه الله ولا نطق إلا بما يمجج الشرع ويأباه وكلامهم
يدعون أنهم نصراء الدين وأنهم الآسفون على الإسلام وعلى المسلمين كذب
والله واقتربى على ربه المصدق والقائل وتمكنت الغفلة من السامع والناقل

قَالَ اللَّهُ إِنَّهُمْ لَجُنُودُ الشَّيْطَانِ وَأَعْوَانُ الْبَاطِلِ وَأَعْدَاءُ الْحَقِّ وَالسَّارِعُونَ فِي الْكُفْرِ
وَالدَّالُونَ عَلَى الْمُرُوقِ مِنَ الدِّينِ وَلَقَدْ فَعَلُوا بِالْدِّينِ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ سَفَهَاءُ الْمُبَشِّرِينَ
وَلَقَدْ قَامَ سَفَهَاؤُهُمْ وَقَدْ سَاعَدَتْهُمْ ظُرُوفُ الزَّمَنِ وَحَوَادِثُ الْفِتَنِ وَقَرَأَتْ
الْأَحْوَالُ فِي وَجْهِ الْعُلَمَاءِ مَاقَتِينَ لِأَعْمَالِهِمْ وَسَاخِرِينَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا
مِنْهُمْ سَفَهًا مَجِيًّا نَادَوْا عَلَيْهِمْ فِي الْأُمَّةِ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ جَهَنَّمَ وَتَنَطَّعَ ظَنَانٌ أَنْ
الْجَهَنَّمَ عَلَى الدِّينِ غَيْبٌ غَيْرُ مُسْتَوْرٍ وَذَنْبٌ غَيْرُ مَغْفُورٍ لِأَنَّهُمْ مَافَقَهُوا وَصَايَا
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ شَمُّرُوا فَإِنَّ الْأَمْرَ جَدُّ وَتَاهَبُوا
فَإِنَّ الرِّحِيلَ قَرِيبٌ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ السَّفَرَ بِمِيدٍ وَخَفَّفُوا أَثْقَالَكُمْ فَإِنَّ وِرَاءَكُمْ
عَقِبَهُ كَوْزٌ لَا يَقْطَعُهَا إِلَّا الْخَفُونَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ أُمُورٌ
شَدِيدَةٌ وَأَهْوَالٌ عَظِيمَةٌ وَزَمَانٌ صَعْبٌ تَمْلِكُ فِيهِ الظُّلْمَةُ وَتُصْهِرُ فِيهِ النَّفْسُ
فَيَضْطَرُّ فِيهِ الْأَمْرُونَ بِالْمُرُوفِ وَيَضَامُ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَأَعِدُّوا لِلذَّكَاءِ
الْإِيمَانَ وَعَضُّوا عَلَيْهِ بِالنَّوَاجِدِ وَالْجَاوِزِ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَكَرِّهُوا عَلَيْهِ
النَّفُوسَ وَاصْبِرُوا عَلَى الضَّرَاءِ تَقْبَضُوا إِلَى النِّعَمِ الدَّائِمِ

قُلُوا إِنَّ أَوَّلَئِكَ السَّفَهَاءُ عَقَلُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَايَاهُ
أَوْتَيْنَا مِنْ آثَارِهِ طَرِيقَ الْهُدَى لَمَّا مَقَتُوا الْمُتَمَسِّكِينَ بِدِينِهِمُ الْجَامِدِينَ عَلَى
مُتَابَعَةِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ وَلَمَّا خَالَفُوا طَرِيقَ أَعْلَمِ الْعُلَمَاءِ وَأَفْضَلِ الْأَدْبَاءِ فِي كُلِّ
نَصَائِحِهِمْ حَيْثُ يَأْصُرُونَ بِالتَّشْبِيهِ بِأَهْلِ أَوْرُبَا فِي التَّكَابُّ عَلَى الدُّنْيَا وَرَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذِهِ الدَّارُ دَارُ التَّوَّاءِ لَا دَارَ
اسْتَوَاءٍ وَمَنْزِلُ نَرْحَ لَا مَنْزِلَ فَرْحٍ فَمَنْ عَسَفَهَا لَمْ يَفْرَحْ لِرَحَاءٍ وَلَمْ يَحْزَنْ لَشِدَّةٍ
أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الدُّنْيَا دَارَ بُلُوٍّ وَالْآخِرَةَ دَارَ عَقْبٍ فَجَعَلَ بُلُوَّ الدُّنْيَا

لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً فيأخذ ليحطى
ويبلى ليجزي وإنها السريمة الذهب وشيكة الانقلاب فاحذروا حلاوة
رضاعها لمرارة فطامها واهجروا لذيق عاجلها لكريم آجلها ولا تسموا في
عمران دار قضي خرابها ولا تواصلوها وقد أراد الله منكم اجتنابها فتكونوا
لسخطه متراضين ولعقوبته مستحقين

فلينظر العقلاء الى موعظة هذا النبي الكريم الذي كان في أمة كانت
أقل الأمم عدداً وأضعفهم في الاستعدادات الحربية والاعمال التجارية
مدداً وعدداً وكان على يديه الفتح المبين وظهور الحق وانتصار الدين فلماذا
لم يأمر أمته بما يأمر به قومنا سفهاء خطبائهم وأراذل فلاسفتهم الذين
يزعمون ان تماقب الأزمان يستلزم تغير الأديان ويدعون ان تمسك العلماء
بما تناقلوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو السبب الأقوى في انحطاط
الأمم الإسلامية الى غير ذلك من التوقيفات التي تزي بالعلماء وتجعلهم
أسواء حالاً في نظر العامة من الجهلاء ولقد أوجد الله سبحانه وتعالى في
تلك الفترة التي فترها العلماء من أفراد الطائفة الفلسفية من كان نشيطاً ذاهية
غالبية ونفس قوية ومنطق منخرف حاضر الحجة والبرهان قوى الدليل
على اثبات ما يدعيه وإن كان كذباً ليقضي الله أمراً كان منفعولاً ويظهر من
ممكنون الغيب ما ظهره من زيف الزائعين وضلال المضلين حتى كانت الغلبة
للمتأسفين على العلماء وضعفاء المتصوفين بما لا فرادهم من القوة المنطقية
والتدبير الفكرية والماكات السياسية قائلين لحم إنكم أتم المعاول الهادمة
للدين الإسلامي وليس الذي أتم عليه هو الدين ولكن الدين وراء ذلك

ثم قالوا إن من يريد أن يستطلع طلائع الدين الاسلامي فلينظر إلى اعمال
أهل أوروبا واليتخلق بأخلاقهم واليمثل كأعمالهم إلى غير ذلك من التهورات
التي ما قصدوا بها إلا تحقير العلماء والأثقياء من المؤمنين حتى ربا ذلك
البذر الخبيث السيء ونما نبتة في القلوب القاسية الى أن أصبح العلماء في نظر
الامة أحقر من كل حقير وامسى كل تقي ممقوتا ووسمهم جهلاء الاحداث
بأنهم احجار عثرات في طريق التمدن كل ذلك والناس عن لذات هاتيك
الافاعي لا هون وعن تلك الضربات التي اماتت أفئدتهم ساهون

كأنما الناس صبيان يلاعبهم
أوفية من رطاع البدو يفترهم
فأصبحوا وهو الانعام تحشرهم
أو نسوة فاقدمات العقل ملن الى
واحسرتاه على فوى وقد فقدوا
كانهم وفتون الطيش يشملهم
أو أنهم فئة في الكفر قد نشأت
أو أن احمد لم تثبت رسالته
أو منزل الذكر لا تخشى إهانتة
وادهشتي وأولوا الالباب تهذرن
ومدعي العقل والاهام تسلمه
وهو قد النار في حر الهجير وما
أيام تملدوا عليه ككل عادية

مشعوزة في ضروب اللهو محسان
مخادع سيء الأخلاق خوان
إلى المذابح صبيحات وقضبان
من الفواحش يصبوا وهو ولهان
كل المكارم لا كنا ولا كانوا
من ملة ما لها بالله إيمان
وما أتاه من الرحمن قرآن
وما له في سبيل الرشيد تبيان
إن صدهم عنه طغيان وعصيان
من مرشد قام يهدي وهو حيران
إلى الظنون وبعض الظن خسران
فوق التصدي طرب الدين نيران
يؤزها لتسيء الدين شيطان

ومن أخ يدعي صفو الإخاء وما
 يفشى الممايب والآداب يسترها
 فهل نرجى وقارا أو نرى ادبا
 وهل تقوم لدين الله قائمة
 وهل يمود إلينا عن طاعته
 وهل نرى صفوه يملو كعادته
 والزائفون لهم في الناس منزلة
 والمسنون أناس لا خلاق لهم
 لأنهم فسقوا جهلا وما علموا
 لا يرتضي حال من يزعم بالهجرة
 كأننا الدين في أيدي تصرفه
 الدين ما زال يسمو في نزاهته
 الدين صبغة رب ليس يمتعه
 وصاحب الدين قهار ومقتدر
 فان أراد بنا التوفيق أرشدنا
 أولا فلازيع أبواب مفتحة

(يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن)
 لقد تمكن الطيش وطغيان الغرور من سفهاء الفلاسفة الطبيعيين حتى توهموا
 أنهم همو العقلاء وأنهم همو المصالحون (ألا إنهم همو المفسدون ولكن
 لا يشعرون) جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بدين قويم فجعلوه وعادوا

أهله وتمكنت المداوة والبغضاء من قلوبهم فقاموا يقبجون للعامة أعمال
الخاصة ويخوضون في أعراضهم وكانوا أشد من الكفار عداوة للسادة
الصوفية وذلك لأن الله سبحانه وتعالى من شأنه خلق الأضداد وقد جعل
الفلاسفة أضداداً للصوفية وجعل أفراد الطائفتين متعادلين في قوة المنطق
وزكا، الفطنة ومختلفين في البدايات والنهايات وفي العلم والعمل لأن بداية
الصوفية إيمان وتصديق ونهايتهم استسلام وتقويض وبداية المتفلسفين
محاورات وجدل ونهايتهم دعوي وغرور ثم معلومات الصوفية آداب دينية
وأخلاق كمالية ومعلومات الفلاسفة دورات فلكية واستكشافات طبيعية
وعمل الصوفية عبادات وقربات وعمل الفلاسفة تمهيداً لأغراض وغايات
وقد قال الله تبارك وتعالى (لا يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا
النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات)

والفارق بين الطائفتين هو أن السادة الصوفية أهل آداب وعمل
وطريقهم طريق جِد واجتهاد ولها شروط وصحة وشروط كمال ومن شروط
صحتها أن لا يأتي التلميذ شيخه إلا مجرداً من كل ما كان يعلمه من قبل أن يصل
إليه وأن لا يعمل عملاً إلا بأذنه ولا يتعلم إلا ما يلقيه إليه وأن يكون الشيخ
كامل العلم والآداب عارفاً بربه ونفسه خبيراً بشؤون تلاميذه قابضاً على أزمه
موازين الكلام الأدبية فلا ينطق إلا بالحكمة الدينية ولا يتكلم إلا عن علم
وأدب . وأما الطائفة الأخرى فلا طريق لهم غير طريق الشيطان وهي
الطريق التي لا عمل فيها ولا أدب وليس لها من أساس إلا الغرور والافتتان
ولا قاعدة لها غير اللسان والنفطة وليس لها من مسرب إلا الظنون

الوهمية والالوهام الخيالية لأنهم لا يعتمدون الا على جودة أفكارهم وسمعة
اطلاعهم وتصور مخيلاتهم وهذا هو اتباع الهوى الذي نهى الله عنه في
كثير من آيات الكتاب الحكيم . وأما الطائفة الاولى فخالهم في العلم مع
ربهم هو حال الملائكة إذ قالوا (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك انت
العليم الحكيم)

(مسألة)

كين تدعى أن طريق الفلاسفة طريق شيطانية وهم يقيمون على
وحدانية الله ورسالة رسول الله أقوم الأدلة وأقوى البراهين ويعلمون علم
الأخلاق وهم أهل النظر والاستدلال (الجواب) إنه لم يكن من
الشياطين من يجهل ربه ولا من يعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس
برسول ولم يخلق الله سبحانه وتعالى شيطاناً لا يحسن الجدل ولا يتقوى على
إقامة الأدلة على ما يدعي وما من شيطان يجهل مكارم الأخلاق بل هي
معلومة للصبيان والنساء وليس الشائب هو مجرد العلم ولكن الشأن هو
التخلق بحقائق العلم ومن العلم ما هو ديني أدبي ومنه ما هو نظري ظني
(وان الظن لا يغني من الحق شيئاً)

بيان ذلك أن الفلاسفة لما بحثوا من طريق النظر والاستدلال على
موجد هذه الأكوان لعلمهم أنه من المستحيلات وجود صنعة بغير صانع
وكان اعتمادهم في ذلك البحث على مدارك أفكارهم كانوا كمن يعمد بحمله
جواد جموح ومن كان هذا حاله كانت نهاية مسراه حيث يكبوا به جواده
فلما وصلت بهم مدارك أفكارهم إلى الطبيعة أحاطت بها ظلمات الجهل

من كل جانب ووجدوا من بين ايديهم سدًا من الحجب النفسانية والأغراض
الهوائية محكمًا (فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) وهذا
هو مصداق قوله تعالى (ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور)

وأما الآخرون فهم الذين ائتمروا بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ
بِهِ وَبَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فبحشوا عن التقوى كيف تكون وكيف
يكون الإيمان فأرشدتهم المرشدون من طريق الحكمة والأدب إليهما
فدأبوا على ما أرشدوا إليه من طريق إشارة قوله تعالى لئنبيه (واعبدوا ربك
حتى يأتيك اليقين) وعبدوا ربهم حتى ارتفعت عنهم الحجب وزالت
ظلمات البشرية وانكشف الغطاء وتحققوا بحق اليقين وناداهم رضوان
فراديس المعرفة سلام عليكم طبتهم فادخلوها خالدين

فكان مثل الفريقين كمثل قوم دعاهم الملك إلى أن يشهدوا مشاهد
إجلاله ومواكب عظمتهم ليعرفوا مكانة كبريائه فدأب الأُدباء منهم على
إرشادات أخصاء ذلك الملك من طريق واحد متجنبين كل شاغل يشغلهم
عما أرشدوا إليه من الآداب والأعمال حتى وصلوا إلى ما دعوا إليه
بسلام وقام الباقيون من أوائلك القوم طائفين حول ضواحي مدينة الملك
وفي افنائها معجبين بما يبدوا لهم من زخارف هاتيك الأماكن وما فيها
من مدهشات التراكيب ومحاسن النظمات الاختراعية حتى صدر إذن
الملك بانصراف كل من المدعوين إلى ما أعد لهم من المنازل كل على حسب
قابليته واستعداده فستل كل من القوم بما معناه هل تعرف الملك فكان

لكلّ منهم جوابٌ بحسب حاله الذي كان عليه وكانت المنازل بحسب الأجوبة
فقال الأولون بما علموا وعملوا وكانت الخيبة للآخرين

سمع تلميذٌ صوفيٌّ قول الله سبحانه وتعالى لنبيه (ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله له (قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على
بصيرة أنا ومن اتبعني) فقام يخبر نفسه تابعا من اتباع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليسأله عن ذلك السبيل ف قيل له ان لهذه الطريق أهل
سلكوها بالتسلسل يقود (السلف منهم إليها الخلف وهم أناس معلومون
فما زال يتفقد العلماء العاملين حتى عثر بأحد المرشدين فلما تمثل بين يديه
قال له إن السبيل التي تسألها هي الإستقامة التي أشار الله سبحانه إليها فيما
علمه لنا وأمرنا أن ندأب على طلبه بقوله في سورة الفاتحة (إهدنا الصراط
المستقيم) وقال له إنها طريق كثيرة العقبات والمخاوف ولا يجوز سالكها
إلا بمؤنس ورفيق ولا مؤنس فيها إلا الله سبحانه وتعالى فإن استصحبته
نجوت وسأمت وإن تشاغت عنه هلكت وندمت فقال له وكيف
استصحب من لا يحويه مكان ولا تمر عليه الأزمان فقال له إنك إذا تبرأت
من حولك وقوتك في جميع شؤونك واستعنت بحول الله وقوته فقد اتخذته
صاحبا ووكيلا (ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل
الله لكل قدرا) قال صاحب الحكم ابن عطاء الله السكندري ما توقف مطلب
أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك فقال التلميذ أشيخه
وهل هؤلاء الكفرة الفجرة كلهم متوكلون طالبون مطالبهم بربهم فتبسم
الشيخ ضاحكا وقال يا بني وهل في الكون رزاق غير الله أما سمعت قوله

تعالى (كلا نريد هؤلا وهؤلا من عطاء ربك) ونحن فيما نذكره لك إنما نريد مطالب المرفان التي لا تصل إلى مداركها الأفهام إلا بتعليم الله تعالى وإرشاده لا هذا المرض الزائل والهم المتواصل

قال التلميذ وكيف السبيل إلى معرفة الحق سبحانه وتعالى قال يابني إنه معلوم ولكن لا كالمعلومات التي يدركها طلابها بمدارك الحس لأنه معلوم لا يشبهه معلوم وإنه لصانع كل شيء وليس من شأن الصنعة أن تدرك الصانع ولكنه من شأنه أن يتعرف لقوم ويشكر عن آخرين وهو الظاهر الذي لا يخفى إذا ما تعرف والخفي الذي لا يظهر إذا تنكر فاطلبه به تجده عند أول قدم فقد قال رجل لمروف الكرخي رضى الله عنه أوصني فقال له توكل على الله حتى يكون هو معامك ومؤنسك وموضع شكواك فليس في الناس من يضررك أو ينفعك ومثل أبوا يزيد البسطامي رضى الله عنه بم عرف الله فقال عرفت الله بالله وعرفت مادون الله بنسور الله وقال ابن عطاء الله رضى الله عنه إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبالي معها إن قل عمالك فإنه ما فتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك وقال رضى الله عنه مطالب المارفين من الله الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية فلما سمع ذلك التلميذ من ذلك الاستاذ هذه النصائح رجع إلى نفسه قائلاً يخج خبذا هذا الأديب المارف والحكيم الناصح والطبيب المداوى والدليل المرشد فما عليك أيتها النفس إلا ملازمة أعتابه وأن تنسلكي في نظام أتباعه وأصحابه فإنه الناصح الأمين ومن ورثة حبيب رب العالمين

وأما التلميذ المتفلسف فقد طرق سمعه قول الله سبحانه وتعالى
لنبيه (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) وقوله سبحانه وتعالى
(أولم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان
يسمعون بها) وغير ذلك من الآيات التي وُجِّعَ الله بها عبدة الأصنام ليعلموا
أنهم على غير الحق وأن الله ما أهلك من كان قبلهم من القرون الذين
يمشون في مساكنهم إلا بسبب ذلك العصيان والجهل المهلك فلم يعقل ذلك
التلميذ لتلك الآيات الكريمة معنى لأنه لا بداية له تُساعده على أن يعقل
عن الله خطاباً فقام يتفقد من يقتدى به من الباغاء في فهم آيات القرآن
الحكيم فمثر من طائفة الفلاسفة بمن يظن أنه هو المليم الحكيم فسأله عن
حقائق ما تشير إليه تلك الآيات الكريمة وكيف يكون الاستدلال على موجد
الأكران وما هو السبيل إلى معرفته فقال له أمالك عقل تفقه به الأشياء
إذا أوقفناك على حقائقها قال نعم قال أمالك بصير ترى به ملكوت السموات
والأرض قال نعم قال أمالك أذن تعي ما يلقى إليها من القول قال نعم إذا
فعليك بالفنون الرياضية التي من أهمها فنُّ الحياة والتاريخ والإنشأ ولا
تفس نصيبك من المنطق لتحسن ما تقول وإياك أن تتخافل عن العلوم
الطبيعية فإنها معلومات متى أدركتها إلى النهاية وجدت الموجد هناك
فتقابل معه وجهاً لوجه فتعلم ما يعلم وتعمل ما يعمل ثم ألقى على سمعه من
زخرف القول ما تركه داهشاً لشدة العجب الذي أخذ بمجامع قلبه من
فصاحة ذلك المتكلم فقام من وقته مشتغلاً بما أمره به ذلك المرشد متوجه
التفكير والهمة والمزينة إلى تلك الفنون حتى أصبح كل علم سواها من العلوم

النافعة عنده ممقوتاً وذلك هو الضلال البهيم.

وأما طالب العلم الديني فقد قرأ قوله تعالى (فلولا نفر من فريضة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) فعلم أن التفقه في الدين من الواجبات الضرورية لكل عالم يريد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فسأل عن العلم الذي يكون به الإنسان متفقهاً في دينه ف قيل له هو العلم المعروف بعلم الفقه المدون في كتب الفقهاء وهو العلم المستنبط من كتاب الله والموافق لسنة رسول الله الذي أجمع جميع المؤمنين من السلف الصالح على صحته وموافقة أحكامه وآدابه للكتاب والسنة وهو النموذج الصراط المستقيم وعلى منصبته رفعت أعلام المنهج القويم فقال التلميذ وما هي معلومات ذلك العلم ف قيل له ما هي إلا العبادات التي تشمل على المفروضات وجميع نوافل الخيرات والمعاملات وما هي الا كل ما يحتاج إليه الانسان في معرفة ما أحل الله له وما حرم عليه فقال ذلك التلميذ وهل لطائفة الصوفية مجال في سبيل تحقيق ذلك العلم فقال المسؤول وهل يكون تصوّف بغير تفقه في الدين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد خيراً ففقهه في دينه وقال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه إذا نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع في الهوى فلا تفتروا به حتى تعلموا كيف تجردونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود آداب الشريعة وقال أبو الحنفص عمرو بن سلمة رضي الله عنه من لم يزن أحواله وأفعاله في كل وقت على الكتاب والسنة ولم يهتم بخواطره فلا تعدنه في ديوان الرجال وقال الجنيد رضي الله عنه وهو سيد الصوفية من

لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في طريقنا لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة وهل وقف المرشدون من أهل هذه الطريق على حقائق الآداب الدينية إلا من طريق النقل المتواتر الذي مبدؤه النبوة فقال السائل وهل للفلاسفة مدونات في الدين أو قدم في طريق البحث عن هذا العلم النفيس فتبسم السؤؤل متعجباً من جهل ذلك التلميذ بشؤون الفلاسفة ثم قال له يا هذا أما علمت أن أئمة الدين ما هم أئمة الفلسفة وأن المؤمنين لا يتناولون دينهم إلا من أئمة مؤمنين أولى علم وأدب وهم الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقوله (والمستغفرين بالأسحار) وقوله (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماماً) وقوله (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً) وقد ورد عن الإمام الأعظم أبي حنيفة أنه مكث خمسين سنة يصلي الصبح بوضوء المشاء ومن تفقد شؤون أئمة الدين في صدق العبودية وأداء واجبات حقوق الربوبية علم مكانهم من الدين ومكانهم عند ربهم وإن إخوان الفلسفة لا يتناولون معاملاتهم إلا من مثل كانت الفيلسوف الألماني الذي يسمونه الشيخ الكبير والفيلسوف كارو الأورباوي وهتري بترنجيه وفجان جاك روسو وأضرابه من القوم الذين يظنون أن الدين خليقة للإنسان أي خلقاً طبيعياً منطورياً عليه كباقي الحيوانات لأنهم لا يفعلون للدين معنى إلا الإعتدال في المعاملات الاجتماعية والأعمال المماشية وفي روابط التعاون والتآلف كالنحل مثلاً في أعمالها التي يدهش الفكر نظامها الذي يستبمد التهور بحصوله من مثل ذلك الحيوان الضعيف أو كفير

النحل من باقي الحيوانات التي أوتيت مزايا الاجتماع والتآلف والتعاون بطريق
 ربما تهسر سلوكها على النوع الانساني وإن قلنا إن من الأمم من يقاربها
 في تلك المزايا فلا نجد إلا القوم الذين ارتبطوا بالإخاء الإيماني الذي أشار
 الله إليه بقوله (إنما المؤمنون إخوة) وما من عاقل يعتقد أن هذه الفطرة
 هي الدين الإسلامي إلا من سبح في بحار الأفكار وحده فاستهوته الظنون
 السيئة وأحاط به موج الأوهام من كل جانب فأنحصر شعوره وإحساسه
 في مدارك جلية كاد أن يفرق فيها ولكنه نودي على لسان الحال بهاتف إشارة
 قوله تعالى (فاليوم نجيبك ببذنبك لتكون لمن خلفك آية) وما هي الآية
 فتنة للقوم الذين لا يفقهون ومن هذه الوجهة نادى بعضهم على الدين
 الإسلامي بأنه دين الفطرة وبعضهم سماه الدين الطبيعي والبعض قال إنه
 الحضارة الإسلامية وآخر سماه التمدن الإسلامي والله سبحانه وتعالى من
 ورائهم محيط ولسان الحق يناديهم بقوله تعالى (إن هي إلا أسماء سميتموها
 أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان) ويقول له المؤمنون (ولا تتبعوا أهواء
 قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) ويقول
 (إن يتبعون إلا الظن وما تهوي الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)
 فقال ذلك التلميذ وما الذي الجأ أهل الاطلاع من الفلاسفة إلى
 متابعة أقوام لا دين لهم وهم يتلون كتاب الله ويؤمنون برسول الله فقال
 المسؤول بهذا أما سمعت قول الله سبحانه وتعالى في حق أهل الكتاب
 (ثم يحرفونه من بعد ما علقوه وهم يعلمون) ألا ترى أن الكلمة أو الكلام
 من المتكلم تصرفه قوايل السامعين إلى معاني شتى فيبدي كل سامع من

المفهوم له ما سمحت به قابليته فكيف بكلمات القرآن الذي أشار الله سبحانه
وتعالى إليه بقوله (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين)

يا هذا إن أقوى سبب لمخالفة الفلاسفة لأهل الإيمان واليقين هو
ما أشرنا إليه سابقاً من أن الصوفية لا تقوم بدايتهم إلا على الآداب الدينية
التي تلقوها إليهم أساتذتهم من طريق الوراثة الحمدية ومن أشرقت بدايته
أشرقت نهائيه وقد قال ابن عطاء الله من علامات النجس في النهايات
الرجوع إلى الله في البدايات ولا يخفى ما في متابعة الأئمة الهداة المرشدين
من لئيم والبركة لأنه لو لم يكن في متابعتهم من فائدة إلا مخالفة الأهواء
ومجاهدة النفس الأمارة حتى تكون راضية مرضية كارهة للنقائص تائقة
لمزايا الكمال لكان ذلك هو الفوز العظيم لأنهم هم الأبطال الأبرياء الأسماء
الذين تحمي القلوب بذكرهم وهموا الخيرون بدسائس النفوس وغوائل
الطباع البشرية فلذلك ساموا وسلمت أتباعهم

وأما إخوان الفلسفة فهم القوم الذين لا يرجعون إلا لعقولهم وظنونهم
ويعتقدون أن الإنسان حر الضمير لا يقيده بقيد من القيود فلذلك فقدوا
آداب العبودية وما قاموا بحقوق الربوبية ففسد حالهم وهلكوا من حيث
لا يشعرون ولقد نادى عليهم القرآن بالخسران المبين في مثل قوله تعالى لنبيه
(قل هل تدبؤكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم
يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وأي إنسان أخسر صفقة من طالب علم أعجبه
نفسه فرضى عنها وتابع هواها فأخذ بمحنة الطيش إلى مصارع أقوام أضلهم
الله على علم فافتنوا بفنون ليست من الدين في شيء وذهبت بهم زخارف

أقوال المؤرخين الى مذاهب ليس لها غاية مؤمودة ولا خير يرجى ولا
تُكسب من ذهب اليها إلا استكباراً وعتواً وشركاً خفياً وضلالاً بعيداً
وطغياناً لا يشمر منه بمكر الله به حيث سد عليه باب العمل وفتح له باب
الجلد وأوكله الى نفسه وهواه ورزقه المقل وسلبه محاسن الأحوال وذلك
هو البلاء العظيم الذي كانت تخافه الادياء وتقر منه أكابر الأتقياء بإرشاد الله
سبحانه وتعالى وتعليمه (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) ولقد
اشتعلت نيران الفتن في هذا الزمن المظلم فتطاير شررها وتطاوت شرورها
وجاءت بأعجب الحوادث الدينية والدينية وما كان لذلك كله من سبب إلا
موت المروءة وفقد الحياء والخوف وتناول السفنة الزائعين واعجاب كل
متكلم بنفسه واستيلاء الحرص والطمع على أفئدة المتجاوزين أمماً كانوا
أو أفراداً وما اشتدت المداوة والبغضاء بين طائفتين أشد من اشتدادهما
بين الفلاسفة وبين المتدينين فقال المتدينون انما الفلاسفة قوم كفار
لا دين لهم وقال الفلاسفة انما الناس رجلان عاقل لا دين له ومتدين لا عقل
له وقد رضى كل منهما بما وصفه به الآخر فأصبح المتدين متمسكاً بدينه
راضياً بجنونه وأصر المتفلسف على كفره فأصبح تاركاً لفرائض الدين
جاحداً لآدابه ناهياً عن التمسك به بحكم الإشارة لا بلسان العبارة ثم سماه
جهوداً وتنطعاتهم استعان المتدينون على أعدائهم بربهم وانزوا عنهم في زوايا
الخلول والتواضع وتركوهم في طغيانهم يعمهون وأولئك هم المشار اليهم
بقوله تعالى (الذين قيل لهم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم

سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم)
 وأما المتفلسفون فقد استعانوا على المدينين بالسنتهم وبما جاء به
 القدر المقدور من مفهوم تهديد وعيد قوله تعالى (ولقد فرأنا لجهنم كثيراً
 من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها) فكانوا أنصار الفلسفة التي
 كادت أن تذهب بالدين وأهله لولا لطف الله ورحمته وعنايته بضعفاء المتدينين
 إذ حال بين الفريقين كما حال بين قيصر الروسيا وبين الخليفة الأعظم
 بالحاجز اليوناني والله لا يحب الممتدين

ولقد أيقن سفهاء الفلاسفة أنه لا رابطة بين السلف الصالح من هذه
 الأمة المحمدية وبين خلفهم في أمر الدين إلا دقة متابعة المتأخرين منهم
 للمتقدمين فيما توارثوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القول والحال
 والعمل وأن تلك المتابعة ما قويت إلا بمحبة الخلف للسلف واعتقاد صدقهم
 وأمانتهم وأنهم قوم صالحون وأن هذه المحبة ما استدامت وتتابعت آثارها
 إلا بإقامة شمائر التذكار عند مقابرهم وذكر مزاياهم ومحاسن أعمالهم
 وأحوالهم وما كان لهم من الكرامات فما وجد أولئك السفهاء طريقاً لحل
 تلك الرابطة إلا تقبيح تلك المتابعة والطعن فيها وتسميتها تارة تقليداً وتارة
 شركاً . ثم لم يجدوا ملجأً لقطع علائق تلك المحبة التي بين السلف والخلف
 إلا بتحريم زيارة قبورهم وجعل التوسل بهم إلى الله شركاً ومقت تقبيل
 أثنابهم والمقاصير التي حول قبورهم إلى غير ذلك من التشنيمات التي جاء بها
 أولئك النساؤون ايصرفوا قلوب العامة عن تلك المزايا التي جعلت للدين في
 القلوب مكانة عظيمة وألحقت الخلف بالسلف في صدق الإيمان وقوة اليقين

ثم ايقنوا أنه لا رابطة بين العبد وربّه إلا القيام بواجبات الفرائض الدينية واتخاذ النوافل سبيلاً الى مرضاته وسبباً لمحبهه والتوصل الى مصافاته مع التودد اليه بكثرة الذكر . فقاموا في وجوه العامة منكرين كل ما ورد من أحاديث الترغيب ثم قالوا ان كثرة الذكر مجلبة للجنون وأسروا المن تاهمهم من البسطاء أن الفرائض الدينية ليست تحت أهمية وأن الإنسان حر لا يقيد بقيد من القيود لأنه فاعل مختار ذوا عقل وإرادة وقدرة واختيار لا يقبل التكليف وذلك هو الضلال الحرمانى والكيد الشيطاني

ثم ايقنوا أنه لا رابطة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته إلا ما جاء به القرآن الحكيم من الأمر بالصلاة عليه ومن طلب المودة في القربي وعلموا أن أقوى رابطة ودية بينه وبين المقصرين منهم هي أنه الشفييع المشفع وأنه الواسطة المظمية بين الله وبين عباده فأجهدوا نفوسهم في إنكار الشفاعة والوساطة واستهزؤا بالذين دأبوا على كثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى محبة آل بيته الاطهار وجاؤا بما ساعدتهم على الإتيان بهسيات ظنونهم من التوبيعات الزبغية والتضليلات الفلسفية وتفنونوا في ذلك كل بمقدار ما أوحى إليه شيطانه من زخرف القول وسوء الظن وفساد الاعتقاد وإن الحق ليناديهم من وراء تلك التوبيعات بقوله تعالى (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرادكم فأصبحتم من الخاسرين) ذلك لأنهم ظنوا أن الله لا يقبل الشفعاء ولا يرحم أحداً من المذنبين إكراماً لأحد من المحبين وهذا هو الظن المهلك والمكر السيء الذي لا يحيق إلا بأهله وكفى بالباغين مقتاً ووبالاً وقوعهم في مصارع بغيمهم

وفما أَدَّخَرَهُ اللهُ لهم من الخزي والأخذ الويل وناهيك بمن لا يماذي غير
الضعفاء ولا يحارب إلا الأتقياء ولا ينجس إلا أهل الإيمان ولا يؤذي
الكل ذي عمل صالح ودعاء مستجاب من أرباب المهائم الذين استهزؤا
بهم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون والله ذو القائل
أتهمزأ بالدعاء وتزوديه * وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن * لها أجل والأجل انقضاء

ولقد أحدثت تلك الأضاليل وهاتيك التمويهات في قلوب كثير من
طلبة العلم وتلامذة المدارس ومن أغبياء الأغنياء شبيهاً وشكوكاً ذهبت بهم
في فساد العقائد إلى مذاهب لم يستطع إبليس أن يسلكها بأحد من المتدينين
في ثلاثة عشر قرناً من الهجرة النبوية إلى ما قبل الفتنة العرابية بقليل
فيالها من فتنة علا دخانها وتطير شرورها وهوت بأهل الأهواء في مهواة
الزبغ والزندقة أهواؤها حتى قست قلوبهم وفسدت عقائدهم وركنوا إلى
المنكرات وكبائر الفواحش فأصبحوا من أصحاب السعير وراء من تمدح بتلك
الفتنة المشؤومة حيث قال هذه نتيجة غرس غرسناه فأثمر فما لبث غير
قليل حتى قطع الله لسانه وأخرج زائغات الآفاق من واسعات الأحداق
وإنه لمبلى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى
وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد)

ألم يأن لعقلاء الأمة الذين إذا سئلوا عن دينهم قالوا إنما نحن مسلمون
أن يتدبروا أقوال كل متكلم في الدين ثم يزنها بالموازين العقلية والشرعية
حتى يعلموا مبدأ كل قول وغايته غير مغترين بالمزخرف منها فإن من

الملابس ما هو من زخرف جميل حتى إذا عرض على الماء زالت زخرفته
 وبدت لغسله عيوبه وإن من الثمرات ما هو نضر المنظر ولكن مذاقة حريش
 (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه
 وهو ألد الخصام) ثم يطابقوا بين أحوال المتكلمين وبين الآداب الدينية
 فإن ناقص الحال إذا أوقف نفسه مواقف الارشاد كان ضرره أكبر من
 نفعه . ألم يأن للعقلاء إن جاءهم فاسق بنبأ ديني أن يتبينوا الحقائق
 ليتحفظوا من خباثات ما تورطه المارقون من الدين من أحوال الشبه
 والضلالات الزيفية التي تلتقي بمن تورطها من جهنم في مكان سحيق
 ألا يعلم العقلاء أن السفه الذي جاء بعد ألف وثمانمائة سنة ينادى
 بأن أهل التصوف مجانين وأنهم كانوا كرؤوس الشياطين وأن الفقهاء
 لا دين لهم وأن المشتغلين بذكر الله أموات لا فائدة في حياتهم وأن
 المتكلمين الذين عابوا العلماء وازدروا الأئمة المجتهدين وسخروا بمن تابعوهم
 واستبدلوا الدين بالتمدن ثم تناولوا معلوماً منهم من قوم كفار لا خلاق لهم هو
 العقلاء ما هو إلا المعتوه الذي لا يحسن ما يقول والأحقق الذي لا يدري أنه
 أحق أمّا كان لما قل أن يقول له ما هو الدين الذي اعتنقته وما هي آدابك
 التي تأدبت بها وما هي العبادات التي تتقرب بها إلى ربك إن كنت مؤمناً وما
 هي المعاملات التي دأبت عليها فيما بينك وبين الله وبين الخلق فإن
 جاء ذلك المارق بغير ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الآثم الكفور
 وإن ادعى متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاها إلا ممن طعن
 فيهم وازدراهم وقبح للناس متابعتهم فإن كان الأول فهو الملقى بنفسه في

مهلكة قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على كذبا أو قال أوحى إليّ ولم
يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) وإن كان الثاني فقد
أحاطت به دائرة قوله تعالى (يعرفون نعمه الله ثم يشكرونها) وأكثرهم
الكافرون) ألم يأن للعقلاء أن يقولوا لذلك البهيم المنور أن كنت حينما
أجهد أفاضل المتقدمين نفوسهم في جمع ما وصل إليك من آثار النبوة
وآداب الشريعة وفي حفظه حتى وصل إليّ أهل زمك الذين أصبحت فيهم
شيطانا صريحا وما الذي حال بينك وبين مزايائهم حتى فضلت عنهم كإرا
ما تناولوا منقولاتهم إلا عن أقوام ذوي ظنون فاسدة وأوهام باعثة الميأان
للعقلاء أن يعلموا أنه لا رابطة بين سفهاء هذا الزمن وبين كفار الأزمان
الغابرة إلا تشابه القوابل والاستعدادات المشار إليه بقوله تعالى (كذلك
قال الذين من قبلهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يفتقون)

ولقد كان من سيئات أعمال أولئك المفسدين أن أوقفوا بين
المتدينين وبين أرباب النفوذ من السياسيين حتى مقتوهم ونادوا عليهم
بأنهم أهل جود وتنطع فتوهم المتدينون أن كل أورباوي إنما يعمل على
هدم قواعد الدين وأركانه وأن الفلاسفة ما هم إلا مساطون من قبل
الأورباويين كالمبشرين فلذلك كانت لهم المكانة العظمى في قلوبهم
ثم ظن الأورباويون أن كل متدين يبغي كل أورباوي ويتنى له
سوءا فلذلك كان كل متدين عندهم ممقوتا وما كان هذا ولا ذاك إلا
من تدليس المتفلسفين ونشر باطيل الأقاويل التي آذوا بها أتقياء هذه
الامة وأكابر علمائها ولو أن أرباب النفوذ من الأورباويين تحققوا ما عليه

المتدينون من سلامة القلوب وصالح النوايا والتباعد عن الفتن ومراعاة
الذمم وحفظ الجوار ومسالمة القسود ونسبة العمل كله لله وعدم التفرغ
للشؤون السياسية وعجبتهم لمن يعينهم على أمر دينهم لأحبهم واتخذوا
الميل اليهم وسيلة الى استجلاب قلوب الأمة كما هي عادة الملوك وشأن كل
سياسي يرى الظلم قبيحاً والعدل حسناً ويجب المسالمة ويغض الغدر والمخادعة
ولكن الفتنه الفلسفية قد حالت بين الفرقين (وكان أمر الله قدراً مقدوراً)

﴿ ايضا وتنبه ﴾

إنما أنكر السفيه من الفلاسفة الروابط التي ذكرناها من قبل ثم عملوا
على حل عروتها الوثقى لأنهم وقفوا عند ضواهر المعلومات الطبيعية من
طريق النظر والاستدلال ولم تساعدهم الاستمدادات والقوابل على الوصول
الى العلم بما وراء الموائم الكونية فظنوا أن كل ما لا يدركه الحس لا وجود
له وأن كل ما لا يُحيط به التصور لا يد وأن يكون مستحيل الوجود وهذا
هو الجحود الذي الجأهم الى الإصرار على أن الوجود كله طبيعي مركب من
عالمين علوي وسفلي والأول هو مصدر الأرواح والثاني هو منشأ الأشباح
وأن الأرواح من شأنها أن تعلم فإذا تغافلت عن العلم حال ارتباطها
بأشباحها كانت معذبة بجهلها بعد انحلال تلك الرابطة وإن هي لم تغافل عن
العلم كانت منعمة به بعد مفارقة الأشباح ولقد كان ذلك الطيش سبباً
لأنكارهم البعث والنشور بعدما أقام الله سبحانه وتعالى البراهين القاطعة
في القرآن الحكيم على أنه سيُعِيدُ الأجسام كما بدأها ولكن أهل النور
كذبوا ذلك وزعموا أن ما كان مبدؤه مادة كونية وغايته فساد طبيعي

لا عودة له ولا رجعة بعد فساد المادة وانحلال التركيب وإن هذا هو الضلال البعيد ولا ادري كيف ساع لهؤلاء الضلال أن يكذبوا الله سبحانه وتعالى ورسله وكتبه مع اعترافهم بأن فوق كل ذي علم عليم وأنهم ما أوتوا من العلم إلا قليلاً وأن أعقل المقلاء منهم لم يصل عقله إلى الإحاطة بمجائب جسمه علماً فكيف يتمكن من إدراك ما ليس له به علم أوليس الذي أوجد المادة التي كان منها التكوين بقادر على إعادتها بعد فسادها كلاب هو القادر وقد أقام أقوى الحجج والبراهين على اقتدار قدرته وإتقان تصرفات حكمته ولكن سفهاء الأحلام وأسراء الفروور من عاداتهم إنكار كل ما جهلوه كما أنكروا كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء ولكنهم ما وجدوا من أنفسهم قدرة على مقاومة الرسل وعلى إنكار ما جاءوا به من الحق المبين فاعترفوا قهراً بأن للكون موجداً ولكنه لم يكن كما يقول المتدينون مع أنهم إن سألوا عنه لقالوا أنه هو مرسل الرسل ولكنهم يقولون بالسننهم ما ليس في قلوبهم وذلك شأن المدعي الذي لا برهان له إذا أخجله الخزي وعجز عن إثبات ما يدعيه فاذك قالوا بأن هناك دين ولكنه غير دين المتدينين وما ذلك إلا ليوقعوا في قلوب الغافلين الشك والارتباب ومتى حصل الشك بطل اليقين ومتى بطل اليقين ضاع الإيمان ومتى ضاع الإيمان أصبح الإنسان فيلسوفاً منوراً تجميع به نفسه وفكرته حيث شاء الهوى وهذا هو المسلك الذي نهى الله عنه أنبياءه بمثل قوله لداود عليه السلام (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) وقوله (لموسى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردي) ولقد مدح محمد صلى الله عليه وسلم

بقوله (وما ينطق عن الهوى)

ثم ما حمل القوم على اجتهاد نفوسهم في تمزيق شمل تلك الروابط الدينية الاشددة الخزي والخلجل الذي التحق بأسلافهم من قبل فانهم علموا من قرائن الأحوال أن العالم الذي لم يعمل بملئه في جانب العالم العامل كالعذرة المجاورة للرياحين وأن الناس وإن كانوا على جانب عظيم من الجهل لا يميزهم التمييز بين العالم المحبوب لربه وبين الممقوت المبغوض عند مولاه . فلذلك اتخذوا سبيل السفسطة مهرباً من كآبة الخزي والخلجل حتى لا يظهر للناس كفرهم فيمقتوهم ولكن السبب رهيئة أسبابها فكما أن الحياة سبب للموت فكذلك الفسوق سبب للخزي والخلجل وقد قال الله تعالى لنبيه (قل إن الموت الذي تفرئون منه فإنه ملاقيكم) فكذلك لا بد من الخلجل والخزي لمن انكر الحق وتمسك بالباطل ولا حق الا ما جاء به الرسل ولا باطل الا ما يخالفه وسيأتي بيان ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الإجمال والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم أيها المغرور ان كنت الذي * لم يزل في الناس يسعى بالفساد تدعي العلم على جهل وما * صبح اعجاب بعلم يستفاد ليس ما تعلم علماً نافعاً * انما العلم قرين للرشاد وهو موهوب من المولى لمن * فاز بالفضل بما فوق المراد تالله لقد أضرت بالقوم زخرفة الاقوال . وغفلتهم عما هم عليه من سياآت الاحوال . وما ذلك الا لاستحكام القسوة في قلوبهم . وعمى ابصارهم عن عيوبهم وذلك والله هو الخسران المبين . فما مثاهم إلا كمال

النسوة يدعين كل المعرفة وهن نافصات عقل ودين . ومع قدارة الحيض
يتبرجن ويتزين بأنواع الزينة للناظرين وما فوق زخرفة المقال غرور .
ولا وراء رضا الأحمق عن نفسه شرور . وهذا هو الوبال الذي مقتته القرآن
وحذرت منه الحكماء ونهت عنه الأتقياء . قال ابن عطاء الله السكندري
رضي الله عنه اصل كل مصيبة وغفلة وشهوة الرضا عن النفس وقال لأن
تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن
نفسه ثم قال فأي علم لعالم يرضى عن نفسه وإي جهل لجاهل لا يرضى عن
نفسه وقيل لأبي يزيد البسطامي متى يبلغ الرجل نهاية الوقار والتواضع فقال
إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى أن في الخلق من هو شر منه وقال
رجل لأبي حامد أحمد ابن خضرويه ارضني فقال له أمت نفسك حتى تحبي
وقال أبو حفص عمرو ابن سلمة ألتفت إلى نفسك كلها ظلمة وسراجها سرها ونور
ذلك السراج التوفيق فمن لم يصبجه التوفيق في سره كان كله ظلمة وما
أسرع هلاكه من لا يعرف عيب نفسه وقال رضي الله عنه من لم يهتم نفسه
على دوام الأوقات كان مغرورا ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد
اهلكها من حيث لا يشمر وقال أبو علي أحمد ابن عاصم الأنطاكي رضي
الله عنه إذا أردت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك واعمل على أنه
ليس في الأرض غيرك ولا في السماء غير الله يريد رحمه الله بذلك أن
لا يشتغل الإنسان بعيوب غيره فإن الإنسان إذا لم يوقفه الله على عيوب نفسه
ودسائسها ينقضي عمره وهو جاهل بنفسه فكيف به إذا اشتغل عنها بعيوب
الناس وقال منصور ابن عمار رحمه الله سلامة النفس في مخالفتها وبلاؤها في

متابعتها وقال ابو صالح حمدون ابن احمد القصار رضي الله عنه من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون فقد تمسك بمروة الكبر من حيث لا يشعر وقال لأصحابه من استطاع منكم ان لا يمي عن نقصان نفسه فليفعل وقال نهاية معرفة الإنسان نفسه ان لا يرى أن لأحد عنده حاجة لافي الدنيا ولا في الدين لأن من يرى أن الناس في احتياج إلى إصلاحه وإرشاده فقد انزل نفسه منزلة لا يستحقها وكان من المتكبرين وقالوا ابو عثمان سمع ابن اسماعيل رضي الله عنه لا يتولد العجب الا من رأى النفس والتمدح بأعمالها وقال أخوف من الله يوصلك الى الله واعجابك بنفسك يقطعك عن الله واحتقار الناس في نفسك مرض عظيم لا يداوى وقال من جل مقداره في نفسه صغرت أقدار الناس عنده ومن صغر مقداره في نفسه جات مقادير الناس في قلبه وقال من رضي عن نفسه كان المعجب ضجيمه وقال علي رضي الله عنه الإعجاب عذو الصواب وآفة الألباب وقال الفيض ابن عياض رضي الله عنه من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب وقيل له ما التواضع فقال

أن تخضع للحق إذا صادم أغراضك وهواك وقال ابو سليمان عبد الرحمن ابن عطية الداراني رضي الله عنه من رأى لنفسه قيمة لم يثق بحلاوة العبودية وقال ابو علي احمد ابن عاصم الأنطاكي رضي الله عنه من علامة جهل المريء بنفسه أن يكون قليل الحياء والخوف وقال منصور ابن عمار الناس رجالان عارف بنفسه فهو مشغول بمجاهدتها وتهذيبها وعارف بربه فهو مشغول بخدمته وخشيته ومن لم يكن كذلك فهو الظالم

الجهول قال الجنيد رضي الله عنه قمت لوردي ليلة من الليالي فلم أجدهما كنت
أجده من الحلاوة فأردت أن أنام فلم أقدر وأردت السجود فلم أطق
ففتحت الباب وخرجت فإذا أنا برجل ملتف في عباءة مطروح على الأرض
فلما أحس بي رفع رأسه وقال يا أبا القاسم إلى الساعة فقلت ياسيدي على
غير موعد فقال بل سألت عورك القلوب أن يحرك لي قلبك فقلت وما
حاجتك إلي فقال متى يصير ذاء النفس دواها فقلت إذا خافت هواها
صار دواؤها دواها فقال لنفسه اسمعي قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات
فأبيت إلا أن تسمعيه من الجنيد وقد سمعت ثم انصرف عني وما عرفته
وقال أبو عثمان سميد ابن اسماعيل ابن سميد ابن منصور النيسابوري
رضي الله عنه من أمر السنة على نفسه قولاً وعملاً نطق بالحكمة ومن أمر
هواه على نفسه نطق بالبدعة واعتنق الباطل وهو يظن أنه على الحق ثم
استشهد بقوله تعالى مشيراً إلى نبيه (وإن تطيعوه تهتدوا)

وقال أبو الفوارس شاه ابن شجاع الكرمانى ما أعجب عبدٌ بنفسه إلا
وهو محبوب عن ربه . وقال محفوظ ابن محمود رضي الله عنه وكان من
أصحاب أبي حفص النيسابوري رضوان الله عليهم لا تزن الخلق بميزان نفسك
وزن نفسك بميزان اتقياء المؤمنين لتعلم فضلهم وإفلاسك وقال رحمه الله
من ظن بمسلم فتنة فهو المفتون وقال أكثر الناس خيراً أسلمهم صيدراً
للمسكين وأكثر الناس شراً أعلمهم بميوهم وقال من ابصر محاسن نفسه
ابتلى بمساوى الناس ومن اتهم نفسه شغلته عيوبه عن عيوب غيره . وقال
أبو بكر محمد ابن حامد ابن محمد ابن اسماعيل ابن خالد الترمذي

ما استصغرت احداً من المسلمين الا وجدت نقصاً في ديني وشرقي . وقال
ابو علي محمد ابن عبد الوهاب المتقني لاشيء أولى بأن تزجره من نفسك
ولا شيء أولى بأن تغلبه من هواك . وقال ابو عبد الله ابن منازل من رأى
نفسه عند الناس منزلة يجب عليه ان يحتقرها والاهلك من حيث لا يشعر
ومن رأى نفسه فوق غيره فهو من الجاهلين ألا ترى أن ابراهيم عليه
السلام لما اتخذه الله خليلاً قال (وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) وما
اغتر بالخلة ولا رأى نفسه فوق بنيه في المنزلة

وقال رضى الله عنه افضل اوقات الإنسان وقت سلم فيه من إعجابه
بنفسه ووقت سلم الناس فيه من سوء ظنه . وقال ابو الخير الأقطع
المعروف بالتباني الدعوى رعونة في النفس لا يحتمل القلب إمساكها فيلقها
الى اللسان فتتطابق به السنة الحقاء فتردها العقلاء وتقبلها المجانين ثم قال
ان الاعمى لا يعرف ما عرفه البصير من محاسنه وقبائحها . وقال ابو الحسن
على ابن محمد المزين المعجب بعمله مستدريج والمستعجب لشيء من احواله
مذكور به والذي يرى الناس دونه احمق والواعظ بغير ما جاء به رسول
الله صلى الله عليه وسلم مفسد والدال على الدنيا شيطان والواقع في اعراض
المسلمين سفيه ممقوت

فلو ان العقلاء تفقدوا نصائح السعداء الأتقياء الأمناء الذين استأمنهم
الله على اسرار حكيمته وجعلهم اعلام المسترشدين الى سبيل رحمته لتبينوا
الصراط المستقيم ولتحققوا احوال النصحاء وبرزوا بين الناس المخادع
وبين الأمين الناصح ولو انهم تفطنوا لما كان في زخارف هاتيك الاقوال

من التوبيعات الزينية والساس الفلسفية التي اتخذها اسلاف المتفلسفين
معاويل لهدم الاساسات الدينية ومطايا لضعفاء الإيمان من أتباعهم
ليتورطوا بهم أو حال الشكوك ويوقعوهم في مهوالة الشبه لأخذتهم الرأفة
يسطاه العامة وأغبياء الأغبياء الذين نسفت تلك التوبيعات عقائدهم الإيمانية
نسفاً فأصبحوا لا يخشون الكبار من الذرب ولا يفارقون صغائرهما حيث
لا خوف من الله ولا حياة وقد تجاهروا بالمصيان وتباهوا بالمخالفات فتراهم
لا يستعملون في شتائمهم الأسبب الدين ولا يميون في مجتمعاتهم غير اتقياء
المسلمين ولا لجأهم الحنان الى مقاومة هاتيك الفتن التي ساقط الأمة الى
النقائص سوقاً وألهتهم عن مزايا الكمالات فأصبح النبي الحافظ منهم
لا يهتدى الى الكمال سبيلاً كما يراه الراؤون ويسمعه السامعون وهم يظنون
أنهم هو الكمال الافضل وأن ما هم عليه من دنائة الاخلاق وسفاسف
الامور هو الكمال والادب ومن يضلل الله فما له من هاد

فلنترك الماضي بماضيه الذي امضاه الله فيه من عجائب تدبيره
وغرائب حكمته التي حيرت الالباب ومن عمل قدرته التي من شأنها ان تحول
بين المرى، وقلبه وتزين لكل عامل عمله الذي خصصته له الإرادة الازلية
لكيلا يألوا جهداً في أداء واجباته حتى وإن كان في اعين الناس قبيحاً وانها
لنأخذ بمنخلق اهل الضرور والطيش وان كانوا علماء الى مصارع الهلاك من
قبائح الاعمال وسيات الاقوال وهم يحسبون انهم يحسنون صنفاً فيكون
مشاهم كمثل الذباب الذي يتراعى على ما فيه حتمه وما ذلك الا من عمل الأقدار
وتدبير الواحد القهار وما من عاقل الا وصرت عليه شؤون في ظروفه

الزمانية لو أنه تأملها لكان ذا شعور تام بأنه مقهور للقدره مأسور للإرادة
ولكن أكثر الناس لا يشعرون

ثم ننظر في حكم الحال وأحواله والوقت وأهواله والزمن الحاضر
ومحدثات أعماله ثم نبسط شكوانا لمولانا الملك القدير ونستنجد من جور جنود
الزيغ وحلفاء الفلسفة بكل عليهم وخبير عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر
من عنده فيندم المفرور ويسكن غضب الطائش ويهتدي الضال المفتون
يفلسفته إلى الصراط المستقيم. ولعل العلماء أن تهب ريح نشاطهم من ذلك
الهدى الذي يظنه السفهاء من الناس أنه استغراق في مضاميع الغفلة عسى أن
تقوى بهم قواثم الحق وترفع بهم أعلامه فإيهم نجوم الهدى ومصابيح الظلمات
الزيغية وما آتاهم الله العلم إلا ليعملوا فينفع الناس علمهم وعملهم إذا العالم
لا يقوى على مقاومة الباطل إلا بربه ولن ينصره الله إلا إذا كان لله ناصرًا
وما كان نصر العالم لله إلا بإعلان كلمة الله ولا يقوم بإعلان كلمة الله من العلماء إلا
من كان وارثا لرسول الله في القول والحال والعمل ومن لم يكن كذلك كان
ضرره أقرب للدين من ضرر الجهلاء

الأي يرى العقلاء من العلماء أن المروء التي كان فيها المسلم معصوبا بالعمل
كانت الهداية فيها أقرب إلى القلوب من الزيغ والغرور. واليوم قد أصبح
الغرور والزيغ أقوى سلطانا وأرفع من الرشيد بنينا فلو أن تقبيل النعال يجدي
نفعنا لقبول أقدام العلماء ونعال الفضلاء منهم ليقفوا بين يدي مولا هم موقف
الإنابة بلسان الحال لا بلسان المقال قائمين (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا
واغفر لنا ربنا لك أنت العزيز الحكيم) وليدفعوا بصالح أعمالهم عنا عوامل

الإِستقام والنضيب التي اطلأنت اليها افئدة المفتونين الذين يعدون النقم نعماً
 ويظنون ان الله اختص اهل هذا الزمن بالحضارة والتمدن حتى استنارت
 بعائثرهم وما علموا أنهم فيما افتتنوا فيه اسوأ حالاً من قوم موسى الذين افتتنوا
 بعجلهم والذين قالوا له اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة لأن الذي يتوهم ان كثرة
 الفجور وانتشار الفواحش والتباعد عن المبادئ والتجاهل بالزور والبهتان
 والتلاعب بآيات الله والركون الى ضلال الطيبيين وكثرة اللغو الذي كان
 سبباً لفساد العقائد ونشر الميوب المكذوبة ويظن أن ذلك وما فوقه من
 النقائص تنور وتقدم في المعارف والعلوم فاهو الاضال وزنديق ولا دين له
 ولا ايمان وإنما لنقبل اقدم العلماء ليستحيوا بالله ويأجأوا اليه سرّاً وعلانية فإنه
 تبارك اسمه وتعالى جده اذا علم من عباده العلماء اللغف والضجر والحرص على
 الدين والتمسك بسنة رسوله لا يسلمهم الى السفهاء ولا يسلط عليهم اهل اللسان
 فإنه جل شأنه ما أعطي السفهاء المقال وسلمهم محاسن الأحوال الا ليجعلهم
 سوط عذاب لكل عالم لم يعمل بعلمه فليجأر العلماء لربهم والبناودة بما نادته
 به أم المؤمنين فيمن ظلمها حيث قالت : اللهم ياسامع النقم يادافع النقم يافارج
 الغم يا كاشف الظلم يا اعدل من حكم يا حبيب من ظلم يا ولي من ظلم
 يا أولاً بلا بداهه وآخراً بلا نهايه يا من له اسم بلا كنيه اجعل لي من امرى
 فرجاً . وليدعاه منهم من غلبته شهواته وتسلط عليه شيطانه بما دعاه به
 الإمام الجيلا في سيدي عبدالقادر بقوله يارب عبدك قد ضاقت به الاسباب
 وغلقت دونه الابواب وتمذر عليه سلوك طريق اهل الصواب وزاد به
 الهم والنقم والاكتئاب وانقضى عمره ولم يفتح له الى فسيح تلك الحضرات

ومن اهل الصفو والراحات باب وانصرفت ايامه والنفس راقمة في ميادين
 الغفلة وذنى الاكتساب وانت المرجو لكشف هذا المصاب يا من اذا دعى
 اجاب يا سريع الحساب يا رب الارباب يا عظيم الجناح يا كريم يا وهاب رب
 لا تحجب دعوتي ولا ترد مسألتى ولا تدعني بحسرتى ولا تكنى الى حولى
 وقوتى الى آخر ما قال ومن اراد ان يعلم كيف كان موقف الأدباء بين
 يدي ربهم فليتنقذ بقية هذا الحزب المسمى بحزب الشكوى واليتبع او راى
 الصالحين ولقد قال ذلك العارف فى هذا الحزب الشريف رب ارحم من
 عظم مرضه وعز شفاؤه وكثر دأؤه وقل دواؤه وضمفت حيله وقوى بلاؤه
 وانت عاجؤه ورجاؤه وعونه وشفاؤه يا من غمر العباد فضله وعطاؤه ووسع
 البرية جوده ونماؤه الى آخر ما قال وقال آخر

عدت المادون وجاروا * ورجونا الله مجيراً
 وكفى بالله ولياً * وكفى بالله نصيراً

وانا اسأل ربى بكل ما سأله به السائلون وادعوه بما دعاه به الداعون
 واتضرع وابتهل اليه بما ابتهل به المبتهلون ان يكشف عني وعن المسلمين
 من بقية امة محمد صلى الله عليه وسلم غمة الزينج ومصائب الزلل وان يوفقنا
 وياهم الى خير حال واحسن عمل وان يصرف عن قلوبنا سهام السنة الزائنين
 وان يقوم احوالنا واعمالنا بمتابعة اصحاب الصراط المستقيم ان ربى لطيف
 لما يشاء انه هو العالم الحكيم

وأنادى اهل الآداب . واولى البصائر والألباب . قائلاً يا ذوى
 الأذواق السليمة ويا اصحاب الضمائر الطاهرة ويا أولى الأراء الصائبة

ويا اهل الشهامة والمروءة ويا قويا اليمان واليقين ويا كابرمة خير النبين
 وخاتم المرسلين رُحماكم ياليني العواطف وأرقاء القلوب أقبِلوا قلباً بقلب
 على حجر الضجر ويشكوا اليم المناويتهب بالهيب الوهم والهمم وانه ليكاد أن
 يتميز من الغيظ والغم لانه لانه لانه لما هاله اذا لم تجدوه ولا مخلص له من
 أحواله ان لم تجبروه فيا اهل اليمان ويا أيها المتمسكون بآيات القرآن
 اغمضوا طُرف فؤاد احتوشته موحشات التضليل وأحاطت به من كل
 جانب جنود الزيف والباطيل حتى اصبح لا يجد مهربا اقرب من الموت
 ولا يخاف غير غوائل الضياع والفوت ولقد ألقت به في تيه الحيرة وخارف
 اقوال الأحداث من المتكلمين وتشعبت به في طرق الاستدلال دسائس
 تمويهات سفهاء المصلحين وهما أنا يا اهل الآداب الذوقية بين أيديكم امثل
 لكم حال المتحير الباهت والمزعج المتهافت فاني لا ادري على أي دين من
 الاديان وعاظ هذا الزمن المشووم والى أي غاية يسارع مرشداهم المنهوم
 وإلى أي مذهب يودّ احدهم ان يذهب بنا حتى تكون الناس فيهامة واحدة
 فان كانوا داعين الى الرشاد فقد أخطأوا سبيله قولاً وعملاً وما تحول حالهم
 الا الى اسواء حال من احوال الأمم الماضية والقرون الطاغية وما بينهم وبين
 الكفر الا حاجز الحياء وخوف الافتضاح وان كانت دعوتهم الى سبيل
 آخر فلماذا لم يتباعدوا عن النديس والتمويه حتى يتبين الدين الذي هم
 داعون إليه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة حتى لا يكون
 عليهم تبعه في اضلال من هجر دينه واتبع أهوائهم ولماذا لم يجاهروا بما
 اكنوه من النوايا في اكنة صدورهم اليس الله بريقب عليهم ألا يعلم من

خلق وهو اللطيف الخبير ألاهل يظن الغاؤون ان القلوب فلتت من قبضة
مقابها الذي يحول بين المرى، وقلبه أما قرأوا قوله تعالى (من يهدي الله
فهو المهتدى ومن يضل فان تجده له وإياهم شداً) ولقد دلت آيات القرآن
وحواشي المبر على ان الهدى هدى الله وانه هو مقاب القلوب وان المرشد
ما يهده من الهداية والتوفيق شيء وما بيد الغوى المضل من الإضلال شيء
قال الله تعالى لنبيه (ان تحرص على هدايتهم فان الله يهدي من يشاء) وقال له
(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) وقال للشيطان
(ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) وقال ابليس لعنه الله لرسول الله صلى
الله عليه وسلم يا محمد خلقت للهداية وليس بيدك منها شيء وخلقْتُ للغواية
وليس بيدي منها شيء فهل يظن أولئك الضلال انهم يستطيعون جمع
القلوب على هجر المناسك الدينية واعتناق الأوهام الفلسفية والظنون الطيشية
إلا أن يشاء الله فتنة عباده ان هذا والله هو الضلال البعيد

أيها العلماء القادة والفضلاء السادة اني وانا العبد المذنب الحقير بكل
أدب واحترام ألقى بين يديكم نصحي راجياً ان تقبلوه فاني خادم نعالكم
وحارس رحالكم وانكم الى المرض على الله لظاعنون وعلى كل قول وعمل
لمسؤولون سادتي ان الله سبحانه وتعالى لا يحب العالم الا لعمله ولا يحب
من الرجال الا لخصاله والعالم الذي لم يستعمله علمه كالبئر الممطرة وانكم
لتعلمون أن الله سبحانه وتعالى يحب معالى الأمور ويكره سفاسفها وماهي
الا ما عليه أحد انكم منما انتقدكم فيه المتقدون واعترض به عليكم المعترضون
وما ألسنة الخلق الا أقلام الحق وان العالم اذا أهان علمه فما أهان الا نفسه

وإذا استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إليه وهو على حال ممقوت فقد سقط
 من عين ربه ومن يهن الله فما له من مكرم ألا ترون أن الله سبحانه وتعالى
 يمد كل طالب بما طلب على قدر ماله من الاستعداد والقبالية وقوة العزم
 ومثانة الحزم وما كاد أعداؤكم أن يظهروا عليكم إلا ببض خصال يحيا
 الله سبحانه وتعالى وأبوا عليها وإن لله سبحانه وتعالى من تدبير حكمته
 وتصرف إرادته لما يهر المقول فقد يعمل الفاجر لكي يجري على يديه أي
 شأن يريد إذ الفساد العام لا يقاوم الإصلاح العام إلا بقوة المفسدين وضعف
 المصلحين وبالعكس ولقد كان في الغالب منكم من ضعف الهمة ودنائة
 الأخلاق ما كان سبباً لظهور الفساد وتظاهر المفسدين حتى كان ما كان
 منها يبصره المبصرون فلو لا أن الله سبحانه وتعالى علم منكم ضعف اليقين
 ونقص الإيمان وفساد الأحوال وإضاعة النسك ومخالفة السنة لما نزع
 من القلوب محبتكم ولما سلب عنكم ملابس الهيبة والوقار فاجأوا إلى ربكم
 واستقبلوا من ذنوبكم واعتصموا بحبل الله المتين وتمسكوا بسنة سيد المرسلين
 وتدبروا قول الله تبارك وتعالى (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن
 يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) واقبلوا معذرتي فإنه يضيق صدري
 ولا ينطلق لساني من عمل أخطائكم الذين لا تخلوا منهم مواطن الله ولا
 تجهلهم بأمة الخور فوالله لو أنكم كنتم رجال الدين ونصراء لما كان منكم
 هؤلاء الأحداث السفهاء الذين أضروا بالدين ضرراً بليغاً وذلك لأن الناس
 توهموا أن الدين ما هو إلا ما أتم عليه فأتخذوه هزواً ولعباً وقد انتحل
 السفهاء لهم ديناً آخر وهو ما عليه المتفلسفون الآن فلو أنكم أقمتم شமாثر

الدين وأحييتُم سنّة سيد المرسلين لكنتم بدور الهدى ونجوم الإقدي
ولكن الله فعال لما يريد

اللهم لا أضام ولك الأمر ولا أفتقر وأنت الفني ولا افتضح وأنت
الستار ولا أعذب بالنار وأنت ارحم الراحمين إليك انتهت الأمانى
يا صاحب العافيه

ألا هل من ذي وقار يرى الحق حقاً والباطل باطلاً فينادى الذين
هائموا من قومه في أودية الفرور ان هلموا إلى طريق الهدى قبل أن
تهلكوا الا هل من ذي بصيرة نيرة تستكشف خبايا ظلمات هذه الشبه
الزيفة فيبين للناس حقائق منازل إليهم من الهدى والفرقان الا هل من
عافل ذي قوة غالبه وهمة عالية وبأس شديد يكف عن معالم الرشد معاويل
هؤلاء المضلين ويدع عن الرشاد نهشات المتكالبين من أهل الزيف والزندقة
ومناوشات مستعصية المتفلسفين الا هل من ذي أصل كريم وقلب رحيم
وشفاق عظيم يوقف ذوى اللسان من الأحداث عند حدودهم حتى لا يقفوا
مواقف الأنبياء ولا يدعوا سفهاً وطيشاً أحوال الأتقياء ولا يمشون في
أرض الفرور مراحاً الا هل من امام تقي وعالم رباني يسلك بالمسترشدين
من هذه الأمة صراطاً سوياً فينادى أهل الإيمان بما ناداهم الله به في مثل
قوله تعالى (سارعوا إلى مفقرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض
أعدت للمتقين) ألا هل من ذي صوت مسموع يذكر الغافلين بقول الله
تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة
عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)

الا هل من رجال عقلاء يتساءلون فيما بينهم عن اسباب انتشار الفتن الدينية
 وصدت هؤلاء السفهاء الناس عن عوائد اسلافهم ونهيهم عن التمسك بنسك
 دينهم حتى اذا اطلع على تلك الاسباب السيئة من شرافات الأفكار النيرة
 وعلم أن الباءت الذي بعث مبشري المسيحيين على السعي في الارض فساداً
 هو الذي بعث هؤلاء الضلال على الإضلال بدعوى الانتصار للدين والشفقة
 على المسلمين ينادى في الناس بأنها فتنة ضارة واعمال سيئة مخزنة وماهي
 بسارقة فقد جعلوا الإسلام والمسلمين ضحية اغراضهم واغراض المفسدين
 والناس عن دسائس تدليسهم وزخرفة أقوالهم غافلون ألا هل من قوم عقلاء
 يقومون اعوجاج الدين يزعمون الإصلاح من الأحداث حتى تهتدى بهم
 الأمة إلى سبيل الرشاد ألا هل من مرشد ينادى في الأمة إن هؤلاء السفهاء
 يريدون أن يرثوكم عن دينكم إن استطاعوا الا هل من علماء يشعرون
 من طريق التذكار والتفقه في الدين بزجر قول رسول الله صلى الله
 عليه وسلم اذا ظهرت البدعة وسكت العالم فعليه لعنة الله ثم يفقهوا عن الله
 خطابه في مثل قوله (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فيفتدوا من لعنة
 ربهم بدفع هذه الشبه التي جعلت كثيراً من البسطاء بما خالط قلوبهم من
 الارتباب حول جهنم جثيا لا حول ولا قوة الا بالله أما للناس عقول تتدبر
 اما للناس مخيلات تتفكر وتتبصر أما للناس قلوب تخاف العذاب الأليم أما
 للناس بصائر يميزون بها الطريق المموج من الصراط المستقيم اما في الناس
 من يدري مسالك الكمال كيف تكون الا هل يستوى الذين يؤمنون
 بالله والذين لا يؤمنون كلا سيعلون ثم كلا سيعلون

أقول هذا وما وراءه وأنا المؤمن الموقن بصدق قوله تعالى (وأولئك
ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك
خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) ولكني
أقف مواقف الأدب في مواطن الرجاء والخوف متحققا بقول الناقل رضي
الله عنه إلهي إن اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك
العارفين بك عن السكون الي عطاء واليأس منك في بلاء فأضرع الي ربّي
في نيل ما أرتجيه وأعرض عن علي مسامع العقلاء الأمر الذي اشتكبه قائلًا
أيها العقلاء إليكم أشكوا أليم طعنات الفاضل الأديب فريد وجددي
صاحب المقالات المحررة في جريدة المؤيد التي صدرت في يوم الاثنين ٢٢
جمادي الثانية تحت عنوان بحثي اليوم وفي يوم الثالث ٢٣ منه فقد احزنت
فؤاد كل مؤمن يخاف الله واليوم الآخر ولقد أحييت أن أختلي به خلوة
لتبجاذب أضراف استار التوسلات الرقيقة عن وجوه الحقائق الدينية ليملم أنه
طعن في غير مطمئن وليتذكر أنه هو الناقل عن قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت
فيروى بها في النار سبعين خريفًا وعن قوله وهل يكب الناس على مناخرهم
في النار إلا حصائد ألسنتهم وليعلم أن الدين الذي عابه ما هو إلا الصراط
المستقيم المذكور في قوله تعالى لنبيه (وإنيك أتهدي إلى صراط مستقيم
صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور)
وليس صراط الله المستقيم إلا ما شرعه لعباده وليعلم أنه لو عود لسانه قول
الخير لما طعن في الدين والمتدينين فلقد مر عيسى عليه السلام بخنزير فقال

له أنج بسلام فقبل له لم قلت هذا لأختر يوقال صلى الله عليه وسلم ما أريد أن
أعود لساني الا قول الخير وليعلم أن الشيطان قد أساء نصيحة الإمام محي
الدين ابن عربي حيث قال في وصيته واحذر أن تكفر أحداً من أهل
القبلة بذنب فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لأخيه
أنت كافر فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال والا رجعت عليه ومن كفر
مسلماً للإسلام فهو كافر يقول الله تعالى (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس
قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) ثم رجع عليهم بما قالوا فقال (ألا إنهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تظهر
الشيامة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك هذا إذا كان على حال مذموم فكيف
إذا كان مؤمناً موحداً عاملاً بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك
عقدت العزم والنية على أن أناصحه سراً وإذا به قد أحسن البلاغ في إعلان
الإستبداد بالرأي وأبان عن رغبته في إذاعة التشريع والتشهير بالمسلمين
وأنه لا يقبل في أذاهم وفي محاربة دينهم شفاعة الشافعين فلويت عنان ذلك
العزم وعلمت أن الشاب شديد الغضب وسريع الإتيان شجاع خلوته غير
مبغض لهفوته وما ذلك إلا لتتبعه المعلومات الفلسفية قبل أن تقوي قريحته
لوقادة فبادر بالإنتقام قبل إسداء النصائح المعتادة ولما كانت كلماته لا تخرج
عن معنى ما جاء به المتقدمون من المتفلسفين الذين حاولوا أن يطفئوا نور
الله بأفواههم وأبى الله إلا أن يضرب بينهم وبين المتدينين بسور له باب
باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فلذلك لم أجد بداً من المدافعة عن
الدين ولكنني أقدم لذلك الفاضل معذرتي فيما تدعوني إلى الإتيان به

ضرورة الدفاع من القول الذي ربما ظنه سيئاً وإني أعوذ بعلم السرم والجوى
 من أن أقصد مؤمناً بسبيء قول أو عمل غير أن الحرب الطائفة الفجائي
 يستدعي قوة الدفاع والفاظظة عند الجدل والله على كل شيء شهيد
 قسم ذلك الفاضل الدين الإسلامي إلى أصول عامة تجمعها كما قال ستة
 أبواب وزعم أن الدين ما جاء الا داعياً إلى هذه الأصول الستة فكان مثله
 مع الدين كمثل رجل جاء لتفهيم أناس ما هو الإنسان فقال لهم إن الإنسان
 حيوان ذو أعمالين وله ثوب يستره ورداء فوق كتفيه وعلى رأسه قلنسوة
 سوداء وفي يده عصا ومن عرّف الإنسان بغير ما عرّفته به فهو جهول
 أفمن كان هذا تعريفه للإنسان أفلا يكون الغالب على حاله أحد أمرين
 إما أن يكون عالماً لا يحسن التعبير وإما أن يكون جاهلاً بما هو الإنسان
 وكيف تركيبه وبما انطوى عليه ذلك الجسم السجيب التركيب وإنا لنجل
 هذا الفاضل عن أن يكون موصوفاً بواحدة من الحالتين في أمر دينه وإنما
 نقول إنه من قوم ما جهلوا كيف تأكل الكتف ولكنهم يهدون بما يقولون
 تمهيداً لا غرض يرومون إدراكها وما هي إلا أن يكونوا أئمة يقتدي
 بهم في طريق شرعوها لأنفسهم وراء الذين اتبعوا أهواءهم من قبل أن
 يبلغ الهدى محله أعني قبل الرسالة المحمدية لأن الطريق الفلسفية ما هي
 الطريق الدينية ولكن بينهما تشابه في بعض الشؤون العلمية التي تتعلق
 بالأخلاق وما من طائفة من الطوائف تخرج إلى معارضة الأديان إلا أهل
 هذه الطائفة ولكنهم يأتون بيوت الفتنة من أبوابها لأن قوة الدين
 لا تقاومها قوة الظنون الوهمية فتراهم يدعون النصيح وهم يخادعون الله وهو

خادعهم ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ولكن هذا الفاضل لسلامة قلبه وحسن نيته يظن أن كل ناصح أمين وأن كل عالم على الرشد مهيئ قال ذلك الفاضل في تقرير الباب الأول من الستة أبواب إن الله تعالى دعا الأمم لمعرفة أن الدين بسيط في ذاته وقد وإلى الله إنزاله على المرسلين بالتعاقب في صورة واحدة ليبيد اللاحق بغيري من الرسل ما بدله أتباع السابق من حدوده وأن الدين الإلهي الخالص لا يمكن الخلاف فيه لبساطته ثم استشهد على ذلك بقوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) إلى آخر الآيات التي أوردناها متعاقبة وقال ثم دعاهم الله إلى الدخول في هذا الدين العام الذي جاء لتوحيد سائر الأديان والإيمان بسائر الرسل الذين أرسلوا لبني الإنسان وطلب إليهم أن يقولوا (آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط) إلى آخر الآيات الكريمة التي أوردناها ثم قال إنه قرر للناس كافة أن الدين كله كلمتان مجموعتان في قوله تعالى (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) وقرر أن معنى هذه الآية أن العبودية لله الحق والإحسان في القول والعمل

ثم قال في مقارنة هذا الباب في جريدة يوم الثلاثاء ٢٣ جمادى الثاني تحت عنوان بحثي اليوم أن الإسلام أتى لربط الشعوب جميعاً بإزالة ما بينها من الشحناء وأن المسلم يجب أن يكون من مدركاته وأعماله على نقطة الوسط ليكون علم هداية لغيره ثم استنتج من تلك المقارنة أنه لا يعرف

ما عرفه من الدين من المسلمين إلا أفراد يُعَدُّونَ وأظنه يعني بهم المتفلسفين
ثم قال وأما بقية المسلمين فمشغولون عن هذه الأصول بتعليم بعض العبادات
وما يشاكلها إلى أن قال وصار المسلمون بعد أن كان الرجل من الصدر
الأول يعد نفسه حادثاً طبيعياً وناموساً إصلاحياً سابطاً لأداء وظيفة عالية
هي أن يكون مؤدباً لغيره صار المسلمون الآن لا يدرون من أمرهم إلا
أنهم على دين من الأديان تفصيله عند علماءهم إلى أن قال وعجيب لمن يعالج
الأعم ويقوم على حراستها أن لا يشتغل بواجبات تلك المعالجة والحراسة
إلى آخر ما جاء به

وهذه التوجيهات هي التي ملأت آذان الأمة من قبل وترغمت بها
الصحف وانتشرت بها المقالات الفلسفية التي علم العقلاء نوايا قائليها
وتحققوا منها أحوالهم وما هم عليه عاكفون وعلموا الغاية التي كانوا يعملون
على الوصول إليها ثم استكشفوا مصادر البواصت التي بعثتهم على العناية
بذلك التدليس وما في الأمة من يجهل ما كانوا عليه إلا الذين فسقوا
وأولئك هم أصحاب النار

وما أدري كيف ساغ لهذا الفاضل الأديب أن يخذوا حذو أقوام
بين طريقهم وبين طريقة الرسل الأمد البعيد وبين حالهم وبين حال
المتدينين من الفرق كما بين الظلمات والنور وبين الظل وبين الحرور وما
أرادوا بتلك الضاليل إلا صرف القلوب عن الإيمان بالقضاء والقدر وعن
محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبة السلف الصالح من بعده كما ذكرنا
في مبادي هذا الكتاب ذلك من طريق الوجهة الدينية التي هي عند

الفلاسفة خراف واكاذيب وعند المؤمنين صراط الله المستقيم . وأما من
الوجهة السياسية فيصنعون بها قطع الملائق بين المسلمين وأسرانهم ومملوكهم
لظنهم أن الرابطة الدينية والإخاء الإيماني هو الباعث القوي الجامع لقلوب
المسلمين على ذلك الحنان والتآلف وليش ما كانوا يصنعون

ولنا على كلام هذا الفاضل ملاحظة ذوقية قبل أن نبين الخلاف الذي
بين ما قاله وبين الحقائق الدينية ألا وهي أن القرآن الكريم ما أجاز الولاء
وروابط الإخاء لكل مؤمن إلا لإخوانه المؤمنين وما أجاز رعاية اليهود
إلا لأهل الذمة ولا دعا الأمم إلا لأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً
وكثيراً ما صرح باستحالة اجتماعهم على دين واحد وأما قوله (قولوا آمنا
بالله وما أنزل إلينا) إلى آخر الآية فذلك خطاب المؤمنين لتكميل
درجاتهم الإيمانية حتى يفوزوا بأجر الإيمان بكافة الرسل وبما أعد الله
لأئمتهم من الثواب لو أنهم آمنوا بهم وما هو بخطاب عام كما يدعي ذلك
الفاضل ولو كان كذلك لما قال الله تعالى (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد
اهتموا وإن تولوا فإنما هم في شقاق وما شرع الله سبحانه وتعالى لعباده
الإقتداء بالرسول إلا في الكمالات التي توصل إلى سعادة الآخرة وأما في
شؤون المعيشة الدنيوية فلم يجعل لها عناية في القرآن إلا من طريق بيان
ما يحل تناوله وما يحرم وذلك لأن تدبير الشؤون المعاشية إن كان من
شؤون الخلق فليس الإنسان بأقل إدراكاً من باقي الحيوانات التي تعيش
بلا معالين في جاب المنافع الحيوية ودفع المضار لانا نرى من الطير ما يصنع
وكرام الحشائش والأحطاب بشكل لو أراد الإنسان أن يصنع مثله

لأن عجزه ذلك وما ذلك إلا لترك فيه أفراده إذا دعت الحاجة التي تتركهم فيه وطلب الرزق وكذلك الوحوش والتمل والنحل وغير ذلك من الحيوانات المحتملة على الرزق فما كان للحكمة الأولية أن تكون ذات عناية بأمر تعيش الإنسان لأن ذلك يشمر بأنه أقل إهداراً كما من باقي الحيوانات التي هو مسلط عليها وأما إن كان المراد أن يكون الإنسان علم هداية إلى الدين فذلك لا يكون إلا لأناس أخيار أبرار أطهار كانوا لله فكان الله لهم مثل ما كانوا له عملاً بما ورد في الكتب السماوية من الآداب التي من تأدب بها جعل الله له نوراً يعيش به في الناس (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) فليتمقل العقلاء مقالة هذا الفاضل ليهتدوا إلى سواء السبيل

ولقد اشتمل هذا الباب على استدلالات تناقض مراده منها لأنه إنما يريد الإستدلال بأن الدين بسيط لا يقبل الخلاف وأنه هو الدين الذي رضى الله به نوحاً والأنبياء من بعده كما جاءت به الآيات التي أوردها على أن المسلمين لا يدرون من الدين شيئاً غير أنهم يعلمون أنهم على دين تفصيله عند علماءهم مع أن الواجب على كل مسلم أن يكون علم هدى كما زعم في مقارنة هذا الأصل وزعم أن الرجل في الصدر الأول كان يمد نفسه حادثاً طبيعياً وناموساً إصلاحياً ساطعاً لأداء وظيفته عالية هي أن يكون مؤدباً لغيره إلى آخر مقال في تلك المقارنة

والذي يراه العقلاء أن الأصل الذي قرره وهو أن الدين بسيط في ذاته لا يقبل الخلاف وأنه هو دين الرسل جميعاً لم ينطبق مفهومه على مفهوم المقارنة لأن الآيات التي ذكرها لا تدل إلا على أن الله دعا الأمم لأن

يعبدوه وحده وأن لا يشركوا به شيئاً وهذه هي إقامة الدين وما اختلف
 فيها مسلم ولا أهلها من الأتقياء أحد وما في الآية التي أوردها ولا في جميع
 القرآن ما يفيد أن المسلم يجب عليه أن يكون حارساً لجميع الأمم عاملاً على
 مصالحها العمرانية بل ولا يجب ذلك على أئمة المسلمين لأن الله سبحانه وتعالى
 خصص لكل عمل عاملاً ولكل إنسان مرتبة وجودية تتوجه إليها قابليته
 واستمداده فليست مرتبة الأمير هي مرتبة الوزير ولا تتحد مراتب الوزراء
 وليست مراتب الوزراء هي مراتب العلماء ولا مرتبة العالم المحدث هي مرتبة
 العالم الفقيه ولا مرتبة العالم الفقيه هي مرتبة العالم الفيلسوف الذي لا عناية
 له بالآداب الشرعية ولا مرتبة العلماء هي بعينها مرتبة العوام المتعلمين
 ولقد جعل الله لمصالح الروابط الاجتماعية عملاً يعملون عليها وللمصالح
 الدينية عملاً حتى في زمن الرسالة فما كان أبوا هريرة رضي الله عنه مثلاً
 في مرتبة عمر ابن الخطاب في النظر في الشؤون الإصلاحية ولهذا قلنا إنه
 كلام غير معقول لأنه إن قصد به كل مسلم كان مخطئاً لأن الله سبحانه
 وتعالى اقتضت رحمته وحكمته أن لا يكلف نفساً إلا وسعها وإن كان يريد
 العلماء فما هم مكلفون بحراسة الأمم والنظر في مصالح العمران وإلا كانوا
 مزاحمين لزعماء الإحتلال ولوزراء القطار وموظفيه وليس لصاحب عمل
 منوط به أن يهمله ثم يشتغل بما لم يكلف به من الأعمال وليس العمل على
 المصالح الدنيوية ولا النظر في شؤون سياسة الأمة أو الأمم من شؤون
 العلماء ولكنه من شؤون ولادة الأمور كما كان في عصر رسول الله والقرون
 التي بعده ولقد علم كل عاقل اليوم وقبل اليوم بزمع بعيد أن أزمة الأعمال

السياسية والشؤون العمرانية هي في ايدي اربابها وما على العلماء إلا النصيحة لولادة الأمور إن كانوا ممن يميلون للنصح ويحبون الناصحين ولكن الناصح الآن إن لم يكن عاملاً على ما يخالف الدين كان ممقتوتاً والمفتي لا يكون محبوباً ومحترماً إلا إذا أباح ما حرم الله إباحة اجتهادية لموافقة الزمان والمكان كما هو شأن كل من فلسف وهذا من لا يرتضيه الدين ولا يأتيه المتدين وإن قطع إرباً وما جاءت آية قرآنية ولا ورد حديث نبوي بأمر العالم بأعمال الحاكم والآيات المذكورة في استدلال هذا الأديب لا تشير إلى شيء من ذلك ولكنها تنادي على الأمم بمعنى ما ذكره الله سبحانه وتعالى في قوله لنبيه (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون) وكم نادى على نبيه بمثل قوله (وما أنت عليهم بوكيل) وقوله (إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقوله (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) وقوله (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم) وهي من الآيات التي أوردها هذا الفاضل دليلاً على أن المسلم يجب أن يكون ناموساً إصلاحياً للروابط الاجتماعية وعاملاً على الإصلاحات العمرانية فما ادرى كيف فكر وقدر واختلق تلك الممانى وركب تلك الممانى وهو من أفاضل المفسرين وكيف ساع له أن يميم المسلمين بترك شيء ما كلفوا به بل ربما كان فعلاً من المناهى الشرعية إن كان المراد منها قاله هذا الفاضل هو الحث على مجارات المتكالبين على الدنيا ومنافستهم فيها من

كل مسلم ولقد كان الأولى له إن كان مراده التحريض على مقاومة الأمم الأورباوية أن يرجع خطابه للأمراء والوزراء والجنود وباقي الهال المنوطين بحراسة الأمم والنظر في مصالحهم مستغلاً على ذلك بمثل قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) كاستدلال الفلاسفة قبله الذين طالما نقبوا من العلماء حتى انتقم منهم شديد الانتقام

فإن كان مراد هذا الفاضل بالدين الذي لا يقبل الخلاف هو عبادة الله وتوحيده فما اختلف فيه مسلم ولا جهله من الأمة أحد وإن كان المراد به الصراط المستقيم الذي كانت عليه الرسل وأمر الله نبيه بالإقتداء بهم فما هو إلا ما تدرسه العلماء في مدوناتهم التي بين أيديهم قديمها وحديثها وما نقصوا فيها من أعمال رسول الله شيئاً (وما أسروا إلا ليمجدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) فما كان المؤمن أن ينادي عليهم بالإهمال والجور وقد قاموا فيما يدرسون به بمفهوم البلاغ الذي كلف الله به كل من حفظ عن رسول الله أمراً من أمور الدين وقاموا بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما بينوه من الأحكام الشرعية والآداب الدينية

والدين بالمعنى الأول هو البسيط الذي لا خلاف فيه وبالمعنى الثاني ربما قبل شيئاً من الخلاف في الأمر والنهي فقد جاء الإنجيل مخالفاً للتوراة في غالب المناهي فيقول قال من قبلي كذا وأنا أقول كذا والكل من عند الله وما مقت الله تعالى ذلك ولا سماه تفرقاً في الدين ولا اختلافاً وكذلك من آيات القرآن ما يدل على أن الله خفف في شريعة النبي صلى الله عليه وسلم

على أمته مالم يخففه في الشرائع الأول كقوله تعالى (ربنا لا تؤاخذنا إن
نسيتنا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا)
وذلك يشمر بان في الأديان اختلاف غير مضر بجوهر الدين ولو علمنا
أي الأمرين يقصد ذلك الفاضل بلفظ الدين لحسنت بيننا المجاورة ولكنه
أبهم الأمر علينا لكيلا يهتدى المسترشد إلى طريق غير الطريق الفلسفية
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

ومن العجيب قول ذلك الفاضل إن الدين الذي دعا الأمم إلى تلك
الستة أبواب قرر للناس أن الدين كله كلمتان مجموعتان في قوله تعالى (ومن
أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) ثم فسر الآية بقوله أي أن
العبودية لله الحق والإحسان في القول والعمل فإن كان هذا المعنى الذي
قرره هو مدلول الآية الشريفة كان كل مؤمن يعبد الله وحده ويكون
صالح القول ومصلح العمل هو الذي على أحسن دين وإذا كان هذا اعتقاد
ذلك الفاضل فما معنى التشنيع بمسلمي إحدى عشر قرناً من هذه الأمة أو لم
يكن فيهم من هذا حاله أظن أن ذلك النبي لا يقول بذلك وإذا يكون هو
المسؤول بين يدي الله سبحانه وتعالى عن هذا التهور الفظيع ويكون اعلاؤه
الحرب بلا سفة سبب بل محض جرأة وتعمدي ولا نقول إنه شبيه بالطيش
إحتراماً لصلاة ذلك الفاضل وعلمه وأما أدبه فشكل أمره إلى علم الله به
كما نكل إليه مقاصده ونواياه (وكان الله بعباده خبيراً بصيراً)

ثم لا أدري السبب الذي الجأ ذلك المرشد النبوي إلى غض النظر عن
باقي الآية الشريفة مع ارتباط الكلام ببعضه ومع كون آخرها بمنزلة الشرط

في صحة أو لها فقد قال الله تبارك وتعالى (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً)
 فما أظن ذلك الفض إلا تمهيداً لما جاء به في نتيجة هذا الباب من قوله
 ان المسلمين اكتفوا بتعليم بعض العبادات وما يشاءونها لأن الآية الشريفة
 دالة على أن الدين عبادات ومعاملات وما هي إلا ما في بطون الكتب
 الفقهية وتلك الدلالة كالسيرة في طريق فلسفته التي يريد أن يزين للناس
 بها أن السلم يعني الإنسان عن العمل الديني كما يمتقده أهل هذه الطائفة
 ولكن سمعة ذلك الأديب الفاضل شجبه عن أن يذهب إلى هذا المذهب
 الذي أهلك الله به أهل هذه الطائفة وهم لا يشعرون

﴿ الباب الثاني ﴾

قال ذلك الفاضل في يوم الاثنين ٢٢ جمادي الثانية سنة ١٣٢٤ في
 جريدة التوحيد أن الله دعا الأمم إلى استمداد روح الدين من النظر لآثار
 الله في ملكوته والتدبر في بدائع صنعه وطالبهم بالضرب في الأرض
 لاستشراق أحوال الأمم ومعرفة أسباب صعودها وهبوطها والوقوف
 على أعلام الحقائق ونباح المعارف ليكتسبوا عقلاً يحميهم عن الإندفاع
 في الوسوس والاستماتة للأباطيل واستدل بقوله تعالى (قل انظروا ماذا
 في السموات والأرض) وقوله (أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم
 قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى
 القلوب التي في الصدور) ثم بنا على هذا الأصل الذي لا أصل له مقارنة

الوجه الثاني التي قررهما في جريدة يوم الثلاثاء ٢٣ جمادى الثانية من قولها أن الأمة الإسلامية قد انحرفت عن ذلك الصراط الذي شرعه الله لها من آذن القرن الثاني وتركت استمداد روح الدين من الإشراف على المعلومات الكونية وجعلت ينبوع الإيمان علم المنطق والمناقشة في الآراء المستورة في بطون الكتب ثم قال إن الناس لو حكموا النظر في الكون والاستدلال بالكائنات كما أمرهم الله لما اختلفوا في الدين كما لم يختلف الطبيعيون في العلم الطبيعي لأن الكون هو الكتاب الوحيد الذي لا يختلف فيه إثنان إلى أن قال وقد فتح لنا ذيننا باب لا أدري وهو لا يفتح في كمال الشخص حتى قال بعض أعتنا من قال لا أدري فقد افق

وما كان لذلك النبيه الماقل أن يدعي أن الله أمرنا أن نحكم النظر في الكون لكيلا نختلف في الدين وأنا لو حكمناه لما اختلفنا كما لم يختلف الطبيعيون لأن ذلك القول مع وجود الكتاب المنزل الذي حوى جميع الآداب الكمالية والنواميس الشرعية وجاء ليبين للناس ما اختلفوا فيه ومع وجود ماسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السنن ما هو الا قول مردود وصراة غير معقول لأننا لا ندري لتحكيم النظر في الكون معنى ولا وجهة فهل إذا حار الإنسان في حكم شرعى يكون نظره في الكون مرشداً له وهل إذا نظر في الكون من لا يعرف كيف يصلي تعلمه المعلومات الكونية آداب الصلاة وأحكامها أم إذا أحاط الإنسان بجميع الكائنات علماً وكان لا يدري ما هو التواضع ولا كيف يكون مع ربه في شؤون العبودية أغنيه ذلك من الله شيئاً ثم ما شأن ما وقع بين العلماء من الخلاف وشأن المعلومات الكونية

فإن كان يريد ذلك الفاضل أن الانسان ينظره إلى الأكواف وما فيها من بدائع الصنع يعلم علم اليقين أن الله هو الفاعل في كل شيء وأنه المشر لكل شيء والخالق لكل عامل كما يستقده المؤمنون فما أفاد ذلك النظر هذه الفائدة إلا قليلا من المتفكرين وما زاد الفلاسفة إلا بُدًا عن هذه الاستفادة التي عليها مدار السعادة الابدية لأن الذي يستفيد من النظر في الأكواف هذه الفائدة لا يمد نفسه حادثا طبيعيا ولا ناموسا إصلاحيا بل لا يمد نفسه من المرشدين إلا اذا أذن الله له في الإرشاد وتثبيت المؤمنين على دينهم وعلى هذا يكون ما تقوله ذلك الفاضل ما هو الا من الغلط في العلم والسجلة في البيان وكان الله بعباده خيرا بصيرا

وأى داع يدعو الطامعين الاختلاف إذا كانت أفكارهم وعقولهم متفقة على أن الأشياء موجودة بطبيعتها وأن الطبيعة هي العلة في إيجاد كل موجود ليس إلا وكل موجود له من ضيقه بواعث تبعثه على العمل الذي تقتضيه إرادته واختياره إلى غير ذلك من الزيفات التي ازاغ الله بها قلوب من جعلهم وقودا للنار ووسط عليهم شياطينهم وأوكلهم الى أنفسهم فاهلكهم الغرور والطيش وافتنوا بما علموا ومن أسوأ حالا ممن أضله على علم وختم على سمعه وقلمه وجعل على بصره غشاوة فهو يرى الحق ولكن لا يهتدي إليه سبيلا ويسمع الذكرى ولا يميها ويقرأ القرآن ولكن لا يفقه معانيه والله لا يهدي القوم الفاسقين

ولكن الأولى بالحيرة والاختلاف في الأفهام التي ترشد الإنسان إلى طريق نجاته عملا واعتقادا هو القوم الذين علموا أن وراء الطبيعة

مدبر حكيم اتقن العمل ورتب نظام ملكه ترتيباً محكماً وجملاً سريراً لا يحصى
ارتباطاً قوياً يظن النبي الناظر إليه أنه ممكنه وكان بلا موجود ثم تبسروا
في أنفسهم فوجدوها محمولة بأسرار قيومية ذلك الموجود على أمر لا يعلمه
إلا هو ولو أن ذلك الأمر فارق موجوداً من الموجودات سابق طرفه عين
فعلموا أن ذلك الأمر هو الذي يمسك السماء والأرض أن تزولا فخاروا في
عمل الإنسان هل هو له أم لذلك الموجود الذي هو مسالك السموات والأرض
وسلك كل شيء فذهب قوم إلى أن العمل للموجود الذي قامت بقيوميته
الموجودات فهو لا يقيم عن موجود طرفه عين وقال آخرون إن الإنسان
هو العاقل وحده بما أودع فيه من القوى (وربك أعلم بمن هو أهدى
سبيلاً وإن الأمر لكما قال القائل

حكم حارت البرية فيها وحقيق بأنها تختار

ولكن الطبيعيين لا يتخيرون لأن الله أراح أهل الغفلة بالغفلة وتستر
عن الضالين بظلمة الحجاب ولو أنه تجلي لهم تجلي عظمة لذاقوا في غفاتهم
عذاباً أليماً (وإن الله بالناس لرؤوف رحيم)

وأقول في مقام الدفاع مستنداً لحضرة الفاضل عن كل هفوة تفضية
إن هذا الباب لا يدري داخله أم مفتوح هو أم مغلق وذلك لأنه كالباب
الذي لا جدران حوله ولا حائط ومحاط بل بالفضاء ومهب الالهواء من جميع
جهاته وذلك لأن الله تبارك وتعالى جعل الفكر سبباً لمسببات متعددة تختلف
باختلاف استعدادات المتفكرين وقواياهم ولأن الآيات التي استدلت بها ذلك
الفاضل لم تصادف الفرض المطلوب له ولا مطابقة بينها وبين مراده لأن قوله

تعالى لنبيه (قل انظروا ماذا في السموات والارض) ما جاء الآيتين آيات دالة
 على أن النظر والاستدلال لا يغنيان عن القضاء المبرم شيئاً فقد قال الله سبحانه
 وتعالى قبل هذه الآية (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً
 أفأنت تكبر) الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن
 الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون (قل انظروا) ثم قال بعدها (وما
 تنفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) فما كان قوله (قل انظروا) إلا
 تبيكيتاً لقوم يسبدون غير الله ليعلموا أن الذي أبدع هذا النظام البديع المتقن
 هو الذي قدر عليهم الكفر وطبع على قلوبهم وليعلموا أنه ما أغفل في ملكه
 شيئاً ولا سهى عن شيء فلو أنه علم فيهم خيراً أو أراد بهم نقماً لهداهم لأن
 الذي ينظر هذه التراكيب الكونية التي تمدح بها الله سبحانه وتعالى في
 قوله (فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب
 إليك البصر خاسئاً وهو حسير) لا بد أن يرى نفسه أحقر من أن يدبر
 نفسه أمراً أو أن يملك نفسه ضراً ولا نقماً أو أن يهتدى بفكره إلى شيء
 إن لم يهده الله

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى (أفلم يسيرا في الأرض فتكون
 لهم قلوب يعقلون بها) فقد جاءت بعد قوله تعالى لنبيه (وإن يكن بؤك فقد
 كذبت قباهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب
 مدين وكذب موسى فأملت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان تكبر
 فكافرين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبشر معطلة
 وقصر مشيد أفلم يسيرا في الأرض) الآية أفلا يعلم ذلك الفاضل الذي

فسر من القرآن أغلبه بتفسيره المسمى بصفوة العرفان في تفسير القرآن
أن هذا التبركيت ما كان إلا لقوم كافرين مكذبين وقد بين الله لهم طريق
الاستدلال فلماذا لم يؤمنوا قلوا أن هذا الفاضل تقطع إلى مواعي التبركيت
لما استحسن الاستدلال بهاتين الآيتين على خطاء المسلمين وعلى أنهم بدلوا
دينهم لأنه لو كان المراد من الآيتين استمداد روح العلم من السير في
الأرض والضرب فيها لكان قول الله سبحانه وتعالى لنبيه (وقل رب
زدني علماً) معناه طمأنينة في مشارق الأرض ومفاريها حتى أعلم ما عليه الأمم
فأجاريهم في التدين والتكبر في الأرض بغير الحق وهو الأمر الذي لم يرضه
الله سبحانه وتعالى لا تقية المؤمنين فضلاً عن سيد المرسلين قيل لأبي يزيد
البسطامي رضي الله عنه لم لا تسافر فقال إن صاحبي لا يسافر وأنا مقيم معه
وقيل له بيم عرفت الله فقال بطن جائع وبدن عار وقال ذوا النون المصري
رضي الله عنه بأول قدم تطلب الله تجده فروح العلم أو الإيمان التي تشير
لها هذا الفاضل في مقالاته لا تأتي لاستمدادها من طريق الضرب في الأرض
كما يدعى ولكنها ربما كانت في زوايا مسارح الأفكار وما كل فكر غير
ولا كل متفكر بصير لأن للفكر ضروباً وبواعث ومسببات كما ذكرنا
من قبل فإن الاستدلال (بالفكر في مصنوعات الله على وجوده ما هو عين
الاستدلال به على معرفته ولا فكر المستأنس به كفكر الخائف منه وليس
فكر الخائف كفكر صاحب الرجاء وما كان التفكير الذي أشار إليه الحق
سبحانه بمثل قوله (أفلا تتفكرون) وقوله (إن في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون) إلا تهية واستمداداً لقبول ما ياتي إلى المتفكر من العلوم الذوقية

الوهيية التي يهبها الله سبحانه وتعالى للخاص من عباده إذا اشتغل عن
 كل ما سواه به ثم اطلال التفكير فيكون بمنزلة مسائل الراقب باب السؤل
 الكريم إذا اطلال الوقوف فلا بد أن يسأل في المسأل والتفكر ليس بمسأل
 سوى العلم ولذلك قيل رسول الله صلى الله عليه وسلم التفكير النافع بمقدار
 معلوم من الزمن بقوله تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة فباحية هذا
 التسليم وتلك المسائل التي انطوت عليها تلك العبارات وذلك لأن توجه الفكر
 لمطلب واحد ساعة من الزمن لا يقوى عليه إلا أهل الثبات الذين جمعوا
 همومهم إلى هم واحد وميزوا بين الداهية الفاني وبين المقيل الباقي فاختاروا
 ما لا يزول وتذكروا بأسباب تحصيله فلا يزحزح أفكارهم عن التوجه إليه
 تقارب القلوب لأن عقاب القلوب هو الثبات لهم وما ثبتهم إلا ليمدهم بأمدادات
 الارشاد التي أشار الله سبحانه وتعالى إليها بقوله لنبيه (وقل رب زدني علماً)
 أي إرشاداً ونوراً يداني على طريقة الادب محك وانطوف منك والانس
 بك والوحشة ممن سواك وذلك اطلال هو الذي سأله سيدي عبد القادر
 الجيلاني بقوله اللهم أنت الرحيم الرحمن الكريم المنان أسألك يا ودود يا صمد
 يا علیم أن تفتح لي مواهب عرفانك حتى أشاهد جلالك وجمالك ولا تقطع
 إرشادك عني يا رب العالمين وسأله سيدي علي أبو الحسن الشاذلي بقوله
 اللهم انا نسألك إيماناً دائماً ونسألك قلباً عاشقاً ونسألك علماً نافعاً ونسألك
 يقيناً صادقاً ونسألك ديناً قيماً ونسألك العافية من كل بلية ونسألك تمام
 العافية ونسألك دوام العافية ونسألك الشكر على العافية ونسألك النسي عن
 الناس وما من ولي الله منها علمناهم إلا وسأل الله العلم النافع وما يمسدوا العلم

بالنافع إلا فراراً من التمسك المملوك الذي اقتنى به كل فيلسوف من كل ملة
 لأن العلم الوهبي الذي يصحبه التوفيق يكون الأدب من أجل نتائجه وما
 للأدب منه محدود بل لكل حال أدب ولكل عمل أدب ولكل علم أدب
 ولكل قول أدب فالذي يكون الله سبحانه وتعالى دليله ومعلمه هو الذي
 لا تقوته تلك الآداب فلا يسلك سوى سبيل الرشاد ولا يتحقق إلا بالحوال
 المقربين ولا ينطق عن الهوى وأما العلم الذي تنشئه السفهاء من الفلاسفة
 وتشوق إليه سلع الخشوف من شأن الممارس وكثير من طلبة العلم
 الأزهريين تلك هو العلم الذي لا قيمة له إلا في الآداب والخص في
 آداب الكتاب والعلم بالرأي ومسايرة الأهواء الرضا عن النفوس والاعجاب
 بالقول والعمل إلى غير ذلك من الموبقات القلبية والممالك الموهيئة لانه هو
 العلم الذي فارقه الترفيق وصحبته الدعوى والدعوى شرك خفي وقد قال
 الله تبارك وتعالى (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو
 تهوى به الريح في مكان سحيق) وإنه هو الذي يعود عليه الضمير من قوله
 تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين) إذ لا فرق بين التمسك بمحبة الصنم الراجي
 نفسه المتقرب ضرره وبين الواقع بنفسه الظان أنها جذوة بتحصيل كل نافع
 ودفع كل ضرر فذلك ترى أن بين القريتين أمة بعينه وقرق مديد في
 الأخلاق وفي الأحوال والأقوال والأعمال قيل للجنيف رضي الله تعالى عنه
 ممن استغنى عنه العلم فقال من يخلص بين يدي الله سبحانه وتعالى تحت
 هذه الدرجة وأشار إلى سلم في بيته وقال رضي الله عنه ما أخذنا علمنا من
 القل والقليل ولكن من الجوع وترك الدنيا وقطع المآلوفات وهجر الاستحسنة

الناس من أمر دنياهم وقال رضي الله عنه باب كل علم نفيس بذل المجهود في
 ترك المعادات والتزود من الطاعات وقال رضي الله عنه لو أقبل صادق على
 الله ألف سنة ثم أعرض لحظة كان مافاته أكثر مما ناله وقال رضي الله عنه
 إذا رأيت العالم يمتني بظاهره فاعلم أن باطنه خراب وسئل أبو صالح حمادون
 ابن أحمد ابن عمار النيسابوري عن العلماء فقال المستعملون لعلمهم والمهتمون
 لدينهم والمتقدمون بالسلف الصالح رضي الله عنهم المتتبعون لكتاب الله وسنة
 رسوله صلى الله عليه وسلم لباسهم الخشوع وزينتهم الورع وحليتهم الخشية
 وكلامهم ذكر الله تعالى وأمر بمعروف ونهي عن منكر وصمتهم تفكير في
 نعم الله سبحانه وتعالى عليهم نصيحتهم للخلق مبدولة وعيوب الناس عنهم
 مستورة يؤمّدون الناس في الدنيا بالأعراض عنها ويرغبونهم في الآخرة
 بالحرمس عليها وقال أبو علي أحمد ابن عاصم الأنطاكي رضي الله عنه امام
 العمل المسلم وامام العلم الأدب وامام الادب التوفيق والهداية وقال رضي
 الله عنه العلم اليقيني إذا وصل الى القلب ملأه نورا ونفي عنه كل ريب
 وجلب إليه الخوف من الله وآفة العلم الفتنة التي عرفها الله سبحانه وتعالى
 بقوله (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) وقال أبو تراب عسكر ابن حسين
 رضي الله عنه اشرف القلوب قلب حي يفهم عن الله تعالى خطايه وأتمس
 القلوب قلب يتقلب في المعلومات طوع هوأه فلا أدب يصونه عن مصارع
 الزلل ولا توفيق يدنيه من منافع الذكر والعمل وقال أبو الحسين أحمد ابن
 الحواري رضي الله عنه من نظر إلى الدنيا نظر محبة وإرادة أخرج الله سبحانه
 وتعالى نور العلم واليقين من قلبه ومن عمل عملا بلا متابعة السنة فعمله باطل

وعلاوة حب الله حب طاعته وغفلة المسلم عن ربه عقاب أليم والتراجع إلى
 تميم البيان فنقول إن الله سبحانه وتعالى ما جاء بآية في محكم التنزيل دالة
 على أن المسلم ينبغي له أن يطوف البلاد ليسلم ما عليه الأمم المخالفون له في
 الدين ليجار بهم فيما هم فيه من الفتن التي حالت بينهم وبين السعادة الأبدية
 ولكنه جاء بآيات تبكت اقواما بضلال افكارهم وهم أهل الدعاوى الكاذبة
 الذين يكذبون بالدين ثم يمدح اقواما بجودة الفكر وحسن الاستدلال بمثل
 قوله (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات
 لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون
 في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب
 النار) إلى آخر الآيات التي بين فيها نتائج تفكيرهم وما هي الدلالات على
 أن نتائج الافكار تختلف باختلاف القوابل والاستعداد وباختلاف البواعث
 أيضاً فليس باعث الفكر في النباتات الأرضية والأفلاك السماوية ليعلم
 المتفكر ماهي عليه من الشؤون الطبيعية كباعث الفكر فيها للاهتمام بتسبيح
 موجدها وتقديسه والانتناس به وذلك لأن الباعث الأول يستنتج
 الوقوف عند الطبيعية وهو المصراع الذي هلك فيه الطبيعيون ونهي عنه
 المتقون قال ابن عطاء الله السكندري الأكوأ ظاهرها غرة وباطنها عبرة
 فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها والقلب ينظر إلى باطن عبرتها وقال رضي
 الله عنه أباح لك أن تنظر ما في المكنونات وما أذن لك أن تقف مع ذوات
 المكنونات (قل نظروا ماذا في السموات) ففتح لك باب الافهام ولم يقل
 قل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الأجرام وقال الأكوأ ثابتة

بإثباته ومحجوة بأحجية ذاته وقال رضى الله عنه ما ارادتم حجة مالك أن تقف
عنده ما كشف لها إلا ونادته هو اتق الحقيقة الذي نطلب أمانك ولا تبرأحت
له ظواهر المكشوفات إلا ونادته حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر وقال رضى
الله عنه كيف يشترق قلب صبور الأكران منطبعة في سرآته أم كيف يرحل
إلى الله وهو منكبل في شرفاته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو
لم يتطهر من بنابة غفلاته أم كيف يرجوا أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم
يتب من عقوباته وهذا المروي وامثاله من أهل السرفان هم العلماء الذين عطلوا
عن الله سراده وفيهوا سرار خطابه به لا بأنفسهم فلا يسفكون سلسكا
إلى الله سبحانه وتعالى من طريق القول والسمع أو التذكر إلا وهم
مستحجبون الأدب فلعلمهم أن الله سبحانه وتعالى يهلك بمواصل الرحمة
ويرجم بمواصل الانتقام ويضل بآيات الهدى ويهدى بهلامات الضلال
لأنه هو الفاهر فوق عباده وهو اللطيف الخبير

ألا يرى المقلاء أن السامعين أو الحجاج مثلاً أو المجتمعين من كل فج
لموتك الأولياء لا تعرف أحوالهم حتى كانوا عليها في تلك المجمع ولا تظهر نواياهم
إلا بعد المودة وهذا لا يعلم لما قل ما كان عليه كل متكلم منهم من الشؤون
والنوايا والاستعدادات لأن عبارات المتكلمين تعرب غمما في ضمائرهم فمن
الحجاج مثلاً من يقول كان اللحم رخيصاً والسكان غالية القيمة والحجاج
كثير من وكان الذهب والسلب في الطريق كثيراً وكان أمير الركب شجاعاً إلى
غير ذلك من الشؤون العادية كأنه مسافر إلا ليتفقد تلك الشؤون ويتباهى
بالإحاطة بها غمماً منهم من يقل شاهدنا أنواراً ورأينا أسراراً واجتمعنا

بأناس من الاتقياء كثيرين وعظيماً من الله بمواهب لا تقوم بشكرها
وكذلك من السائحين من يقول عند عودته رأينا ما كنا نوقري ذات قسور
مشيدة وطرق مزينة وذات رياض زاهرة وأمتعة فاخرة ورأينا عمارها على
أتم نظام سياسي وكل منهم مشغول بشأنه لا يشغله عما هو منوط به شاغل إلى
غير ذلك من الكلمات الدالة على أنه من الذين لا يعلمون الا ظاهراً من الحياة
الدنيا . ومنهم من لا يتكلم الا عند الحاجة ولا يكون كلامه الا تبصرة
وذكرى تقوم بذكره . يقول اذا مشى عما علم ورأى لقد شاهدنا من
بداء مبع الله من امال قدرته وقوته وتصاريف تدبيره وحكمته ما يهر
العقول رائد اذ يفتقرنا تلك المشاهد حكمة قوله تعالى (ومن آياته خلق
السموات والارض واختلاف السننكم والوانكم ان في ذلك لايات للالمين)
وقوله (ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفاً من فضة ومدارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكثرون
وزخرفاً وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك لذات بقين)
فعلمنا من تلك المشاهد أن الله سبحانه وتعالى ما أمداً أهل تلك القرى والامصار
بتلك الامدادات الدنيوية والامارات الزخرفية إلا ليجعلهم فتنه لمن شاء
أن يفتنهم وما وجه عناية كثير من أفراد الامم إليهم الا لتعم الفتنه وتكون
الناس أمة واحدة في متابعة الشهوات والافتتان بالطبيعيات ليقضي الله
أمرأ كان مفعولاً

فلو أن سائحاً من سواح المسلمين نظر في تلك الشؤون الكونية نظرة
ابراهيمية لرجع من سياحته نائباً راجعاً إلى ربه خائفاً فضيحة الافتتان في

اليوم المهلول عالماً أنها الغائب وملاهي مآل اللاهين بها إلى ما قرره الله تعالى
 في كتابه الحكيم ولتحقق صدق قوله تعالى (إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب
 ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب
 الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب
 شديد) ولو أن الفاضل (فريد وجدي) نظر إلى تلك الشؤون نظر الرجال
 الذين لم تلهمهم أموالهم ولا أولادهم عن ذكر الله ولم يشغلهم الطيش عن المثل
 المضروب في قوله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء
 فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء
 مقبلاً) لتحقق ذلك الأديب أن الترقى والصعود الذي رأى أن العالم في
 مبادئه ماهو إلا داعية التسفل والهبوط الذي يعتقه المتدينون لأنه ما تم شيء
 إلا وأخذ في النقصان ولا تعالى صاعداً إلا هبط لأن مرتبة العاقل وحده
 وكل مادون الله مرتبة التسفل وإن تعالى ولو سكن أكثر الناس لا يعلمون فذلك
 كان الاتقياء يخافون غوائل الظهور ويقولوا إن الظهور يقسم الظهور ومن
 زعم أن أحدهم كان يرى نفسه حادثاً طبيعياً وناموساً إصلاحياً كما زعم ذلك
 الفاضل فاهو إلا مفتون بنفسه محبوب بحسه (ومن يضلل الله فماله من
 هاد) . وكذلك يرى الفقهاء أن الزائرین للاولياء تختلف عباراتهم باختلاف
 استمداداتهم وقوايلهم فمنهم من لا يرى في جمع الزائرین إلا عيوباً فتراه
 شيع الفاحشة ولولم يرها يقوله إن هذه الجماع مجامع فسق وفجور لأنه
 ما توجه نظره وفكره إلا إلى ما رأى من بعض السفهاء فيغلب عليه الاستعداد
 الشرى حتى يحكم على كل زائر بما رأى وأما الآخر من الزائرین فما رأى

إلا محاسن الأتقياء ومحافل السعداء فلا تسمع منه إلا خيراً لما عليه قابليته
واستعداده والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

ذلك ليعلم ذلك الأديب أن الله الذي يهب الإيمان بفضله ورحمته
وجليل منته هو الذي يملأ قلوب المؤمنين إيماناً ونوراً ويشرح صدورهم
للإسلام كما قال تعالى لنبيه (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَل لَّا تَمْنُوا عَلَيَّ إِلَّا مَا كُنَّ
بِلِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ولو أنهم كانوا
صَادِقِينَ لَمَّا مَنَّا مِنْ أَيْنَ يَكُونُ اسْتِمَاعُ رُوحِ الْإِيمَانِ وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَهَبُ
لِلْمُؤْمِنِينَ نُورَ إِيمَانِهِمْ (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)

وعلى هذا البيان يرى المطلع أن استدلال هذا الفاضل بآيات الله على
سروق المؤمنين من الدين من عهد القرن الثاني ما هو إلا ثم وخطاء كبير
وأن المعنى الذي فهمه من الآيتين لم يكن هو مراد الله منهما ولكنه سها
عن نفسه ولها بهواه عن أسرار القرآن الحكيم كما لها الذين سبقوه
بافلسفة الطبيعية فحرفوا كلام الله عن مواضعه وما أظن أن ذلك العمل
السيء مقصوداً له ولكن للزكاه غوائل لا ينجوا منها إلا من ثبته الله تعالى
لأن طغيان المسلم أشد وطأة على النفوس من طغيان المال والجاه ومن
أسوأ حالا ممن أضله الله علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة
فمن يهديه من بعد الله

وأما الاختلاف الذي أشار إليه ذلك النبيه فما هو إلا تنافس في إرشاد
العامة وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون ولقد جاء هذا الفاضل في هذا
الباب وفي الذي قبله بأمرين غريبين لم نعلم من أى طريق وصلا إليه أحدهما

قوله في الباب الأول ان الرجل في صدر الاسلام كان يعد نفسه حادثاً طبيعياً وناموساً إصلاحياً سلط لأداء وظيفة عالية هي أن يكون مؤدباً الفيرد والأمر الثاني قوله في الباب الثاني أن المسلمين انحرفوا عن الصراط المستقيم من عهد القرن الثاني فأما الأمر الأول فليست آدري أي الرجال يعني فإن رجال كل طائفة من طوائف المسلمين كثيرون ولم نعلم ما هي الهداية التي كان ذلك الرجل علماً لها وما هو الإصلاح الذي كان هو ناموسه فإن كان مراده الهداية الدينية والإصلاحات الباطنية التي هي معالجة الأخلاق ومداواة القلوب فذلك هو الأمر الذي دأب عليه أئمة الأمة وخيار مرشديها إلى عهد قريب في الأمة المصرية وحتى الآن في باقي الأمم الإسلامية ولو أن ذلك الإصلاح أو تلك الهداية لم تكن من بعد القرن الثاني للزم على ذلك أن يكون الإمام الغزالي غير معدود من المرشدين وكذلك كل عالم وتقي نرى آثاره ونحقق أخباره وأن يكون الكل على دين مبدل وهذا من لا يقول به عاقل ولا يقتضيه متدين وكما كان في الأمة من هو فوق الغزالي درجات إذ المعلوم عقلاء ونقل أنه مامن قرن من القرون الماضية إلا وخلق الله فيه رجالاً قاموا بإصلاح شؤون المسلمين التي تتعلق بالدين وهو مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مامعناه إن الله سبحانه وتعالى يبعث على رأس كل قرن من يحفظ على الأمة أمر دينها وليكنهم لم يكن عندهم من الشعور النفساني ما ذكره ذلك الفاضل من أن الرجل كان يري نفسه حادثاً طبيعياً وناموساً إصلاحياً إلى آخر ما قل فإن هذا شعور أرباب الدعاوي الممقوتة عند الله وعند عقلاء الأمم وليكنهم

كانوا رجالا يعرفون سرا كنهم من موقف اليهودية ويعلمون كيف يكون
العبد مع ربه إذا لم يتحقق بأوصافها التي خلقه الله عليها وهي الفقر والضعف
والذل والمجنون إذا الإنسان الذي لا يشعر من نفسه بهذه الأوصاف حتى وإن
كان ملكاً مسلماً كان أو كافراً فهو الأحمق الذي حاله كحال الوحوش والبهائم
التي لا تشعر بضعفها إلا إذا مرضت أو تغلب عليها من هو أشد منها قوة
ولا تدري ماهو الفقر إلا عند فقد الغذاء ولا تعرف الذل إلا إذا أهينت
ولا العجز إلا عند فقد القوى وأما الخلاص من النار فلا يحجبهم الغرور والطيش
عن العلم بتمام طلبة من الأوصاف التي هي مرتبة كل ماسوي الله فكذلك كان
أكابر الرعايا من السلف الصالح يرون نفوسهم في العلم والعمل وسلامة القلب
والإخلاص وأنواع المباديات أصغر من كل صغير كما وصفهم الله سبحانه
وتعالى بقوله (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وفي آية أخرى (أشهداء
على الكفار رحماء بينهم) وهما هي مواضعهم ونصائحهم بين أيدينا وإنما هي
الآثار التي تجعل الغائب في حكم الحاضر في رأي أهل النظر والاستدلال
ألا يتبصر العقلاء في قول الفاروق رضي الله عنه ليت أم عمر لم تلد عمر
وكذلك كان حال كل تقي في ازدهار نفسه قال شبيب ابن حرب رضي الله
عنه بينما أنا في الطواف إذ وكزني إنسان بمرقة فالتفت فإذا هو الفضيل
ابن عياض فقلت له ادع لي بخير فقال يا أبا صالح إن كنت تظن أنه قد
شهد هذا المشهد من هو شر مني ومنك قبئس ما ظننت وروي عن
إبراهيم ابن أدهم رضي الله عنه أنه كان حارساً على بستان فجاءه جندي
وقال له اعطيني هذا الغنم فقال إن صاحبه لم يأمرني فأخذ يضربه على

رأسه فطأها له وهو يقول يضرب رأساً طالماً عصي ربه وروى محمد بن
 الباقلاني عن أبيه قال سمعت رجلاً يسأل بشر ابن الحارث رحمه الله أن
 يحدثه فأبى عليه فجعل يتضرع إليه فلم يجبه فلما أيس منه قال له الرجل يا ابن
 الحارث ما تقول لله عز وجل غدا إذا سألك لم لم تحدثه فقال أقول يا رب
 كانت نفسي تشتهي الحديث فخالفتها ولم أعطيها من شهواتها وكان السري
 السقطي رضي الله عنه يقول إني لا أنظر في أنفي كل يوم مخافة أن يكون
 الله سود صورتي لما أتماطاه من التقصير وقال رحمه الله لو أن رجلاً دخل
 بستاناً فيه من جميع ما خلق الله من أنواع الطير وخاطبه كل منها بلغته
 قائلاً يا ولي الله ثم سكنت نفسه إلى ذلك لكان أسير نفسه وهو اه و أمثال
 هذه الوقائع من رجال القرون الأولى غير محصورة فلا أدري كيف وصل
 إلى هذا الفاضل وهو حديث السن نبأ رجال كانوا يعدون أنفسهم حوادث
 طبيعية كما يقول ومن أين جاء بهذه الدعوى التي لم تكن من أخلاق
 المؤمنين بل ربما كانت من أخلاق الشياطين فإن الذي يرى نفسه فوق
 غيره ما هو إلا من الشياطين وما حاله إلا كحال القائل (أنا خير منه خلقتني من
 نار وخالقته من طين) وما كان نصيح القوم وعظهم وتوجيهات قلوبهم إلا
 لتأييد هذا الدين الذي زعم هذا النبي أنه مبدل ابتغاء مرضات الله تعالى
 مخلصين له الدين ولذلك كان وعظهم أقرب إلى القلوب نفياً وتأثيراً سئل
 أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمار النيسابوري ما بال كلام السلف الصالح
 أنفع من كلامنا فقال لأنهم تكلموا بعز الإسلام ونجاة النفوس ورضاء
 الرحمن واتم تكلمون بعز النفوس وطلب الدنيا وقبول الخلق وهكذا

هو حال أحداث المتكاملين من أهل هذا الزمن الذين كتب الله عليهم أن لا تميل قلوبهم إلا إلى المحرمات ولا ترغب نفوسهم إلا في تماطلي الشهوات وقد جهلوا آداب دينهم فأصبحوا من المسرفين ولو أنهم علموا مضار الإسراف لتحرزوا من تناول كل مازاد عن الحاجة من معلوماتهم التي تناولوها غير محتاجين إليها فافسدت عقولهم وذلك لأن الأغذية الروحية كالأغذية الجسدية سواء بسواء فكما أن الإنسان إذا تناول من الأغذية مالا حاجة له به وأكثر من تناول ألوان الأطعمة المختلفة وكان ضعيف البنية أفسدت الأخلاط المختلفة أمامها انطلقت عليه بطنه فكذلك المتناول الفنون المختلفة التي لا حاجة له بها في دينه وديناه متى توفرت في مخيلته أخلاطها انطلق بفساد تصوره لسانه كما تنطلق على المبطون بطنه قهراً عنه كما نراه في أحداث هذا الزمن الذين ملاؤا الأرض صياحاً ونواحاً على الإسلام وعلى المسلمين وما مثلهم في صياحهم ونواحهم إلا كشمل مجنونة النساء ذات الرعونة التي كلما صغت إلى غوغاء ظنت ولدها صريع المتناوشين وإن العقلاء لا يرون سبباً لهذا الصياح ولا يعتبرونه إلا تشنيعاً فظيماً وتعداد معائب لا أصل لها لأنهم إن كان مرادهم بالانحطاط عجز الدول الإسلامية عن مقاومة باقي الدول فذلك أمر موكول لنوايا الملوك وسلامة قلوبهم ومن المعام أن ملوك الإسلام لا يضمرون لأحد من الملوك سوء أو لا يفاجئون مجاورهم بالحروب فلذلك كانوا غير ملتفتين لاتخاذ الآلات الحربية والتوسع في أنواع العدد المهلكة المؤذية والآب قد تنبه النائم واستيقظ الغافل ولا عدوان إلا على الظالمين

وإن كان المراد انحطاط المسلمين في أسر دينهم في هذا القطر الذي
 أفشت السفلة معاييه واكثر السفهاء من الفلاسفة مصائبه فما لذلك
 الانحطاط من سبب إلا ما أذاعته هذه الطائفة الخبيثة من أن الفرائض
 الدينية ليست تحت أهمية وأن الموائد التي تمودها المسلمون من زيارة
 مقابر الأولياء وتمسكهم بمحبة الصالحين ماهي إلا خرافات جاهلية وأن
 ذكر الله لا فائدة فيه وأن كرامات الأولياء لا أصل لها وأن الشفاعة عند
 الله ممنوعة وأن تقليد السلف الصالح صروق من الدين وأن الإنسان حر
 لا يتقيّد بدين من الأديان فكان ذلك المنشيع الفظيع بمنزلة نداء زجل
 مفسد خؤون ظنه فومه عاقلا نصوحا قام بين شبان قومه وسندناهم قائلا
 أزنوا ولا حرج عليكم اشربوا الخمر ولا تخشوا عقابا أتركوا الصلاة والصوم
 فما بعد الموت من عذاب ولا نعيم ارتكبوا جميع الكبائر فأنكم أحرار وكل
 ما لا يؤذى الغير فهو لكم مباح فكان لذلك النداء الشيطاني في قلوب السوءاء
 من الناس تأثيراً عظيماً حيث هي بطبعها ميالة للفساد مطبوعة على حب
 الشهوات أسيرة أهوائها فقرت من الآداب الدينية كأنما نشطت من عقال
 ولم تلتفت من مصالح حياتها إلا إلى تحصيل المواقات المهلكة وما كفي أولئك
 الأشرار ما أوقعوا فيه العباد من مصارع ذلك الإفساد حتى نادوا فيهم
 بكل ما حرم الله وزينوا لهم أن يتشبهوا بأهل أوربا حتى أصبحوا وأفتدتهم
 لا تشرح إلا بمصنوعات أوربا ولا يميلون إلا إلى خادومات أوربا ويات ولا
 نحن قلوبهم إلا للمصيف في أوربا ورأى تمويهات أولئك الضالين المضلين
 حتى صبحت احوال أوربا بفسادهم واستغنت فقراء الأوربايين وافتقر

غالب أغنياء المصريين وهم لا يشعرون وصارت خزائن الإغاليين مأوى دنائير
 الباعة ورعاع الأشرار وممكن تقود الأغنياء وأصبحت حوائت الأورباوين
 ومواطن لهم هي معابد المصريين والذي لم يأت مصر من الأورباوين
 قد اتخذ السماسرة والمخبرات وسائل لاستجلاب ما في خزائن المصريين
 وما يصل إلى أيديهم من المرتبات في أوئل الشهور وقد تفننوا في أنواع
 النجائيل على تملك ما في أيدي المصريين حتى أصبحوا أرقاء لهم في صورة
 أحرار وأسرا في حياة منسكين فما من قرية إلا وغالب أهلها أسرا المراكبيين
 من الأورباوين وما من بلد إلا وفيها لهم مال وعقار كل ذلك والمصريون
 يتباهون باستحضام الكهنة ويتفاخرون باستجلاب كل صن خرف من
 الملوك فلا تركب أبناؤهم إلا الفياتين ولا تلبس بناتهم إلا البرانيط ولا
 يتعلمون إلا ما تعلمه بنات أوربا وأبناؤهم تسمكوا بشعائر التمدن الذي أصبحوا
 به إلى الكفر أقرب منهم للإيمان وما هم بناظرين إلى ما يؤول إليه أمرهم
 بعد سنين بل تمسقوا الفقر فاعتنقوا أسبابه وهم لا يشعرون فلو أن
 المزارع وصاحب الألوف من الأفدن أطلعه الله على ما سيكون من أمر
 أبناؤه وبناته بعد حين من الزمن لأروت القمر من الأرض دموه وتضجرت
 لما انحنت عليه من حرارة الندم والحسرة ضلوعه ولو أن الموظف الذي
 لا يملك غير مرتبه يذكر أيام الأضرار لألمته عما أحاط بقلبه من لذت
 الشهوات والأغراض وإب العقلاء ليعلمون من حال الأمة فوق ما أعلم
 ولكنهم إذا نزل القضاء على البصر . هذا وأولئك السفهاء الذين كانوا
 سبباً لهذه البلايا هم وشرار أسلافهم ينادون على العلماء بأنهم سبب الإحتطاط

وإلهم والله ليعلمون غير ما يقولون ولكنهم يريدون أن يذهبوا ببقية الدين
 التي أصبحت الأزهري الشريف مأواها ولكن أكثر الناس لا يشعرون
 والرجع إلى ما جاءنا به ذلك الفاضل فنقول وأما قوله أن المسلمين انحرفوا
 عن الدين من عهد القرن الثاني فذلك قول ماسمنا بمن قال به من قبل
 إلا قول صاحب الرد على هانتوا حيث قال إن المسلمين كانوا على أثر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في عدم الركون إلى القضاء والقدر حتى ظهر من
 عهد سبعة مائة سنة أناس كانوا كرؤوس الشياطين ويعني بهم الصوفية إلى
 آخر ما أورده في ذلك الرد من الدسائس الزيفية التي توهم كثير من بسطاء
 المسلمين أنها نصرة للدين وذب عن المسلمين وما يخفى على الله من شيء
 في الأرض ولا في السماء وإنها لمكتوبة عنده في الإحصاءات التي أشار
 إليها بقوله (أحصاه الله ونسوه) وقوله (وكل شيء أحصيناه في إمام مبین)
 فلا أدري كيف زعم هذا الفاضل أن الدين تبدل من عهد القرن الثاني
 وما نرى الدين إلا قيميا واضحا مشيدا بقواعده وأركانه مجملا بشعاره ومناسكه
 محفوظا من التحريف والتبديل إلا ما راه من شؤون الدخلاء المفسدين
 الذين يدعون الإسلام وليسوا بمسلمين ويزعمون الإيمان وما هم بمؤمنين
 ولكنهم قوم يؤمنون ببعض الكتاب فيما يري الناس ويكفرون ببعض
 وأولئك هم الفاسقون الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا
 واطمأنوا بها فكذبوا صريح القرآن وجاءوا من التدليس والزندقه بما لم
 يأت به الشيطان (وما الله بغافل عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم
 تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفقتهم

هو اه) وما كان لذلك الفاضل أن يستتج من آيات القرآن الحكيم الحكم الذي قرره على كل مسلم بأنه يجب عليه أن يكون علم هداية كما سبقه بذلك من كان قبله من المتفلسفين الذين أكثروا في الناس من الخطباء والنصحاء حتى أصبح لكل منصوح عشرة من الناصحين وإن لم يصعدوا المنابر ولم يتعهدوا المجامع لأننا نرى أن كل مطلع ولو على صحف الجرائد يعد نفسه كما قال ذلك الفاضل حادثاً طبيعياً وناموساً إصلاحياً كما كان يشعر بذلك من نفسه عند تحرير تلك المقالات حتى أفسدوا أخلاق كثيراً من العامة وكان الله بعباده خبيراً بصيراً

وهل سمعتم أيها العقلاء بمن ضرب في الأرض من أتقياء السلف الصالح بنية الإشراف على شؤون الأمم المتمدنة التي نهى الله سبحانه وتعالى نبيه عن التشبه بهم والتشوف إلى ما افتتنوا فيه بقوله (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة لنفتنهم فيه) كلا ولكنهم كانوا يضربون في الأرض للسبب الذي ذكره الله سبحانه وتعالى بقوله (وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله) فكان منهم من يريد الدنيا أي الرزق المطلوب للمعيشة الدنيوية ومنهم من يريد الآخرة وأولئك هم السائحون الذين يريدون أن يتصدقوا على كل أرض لم يذكر فيها اسم الله بأداء شيء من العبادات فيها لتشبههم في ذلك اليوم المشهود لا كما يضرب أهل هذا الزمن في أوروبا ليقال أنهم من المتمدنين فينفقون أموالهم في سبيل الشيطان وفيما تميل إليه أهواؤهم مما لا يفيدهم فائدة ولا يغني عنهم من الله شيئاً وأولئك هم الذين غرتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور وإنهم ليزعمون

أنهم همو المقلاء ولو أنهم حاسبوا نفوسهم لتحققوا ما هم عليه من الخطياء ولقد عابوا المسلمين باتباع نبيهم وتقليد أئمتهم في الأعمال الصالحة والأخلاق المرضية وإنهم همو المقلدون الأورباويين في كل عمل لا ينتج إلا ضياع المال والعقل والدين ألا هل من عاقل منهم يدعي أنه اكتسب عقلاً أو خلقاً حسناً من تردده على تلك الأماكن التي لا خلاق لأهلها في الآخرة أو استفاد أي فائدة توازي ما خسره من المال ثم يقيم برهاناً صادقاً على صدق دعواه كلا إن الذين لا يؤمنون بالآخرة لفي ضلال بعيد وإخوانهم يمدونهم في النى ثم لا يقصرون

﴿ الباب الثالث ﴾

قال فيه ذلك الحادث الطبيخي والناموس الإصلاحي الذي هو علم الهداية في هذا الزمن أن الله دعا الأمم إلى الخروج من حيز التقليد فإن التقليد استسلام للغير كما قال وتطيل للإختيار وفيه وقوف عن التقدم وجود على أوضاع محدودة ثم زعم أن الله سبحانه وتعالى قد طرقتهم في التقليد بقوله (قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أولئكم جنتكم أهدى منها وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرساكم به كافرون) وقد سماه عبادة بقوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) ثم قال المنتقد في المقارنة لهذا الباب في جريدة يوم ٢٣ جمادى الثانية أما التقليد في الدين والأثر بعة فقد وقعنا فيه وهو ما نهى الله عنه بصراحة لا تقبل التأويل ثم قال ولا ندري على أي آية استند المسلمون في إغلاق باب استنباط الأحكام

من القرآن والسنة على مقتضى حاجات الأزمان والأمكنة والاجيال البشرية
ثم جاء بكلام طويل جاءت به السفهاء من قبله وأطال في مجاله الجدل ابن
تيميا وكثير من المتفلسفين الذين الجأهم الإعجاب بنفوسهم إلا أن يجعلوها
فوق المتقدمين من السلف الصالح في العلم والمعرفة ثم اختتم مقالته بقوله إن
التقليد أسر وهذا دين الحرية والتقليد عمية وهو دين البصيرة والتقليد
جهود وهذا دين الترقى وكيف يكون التقليد من نباني الإسلام وما جاء
الإسلام إلا لتخليص الأمم منه

ونقول إن أمر هذا الدين مبني بين عامة المؤمنين وخاصتهم على أمرين
على إقتداء ومتابعة والإقتداء هنا بمعنى التقليد الذي اجازته هذا الفاضل
في مقالته للمامة والمتابعة هي من صفات الخواص من هذه الأمة ودليلهم
القرآني في اعتناقها هو قوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)
وقوله تعالى (فاتبعوه لعلكم تهتدون) وقوله فيما حكاه عن إبراهيم عليه
السلام إذ قال لآبيه (فاتبعني أهدك صراطاً سوياً) وقوله لنبيه (قل هذه
سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) فجعل المتبعين له هداة
يجب اتباعهم إلى كثير من الآيات القرآنية التي تجهلها هذا المفسر الخبير
ودليلهم من الحديث النبوي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابي
كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم والماقلون يملكون أن الله سبحانه وتعالى
قيض لهذا الدين من خواص عباده أناساً مطهرين عن متاع الدنيا أهواء
والميل إلى الأغراض والغايات اجهدوا نفوسهم في تناول أصوله واحكامه
وآدابه من الثقة العدول حتى كان من أمر الامام البخاري رضي الله عنه

انه علم ان رجلا من رواة الحديث على بُعد من مقره فسافر له اياماً طويلاً
حتى وصل اليه ليأخذ عنه حديثاً فلما جاءه وجدته يستجاب صراجه بشيء من
الملك في حجره وهو منطلق فرجع ذلك الإمام ولم ينقل عنه شيئاً وقال
انه متعایل لا يصلح ان يكون من رواة الحديث وهكذا كان عمل الأئمة من
الفقهاء والمحدثين ولقد كان من ورع الامام ابن حنبل انه لم يأكل البطيخ
لانه لم يعلم كيف كان يأكله رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان ذلك
منهم الا رغبة في وعد الله تعالى لهم بالمحبة على لسان رسوله في قوله
(فاتبعوني يحببكم الله) وفراراً مما وقعت فيه الامم الماضية من قسوة
قلوبهم ومتابعة أهواءهم عند ما طال عليهم الأمد فجاؤا في دينهم بمثل ما يدعوا
الناس اليه هذا الفاضل النبيه الآن من العمل بالرأي والحكم بالاجتهاد
متابعة لظروف الاحوال فأحرمهم الله بركة الوحي فهلكوا ووصفهم
سبحانه بالخيانة وتحريف الكلم عن مواضعه وما كان ذلك الا من عمل
المتفلسفين منهم لانهم في كل زمن وفي كل امة هم المامل القوي في اضعاف
الاديان وفساد العقائد ولكن اكثر لا يفقهون . وما ذلك إلا لانهم
لا يجدون من نفوسهم الأيية باعثاً على المتابعة لأنهم أهل غرور وطمع
وقد وصف الله سبحانه وتعالى حالهم بقوله (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن
الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يشعرون)
ولو أنهم عقلوا مفهوم قوله تعالى (زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون
من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير
حساب) لما انتبهوا انؤمنين ولما سخر وامهم لزعهم أعداء التمدن والحضارة

وأما استشهاد هذا الأديب على ذم التقليد بقوله تعالى (قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) فذلك من الغلط في العلم وما أظنه في هذا الإستشهاد إلا مقلداً للمفسدين لأننا كثيراً ما نسمع هذا الإستشهاد من كل متفلسف وما ندري كيف عقلوا مطابقة الآية الشريفة لما استشهدوا عليه بهامع علمهم أنها نزلت في قوم جاءهم رسول من عند الله بكتاب حكيم وسراج منير لينقذهم من الظلمات إلى النور فعكفوا على الضلال الذي عليه آباؤهم وقالوا إنا على آثارهم مقتدون فقال لهم الرسول (أو أوجنتم بأهلي مني وجنتم عليه إياكم) فهل جاء لهذه الأمة رسول من المتفلسفين بأهلي مني جاء به رسول الله ولم يتبعوه حتى يقال إن مفهوم هذه الآية ينطبق على حال المؤمنين المتمسكين بأهلي ودين الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا إن الذي يدعي ذلك لي ضلال بعينه وهل عامة المؤمنين الآن إذا سئل أكلهم علما بالدين عن دينه يقول أنا مقلد لأبي كلا بل يقول أنا على سنة رسول الله أو دين الإسلام الذي من الله به علي أظن أن العقلاء لا يشكون في قوة إيمان العوام وعدم قبول قلوبهم للشبه التي ضل في فلواتها الفلاسفة المبطلون . وأما قول ذلك العلامة إن الله سبحانه وتعالى سمي التقليد عبادة فما هو إلا من باب المغالطة الجدلية والسفسطة الفلسفية لأننا نجل هذا الفاضل مع ما نراه من سعة علمه وحدة ذهنه أن يستطلع هذا الظن من مفهوم الآية الشريفة لأن الله سبحانه وتعالى ما قال ذلك لأنهم مقلدين لأخبارهم وورهبانهم فيما أنزله الله على رسوله بل قاله لأنهم تركوا أوامر الله ونواهيه واتبعوا أوامر

الرهبان والأخبار وبنواهيهم وقد وصفهم في مواطن من القرآن بالكذب
 على الله وأكل السمحت وتحريف الحكم عن مواضعه وبمحاربة الدين وبكل
 وصف قبيح نرى عليه فلاسفة هذا الزمن فلذلك قال إنهم اتخذوهم أرباباً
 من دونه لأن الذي يعصى الله ويطيع من عصاه فقد اتخذهم إلهاً وما كان
 هذا من شيم المؤمنين وإن كانوا مقلدين لأنهم ما قبلوا أثمتهم إلا في العمل
 بأوامر الله واجتناب مناهيه فلا يكون القبح والطعن فيهم بمعنى هذه
 الآية إلا بهتاناً عظيماً نعيذ هذا الفاضل من شره وشر الإصرار عليه برحمة
 مولانا الحكيم والطفه العميم والله على كل شيء قدير . وأما قوله أن التقليد
 تمطيل الاختيار وفيه وقوف عن التقدم وجوهر على أوضاع محدودة فما أظنه
 إلا جاء به من قبيل الفكاهة كما هي عادة أدباء العلماء الذين يأتون في خلال
 مواعظهم ومدوناتهم بالمضحكات الفكاهية لترويح نفوس المطالعين لكيلا
 يملوا لأنه يعلم علم اليقين أن للدين حدوداً واحكاماً وآداباً تحول نوايسها بين
 المتدين وبين اختياره ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون هذا إذا كان
 المراد بالاختيار أن تكون عبادة الإنسان لربه تابعة لمراده واختياره لأن
 ذلك ممنوع فإن العبادة إذا خالطها الأهواء والشهوات فما هي بعبادة بل
 تكون عملاً ممقوتاً خالياً عن العلم والأدب وإن كان المراد بالاختيار أن يكون
 الإنسان مخيراً بين الإتيان بالرخص أو بالفرائض فما حجب أحد من الأئمة على
 أحد من أتباعهم أن يقلد غيره في ذلك وأما أن كان الاختيار بمعنى عدم
 التكليف فهذا هو الكفر والجحود وأما كون التقليد فيه وقوف عن التقدم
 فلم نعقل له معنى لأنه إن كان المراد بالتقدم هو التشبه بالأورباوين في

اباحة المنكرات مثل الزنا اذا كان عن تراضي وشرب الخمر الخالي عن العريضة
 وغير ذلك من الكبائر فها هو الا التقدم الذي جاء في قوله تعالى (كلا والقمر
 والليل اذا ظنر والصبح اذا اسفر) لها لأحدى الكبائر نذيراً للبشر لمن شاء
 منكم ان يتقدم او يتأخر (فنسأل الله سبحانه وتعالى ان يعيد عباده المؤمنين
 من التقدم الى النار وان كان التقدم هو المتداول على السنة السفهاء الآن
 فليس للدين عليه سلطان وماله على الدين من سبيل لأنه لا سبب له الا
 استبعاد الجنود الحربية ونباهة الحكام السياسيين ورواج الأعمال التجارية
 وكل هذه الأعمال تابعة لحكم العالمين ومقاصدهم فإن صاحبت النوايا كانت
 الأعمال موافقة للكمالات الدينية وإن ساءت المقاصد تبرأ الدين منها وعلى
 هذا يكون اتهم المتدينين او الدين بأنه عثرة في طريق التقدم الدنيوي
 من اغلاط المتصورين وفساد خيال المتخيلين واما الجحود على الأوضاع الدينية
 المحدودة فهو الحال الممدوح الذي ترجي فيه النجاة وهو الذي امر الله به
 المؤمنين فيما اشار اليه القرآن بقوله (شرع لكم من الدين ما رضى به نوحاً
 والذي اوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين
 ولا تتفرقوا فيه) والعاقلون يعلمون ان اقامة الدين لا تكون إلا بأداء واجباته
 ألا وهي اتباع الاوامر واجتناب النواهي في العبادات والمعاملات التي اشار
 اليها ذلك الاديب بقوله فيما سبق ان المسلمين اشتغلوا عن اصول الدين بتعليم
 شيء من العبادات وسمى ذلك الاشتغال جهوداً مع ان المقلاء يعلمون انه
 لولا هذا الجحود الذي كان عليه المتمسكون بالمروءة الوثقي من الدين لكان
 العوبة للمفلسين من زمن غير قريب ولكن الله حفظه من شرورهم

بتمسك أهله به وعضوهم عليه بالنواجذ كما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ندري ما يفعل الله به وبأهله في هذا الزمن الذي أعلن فيه هذا الفاضل الحرب مستعينا بالأغنياء والشعراء وأرباب النفوذ من الأوروبيين وما الله بغافل عما يعملون . ولقد تبين من هذا البيان أن التقليد المذموم مأمور إلا الاتقياء لمن لم يكن على الحق كتقليد أغنياء الأمة وأغنياء فقراؤها للمتلفسين الذين كانت ذخارف أقوالهم سبباً لفساد عقائد محبيهم والمهجين بأعمالهم وأقوالهم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

وأما التقليد الذي هو بمعنى متابعة من تحقق صدقهم وأمانتهم من أئمة الدين في كل ما نقلوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلا يقول عاقل بأنه مذموم بل هو الواجب المطلوب من كل من بلغته دعوة الرسالة لأن كل ناقل لنبا من أنباء الرسالة هو في حكم المبلغ الأول فيجب على من سمع منه البلاغ متابعتة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كلف كل من بلغته دعوته بأن يبلغها نيابة عنه وما هو إلا تكليف شرعي قام به كل امام من الأئمة ومن تابعهم وعلى هذا يكون العامل على قطع هذه المتابعة أو المحارب لأهلها حكمه عند الله سبحانه وتعالى حكم الذين كانوا يؤذون رسول الله ويصدون عن سبيل الله ويفسدون في الأرض بعد إصلاحها وكفى بذلك مقتاً عند الله ولعنة والله لا يهدي القوم الفاسقين

﴿ الباب الرابع ﴾

قال فيه ذلك الأديب أن الدين دعا الأمم للاعتراف بناموس الترقى

واعتماد أن العالم في ارتقاء وتقدم وليس كما يزعم أهل الأديان أنه في هبوط
وتسفل وكشف لهم ذلك بقوله (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) وقوله
لنبيه (وقل ربي زدني علماً) وأصرهم بالأخذ بالأحسن من كل شيء بقوله
(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولوا الالباب)

ثم قال في مقارنة هذا الباب في جريدة يوم الثلاثاء ٢٣ جمادى الثانية سنة ١٣٢٤
أن المسلمين أنكروا الاعتراف بناموس الترقى وحضروا العلم في المتقدمين
وأنهم خاطبوا الله العلي الحكيم إذ يقول لنبيه (وقل ربي زدني علماً) وهم
يقولون العلم انتهى الى هذا الحد . هذا ونحن نريد أن يتف العقلاء معنا
في هذا الموضع موقف التأمل والتعجب فقد جاء هذا الفاضل في هذا الباب
وفي مقارنته بالمعجب المجاب ولولا أنه هو الرجل العاقل الأديب لقلنا أنه
ما حرر هذا التحرير في هذا البحث إلا وهو منفرد بنفسه في هذا الملك
الفسيح حيث لا يظن أن ما عليه عليه الخيال إذ ذاك منظوراً أو مسموعاً ولو
أنه كان ذا شعور بوجود أمة أحاطت بذلك الفضاء الذي كان فيه أنفاس
أفرادها من كل جانب وأحدثت به حداثات آفاقها وصغت إليه آذان
اسماعها لحفظ لنفسه حرمتها وحصنها مما يرمى به أهل التحقيق من سهام
الملام ودرماح الطعن إذا ما أبدى ذلك التحرير نصب أعينهم مساوئته ووقف
بين أيديهم فوق هاتيك الصحف موقف الصبي الذي يرفع ذيله ليقول في
ملاء من الناس

قال ذلك الفاضل إن أهل الأديان يقولون إن العالم في تسفل وهبوط

وذلك لم يكن من أي متدين إلا يعني آخر لم يستطع ذلك الفاضل النصرح
به لمجزه عن إنكار حقيقته عقلاً وشرعاً فجاء بهذا التعبير الذي لا يفقهه إلا
هو وما كان لمتدين أن يقول إن العالم في تسفل في أسر حياته الدنيوية مع
ما يمل به من صدق وتمد الله سبحانه وتعالى ووعد به بأن الساعة لا تقوم إلا
والأتم في أعلى مقام الترقى في الحضارة والمدنية كما هو مفهوم قوله تعالى
(حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها
أنها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس) هذا إذا
كان سراده بالترقى والتقدم اتساع الميشت والتمتع بالرفاهية وقوة
الاستعدادات والمدد في كل شؤون المعيشة وذلك يحتاج إلى علوم شتى
وهي المبر عنها الآن بالعلوم المصرية وبعبارة أخرى بالعلوم الحديثة وإيها
ليست بمصرية ولا حديثة كما يزعم السفهاء من مفلسي هذا الزمن ولكنها
علوم قديمة تداولها علماء قرون أعصر ماضية لم يدرك منها أهل هذا الزمن
غير شواردها والقليل منها ومن جهل ذلك فالينذهب إلى الهرم
والانتكخانات في كل دولة من الدول يرى المعجب وتلك العلوم هي التي
اهلكت أهلها في القرون الماضية لأنهم ما تناولوا معلوماتها بأيدي الآداب
الدينية ولكنهم تناولوها بتخاليب الطيش والغرور وصرفوا كنوزها في
مصارف الإسراف والتبذير الفكري فأهلكهم الله وأتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون وما ذلك إلا مفهوم قوله تعالى حكاية عن صاحب ثمود إذ قال
لقومه (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض
واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب) فأجابوه

بقولهم (يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أنهننا ما كان يبد آباؤنا
وإننا لنفي شك منّا تدعونا إليه صريب)

ثم طال الجدل بين صالح وثمود كل يقيم حجته بما علم فكان صالح يبرهن
على دعوته إلى الله بأن الله هو الذي أسبغ عليهم نعمه فصرفوها في شهواتهم
وهم يحتجون بأن ما هم فيه من النعم من عمل الطبيعية ليس لأحد عليهم فيها منة
وطالما ذكروهم بنعم الله عليهم بما حكاه الله عنه بقوله (واذكروا إذ جعلكم
خلقاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتتخون
من الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) وبقوله
(اتركون فيما ها هنا آمين في جنات وعيون وزرع ونخل طلعها هضيم
وتختون من الجبال بيوتاً فارهين فاتقوا الله وأطيعوني ولا تطيعوا أمر
المُسرفين) فما زادهم ذلك إلا طغياناً وغروراً جهلهم بالآداب الدينية وتغولهم
في العلوم الطبيعية وقال لقومه (إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون
وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى الأ على رب العالمين أتبنون بكل
رئع آية تمبشون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين
فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين
وجنات وعيون إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) فما كان جوابهم إلا
أن قالوا له (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) وفي قوله
أمدكم بما تعلمون دليل على أنهم كانوا علماء بهذه العلوم التي هي قوام ما صنعوا
من أنواع التمدن والزخرفة وما من رسول إلا وجادله علماء قومه وما كانت
علومهم إلا العلوم الرياضية التي هي منشاء الطغيان الملعى ومبدا الفساد

الاعتقادي ولولا تلك المعلوم لما توسعت هاتيك الأمم في عمل تلك المصانع كما توسعت أمم هذا الزمن في عُددها ومصنوعاتها وزخارف امتعتها ولما فسدت عقول العلماء بها وعقائدكم وأحوالهم ولما ساءت معاملتهم لربهم كما كانت عليه الأمم الطاغية وكان أمر الله قدراً مقدوراً

وليست هاتيك المعلوم هي المرادة من قوله تعالى لنبيه (وقل رب زدني علماً) كما زعم ذلك الفاضل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لم يستحسن من بعض أصحابه أن يعتمدوا في استنتاج ثمار النخيل على التلقيح ثم أهملوه عاماً فلم يحسن الثمر واخبروه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اتم اعلم بأمر دنياكم والله سبحانه وتعالى يجلب نبيه عن أن يشغله بعلم حطام زائل ونعيم باطل ولكنه امره بطلب زيادة العلم الأدبي الذي هو مزرعة المزايا ومقر الوقار وملاك الحياء والحشمة وغرس الاستقامة وعرش الكمال ومنبع التواضع واصل كل خلق كريم وما نزلت الآية الشريفة على حلتها حتى يتوهم ذلك الفاضل أنها تشمل كل علم تتلاعب به السفهاء ويجهلون صولجان الاعجاب ومهرجان الزهو ولكنها نزلت وراء قوله تعالى (وكذلك أنزلناه قرآناً عسرياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكراً فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى اليك وحيه وقل رب زدني علماً) فهل لعاقل ان يفهم أن هذا الامر عام يطلبه كل ذي علم اذا كان للراقة ومديره شؤون الاوتار والدفوف مثلاً ان تقول رب زدني علماً فليوجب العقلاء من اقتدار القدرة العلية التي غيبت هذا الشاب العاقل الفاضل في زمن ذلك التحرير عن معالم

رشده حتى غشيت بصيرته النيرة غياهب هذا الوهم الواهي وتسلط على
 قلبه السليم ذلك الظن السيئ والله على كل شيء قدير
 واما قوله تعالى (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) فقد فهم ذلك الاستاذ
 من خوى هذا الخطاب الكريم ان الله سبحانه وتعالى يقول للقوم الذين
 كان فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اننا لم نؤتكم الا قليلا من العلم
 وقد خبأنا العلوم العالية حتى يفيض ختامها السيد فريد وجدى ومن عاصره
 من علماء اوربا والذين يلونهم حتى تتقدم الامم تقدم ما لم يخطر لكم على بال وما
 كانت هذه التخيلات الخالية من الصحة هي مفهوم تلك الآية الكريمة لانها
 جاءت تيمناً للجواب عن سؤال قوم جهلاء يريدون ان يسألوا رسولهم كما
 سئل موسى من قبل فأوحى الله لنبيه تعليماً له ما يجيبهم به اذا هم سألوه قوله
 (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا)
 يريد سبحانه وتعالى اظهار سفاهة احلامهم لانه لا حق اشد من حق جاهل
 يجهل حقائق ظواهر الاشياء ثم يسأل خصمه عن بواطنها فكأن الله سبحانه
 وتعالى يقول لنبيه قل لهؤلاء القوم انكم لتسألون عن امر عال لا يسأل عنه
 الا من علم حقائق ما بين يديه وما علمتم الا قليلا من المعلومات فجاء هذا
 الفاضل يدعي ان الله سبحانه وتعالى يشير بخطابه الشريف الى انه ما آتاهم
 من العلم الا القليل وسيعطى اهل القرون التي بعد الثلاثة عشر قرناً باقي
 العلوم حتى لا يبقى عنده علم الا ويظنهم عليه اذا هم تتبعوا المعلومات حتى
 تقابلوا معه وجهاً لوجه فيعلمون ما يعلم ويمثلون ما يعمل كما صرح بذلك
 ابن رشد وغيره من الفلاسفة او كأن ذلك الفاضل توهم ان الله سبحانه وتعالى

يقول لبيد ومن معه انا لم تؤنكم الا قليلا من العلم واما كثير العلم فسؤتيه
 لابن سينا وجمال الدين الافغاني وعلماء اوربا وغير ذلك منا لم نقف له
 على حقيقة وما أردنا بما عرضناه على عقول العقلاء تصغير ذلك الفاضل
 ولا تويحه كلا والله لا نريد بذلك إلا إعلان الخيرة الفكرية لعل عاقلا
 أن يتكروم علينا بتوضيح ما جاء به ذلك الفاضل وإنا إن شاء الله لمهتمون
 وإن كان مراد هذا المليم الحكيم بقوله إن أصحاب الأديان يزعمون
 أن العالم في تسفل وهبوط ماورد به القرآن من أسر اقتراب الساعة وذلك
 هو الذي قلنا من قبل أنه أخبأه في زوايا التعبير حتى لا يفقهه إلا من سبق
 له الإطلاع على اقوال جمال الدين الافغاني والمتقولين من أتباعه فذلك
 أمر مغيب وإنه لمن الأنباء الغيبية التي أصبحت منكرها ومندعها في إيراد
 الأدلة العقلية عليها سواء لأن العقل مهما بلغ من مقادير الوفرة والكمال
 لا يدرك حقائق مستقبل الموجودات ولو صح ذلك لعلم العاقل يوم موته
 وما سيصير في مستقبل أيامه وهذا لم يكن ولن يكون والجاهل بشؤون
 نفسه هو بشؤون غيره أجهل وإذا يكون المتدينون في علم ذلك أقوى سندا
 وأقوم مستندا وبهذا لا يكون لذلك الأديب حق في الحكم بسفاهة
 احلام المتدينين ولقد تشككنا في شأن ذلك الفاضل عند قوله وليس كما
 يزعم اهل الأديان فكأنه أنسخ من المتدينين ثم قال في موضع آخر نحن
 أبناء الدين وأحبائهم فكأنه تمسك في كل أحواله بما ذهب إليه سفهاء
 الفلاسفة من وجوب محاببات الأزمان ومراعات ظروف الأحوال في كل
 قول وخال وعمل فهو لذلك يدخل نفسه في المتدينين مرة ويخرجها أخرى

وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم

وأما استدلاله بقوله تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول
 فيتعجبون أحسنه) على أن الله أباح للأمة متابعة كل ذي قول مزخرف
 وأن هذا يفيد أنه إذا وجد في المتأخرين من هو أعلم من المتقدمين يجب
 اتباعه وأن قول المؤمنين أن العلم انتهى حده بانقضاء آجال أهلهم جمعهم
 فما هو إلا استدلال على أمر موهوم أو حكم خيالي حكمه المتخيل لأن مراد
 الله سبحانه وتعالى بأحسن القول كلامه القديم الذي هو أصديق الحديث
 وأحسنه وليس يريد من عباده الإغترار بخرفة الأقوال وسفطة المسلمين
 التي أهلكت كثيراً من أهل هذا الزمن لأن أحسن الحديث المتبع هو
 ما ينتج النجاة في العاجل والآجل وبرشد إلى الإستقامة في القول والحال
 والعمل وما من حديث يكسب هذه الحظوظ الوافرة والمزايا الطاهرة إلا
 حديث الله وحديث رسوله والداعين إلى الله من بعده قال الله تبارك
 وتعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من
 المسلمين) والعقلاء من الناس يعلمون من هم الداعون إلى الله من طوائف
 العلماء وما اظن أن العامة يجهلون ذلك لأن السفية اللاحق الذي يدعوا
 الناس إلى التشبه بأهل أوربا وإلى العلوم الرياضية لا يجد من نفسه قدرة
 على أن يدعي أنه من الداعين إلى الله سبحانه وتعالى فلا ادري كيف أتى
 ذلك الفاضل بقوله تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتعجبون
 أحسنه) دليله على أن المسلم يسوغ له أن يترك هداية المتقدمين من أئمة
 الدين المجتهدين وكبار الصوفية المحققين ويتبع الزائغين المزخرفين الذين

يجزون التشبه بمن لا دين لهم ولا يتناولون علومهم الا من فلاسفة
الأورباوين ثم يحرفون كلام الله عن مواضعه ويحللون ما حرم الله بفتياهم
فهل الذي يخون الله بأن يفسر كلامه بما يلائم اغراضه وهواه ويخون
رسول الله بنسبته الى أنه كان يعمل للحضارة والتمدن ورفع شأن قومه بين
الأمم ويخون المسلمين في تزوين ما يمتقته الله لهم من الاعمال والاعتقادات
يجوز لمن ان يضافه فضلاء عن متابعتة الى طريق الشيطان الذي حذرنا الله
منها بقوله (انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير)

ولا أدري كيف ساع لتلك الماضل ان يأتي بشرط الآية دليلا على
ما يريد ويترك شطرها الأول مع شدة ارتباط الكلام ببعضه فهل هو في أمة
تناست كتاب الله تعالى ام يظن ان قراء جريدة المؤيد كلهم كفار وفلاسفة
فلقد قال الله تبارك وتعالى في سورة الزمر (و الذين اجتنبوا الطاغوت أن
وانابوا الى الله لهم البشري فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولوا الالباب) فمن سياق الآية
يعلم القراء ان الله ما جعل البشري الا للذين اتبعوا قول الله ورسوله وما قال
الله سبحانه وتمالى تنافسوا في الدنيا وما بقوا اهلها إليها ولكنه أمر بتناول
الانسان نصيبه منها قل او كثر بيد الاعتدال والاستقامة حلالا طيبا مع
اداء الشكر لموجد الاشياء ومر خصها ومذلل الانعام ومكور الليل على النهار
وما قال اتبعوا كل من جاءكم بكلام مزخرف ولكنه قال اتبعوا الرسول
الذي الامى وخوفنا من الانقطاع عن متابعتة بما حكاها عن الامم الذين طال
عليهم الامد بينهم وبين رسلكم فقتل قلوبهم وغيروا وبدلوا في دينهم

وما سلكوا ذلك المسلك الا من طريق الفلسفة التي يريد ان يسلكها
 بنا هذا الفاضل كمن سبقوه من أئمة الفلاسفة مع أن المروم وأصحاب القلوب
 السليمة من علماء الأمم لا تقبل قوايلهم سلوك هذا المسلك الذي لم يخلق
 الله من هم له أهل الا المتفلسفين لانه مسلك يحتاج الى دهاء ومكر
 وخدعة وتحايل وتدليس وزخرفة أقوال وتظاهر بحسن أعمال وإثارة
 فتن وحسن سياسة وتحسين القبيح وتقبيح الحسن وتليبس الباطل ملابس
 الحق ويحتاج الى إتقان فن النفاق والتملق والزندقة وغير ذلك من الاوصاف
 الشيطانية وأرياب القلوب السليمة من المروم والعلماء لا تقبل قوايلهم ذلك
 فلماذا قلنا ان التبديل والتغيير الذي حصل في الاديان السابقة ما كان
 الا من المتفلسفين الذين هم اصحاب الفتن وكانوا احق بها وأهلها وكان الله
 بعباده خبيراً بصيراً

وأما قول الفاضل ان المسلمين حصرنا كل العلم في الأقدمين
 وجهدوا مع ما قالوه وحكموا بلزوم الوقوف معه ولو عارض مقتضيات
 الأزمنة والامكنة

فإنه قول لا محل له من الاعتدال ولم يكن بقول حكيم عليم ورعاً
 كان صدوره عن سهو أو سبق قلم لأننا لا يجثمنا باعث على القول بأنه يجهل
 ماهو العلم وما هو الدين إذ من البديهيات التي لا يجهلها من له أقل حظ
 من الذوق والادراك وحسن التصور أن المعلوم لا تحصى أعدادها وكل
 علم له معلوم هو متعلقه وكثرة المعلوم تابعة لكثرة المعلومات وكل علم
 مضاف في التعريف الى متعلقه فيقال علم التاريخ وعلم المنطق وعلم البيان

وعلم الحديث وعلم الفقه وعلم التصوف وعلم الأخلاق وغير ذلك من
العلوم وللمدين علوم خاصة به وللدنيا علوم تخصها وما جاءت معلومات الدين
الا من طريق الرسالة ومنها ما هو محدد ومسنون لا يجوز الإبتداع فيه
كأحكام المفروضة والحدود القصاصية التي جاء بها صريح القرآن ومنها ما هو
غير محدد كآداب والأخلاق فكان متعلق علم الفقه بالمعلومات المحددة
المسنونة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن القرآن الحكيم وهو
علم لا يزيد فيه مخلوق ولا ينقص لانه هو العلم أى المعلومات التي عناها الله
بقوله (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام
دينا) فخرن المسلمون هنالك وعلموا أن اجل النبي قد قرب

ومن ذلك علم الآداب والأخلاق الذي اقتبسه القوم المطاهرون من
أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم المشار إليها بقول أم المؤمنين كان
خالقه القرآن فتأدبوا بما علموه وتحققوا منه بما تحققوه وتناولوا ذلك تابعا عن
تابع وقد كان حكم تلك الحدود والأحكام والآداب في الإسلام كحكم
حروف الهجاء في الكلام فكما انه ليس في طائفة متكلم عربي أن يأتي
بحرف زائد على حروف الهجاء فكذلك لا قدرة لمسلم أو غير مسلم أن يأتي
بخلق ككالي أو أدب ذوقي أو حكم شرعي لم يكن معروفا للمتقدمين وعلى
هذا البيان يكون الجود على متابعة المتقدمين من اكل مزايا الانسانية
والانحراف عن متابعتهم من أخس النقائص ولو ان ذلك الفاضل تفتن
لحكمة مشروعية الدين لا اعتدل في قوله ولا كنه شطح وراء من شطحوا
ثم تناول الدين بيد الاجنبي المتلاعب فانكمش منه وتحجب كما هي عادة

الملاح إذا صادفهم من لا يحفظ لهم حرمة ولا يرجوا لهم وقارا
وأما العلوم الدنيوية المعبر عنها بالفنون الرياضية الآن فما هي من
الدين ولا هي من مهمات الاتقياء ولا من ضروريات أهل الخشية من
العلماء ولكنها من لوازم السياسة والروابط العمرانية والإصلاحات
الحديثة التي أشار إليها الفاضل في مقالاته ولكل معلوم عالم ولكل مسلك
سالك ولكل غاية طلاب ولكل مليحة أحباب

وأما العلوم الوهية التي امر الله نبيه بطلب الزيادة منها فهي علوم
ذوقية لا أحد يحدها ولا أراد يردها وهي للأتقياء في مقابلة الإلهامات
للأشقياء الذين أشغفهم الله عنه بما بين أيديهم من الشؤون والشهوات وهو
مفهوم قوله تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) وذلك مدد
لا ينقطع ما دامت السموات والارض (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من
عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) (ولقد فصّلنا الآيات لقوم
يعقلون) (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا
اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل
يشوي الوجوه بأش الشراب وساءت مرتفعها) ومن أظلم ممن ظلم نفسه
بالركون إلى الضلال بعد ما تبين له الهدى فاليستعمل العتلاء عقولهم
واليستمعدوا أفكارهم في هذا الموقف الحرج والمقبة المخيفة ليتبينوا طريق
النجاة فإن زخرفة الأقوال لا تغني من الحق شيئا وكفى العتلاء موعظة
ما حكاه الله عن إبليس من قوله لم تبعيه (وما كان لي عليكم من سلطان إلا
أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) فلي الافندي العاقل

والبيك الرشيد والباشا المتمايز وطالب العلم الفطن والعالم النبيه والقاضي
الشرعي والأهلي وكل من تحوزه دائرة الإسلام أن يتثبت في هذا
الزمن ويتبصر في كل ما يدعوه إليه الداعون تبصر الحكيم المحترس الذي
يرى النار خلفه والموت أمامه ويرى حوله ذئاباً وثعالب وأسوداً ضارية
ويرى المأمَن وهو ما والداعين إليه مختلفين في الإشارات وفي المواقف فن كان
ذاعقل وافر وفكر سليم لا يلقى بنفسه إلى الهلكة بمجرد دعوة من أي
داع إلى أي مأمَن بل يتخير الداعين ويؤم مأمَن الآمين والله يقول الحق
ويهدي السبيل

﴿ الباب الخامس ﴾

قال فيه ذلك الفاضل النبيه أن الله حدَّ للعقل وظيفته سواء في
المعارف العلوية أو الأرضية فاما من جهة المعارف العلوية فقرر له بقوله تعالى
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً أن إدراك الله فوق
متناول العقل فليس لنا إلا مجرد الإعتقاد بوجوده على أتم وجوه التنزيه
وأما من جهة المعارف الأرضية ففتح لنا كتاب الطبيعة وأمرنا بدراسته
قائلاً (أنظروا ماذا في السموات والأرض)

ثم قال في مقارنة هذا الباب إن المسلمين تعدوا تلك الحدود وجافوا
ذلك الأصل الذي هو من أصول الدين وقضوا قروناً طويلة في مناظرات
عجيبة ليست من وظيفة العقل مثل قولهم هل صفات الله عين ذاته أو غيرها
وهل الله في أحكامه يراعي فعل الأصلاح أولاً يراعيه إلى أن قال إنها تراكم
معجزة لا تفيد الطالب شيئاً

وعن ذلك نقول إنه قد افاد المقالة بما جاء به في هذا الباب من الإعتراض العلم بأنه غير عالم بحقيقة الجدل الذي وقع بين أهل السنة وبين المعتزلة في نسبة أعمال الإنسان ومعرفة مصادرها فقال العقلاء إن الله هو الخالق لجميع الأعمال ولكن الإنسان هو مصدرها الملمهم أن الله هو خالق كل شيء وهو الميسر والميسر وممد القوى الباطنية والظاهرية وهو خالق القوابل والإستعدادات والمخصص لكل قابلية عملها في جميع أنواع الموجودات لأنه المدبر الحكيم المبدع لهذا النظام التكويني ومن كانت حكمته منزهة عن السبب وأعماله بعيدة عن الملل والأغراض لا يسأل عما يفعل

وقال الجهلاء كيف يكون هو الفاعل والمخصص والميسر ويكون العذاب واقعا على من صدر منه العمل فلماذا لم يفعل ما فيه المصلحة لعباده وفي هذا الموقف الخرج ضل من ضل واهتدى من اهتدى وذلك الموقف هو انفصل بين السعداء وبين الأشقياء فما نجا من نجا من العلماء إلا بتجاوز هذه العقبة ولا هلاك من هلك إلا بالخوض في ورطات أوحاها وقد تهاون بها الطبيعيون وسخروا بأهلها فهلكوا وهم لا يشعرون وما كان نزاع العلماء في هذا الموضع إلا رحمة بالعوام لكيلا تهوى بهم شبهات أهل الضلال في مصارع الكفر والفسوق كما هوت بأهلها وأما النزاع في مسألة الصفات فما هو بحث في الذات كما يقول ذلك الفاضل ولكنه فرار من دعوى تعدد الآلهة لكيلا يظن الجهلاء صحة اعتقاد المسيحيين في أن الله ثالث ثلاثة فلذلك اجهد العلماء نفوسهم في توسيع نطاق الإستدلال النظري ليحولوا بين طلاب العلوم الدينية وبين الشبهة الزيفية فكان ذلك حسرة في قلوب الطبيعيين الذين

لا يمينهم ذلك البهت وظالما اعترضوا العلماء من قبل ذلك الفاضل واستقدمهم
وإنهم والله لفي ضلال بعيد وإنا لا نجد فيما نعلم قولا حقا ينطبق مفهومه على
حال أولئك الضلال إلا قول الله تبارك وتعالى (فأما الذين آمنوا فعملهم أن
الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) وما علينا
إلا أن نبين لهذا الأديب أن اتباع مناهج المضامين الضالين لا يجمل بأمثاله
لأننا ما سمعنا عنه إلا خيرا وكذلك ما سمعنا بأحد من العلماء بحث في ذات
الله ولا ادعي أنه احاط به علما كما أدعت الفلاسفة ذلك بما سبق ذكره من
قول ابن رشد أن الباحث في المعلومات الكونية متى تنهى بحجته قابل ربه
وجها لوجه فيعلم ما يعلم ويعمل ما يعمل وهذه هي عين الإحاطة به علما وأما
الذين تنازعوا من المسلمين فيما ذكره هذا الفاضل فما كان نزاعهم إلا لدواعي
دينية وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أرسل رسلا وأنزل كتباً ينادون
بأن هذه الموجودات لها موجد لا تدركه الأبصار ولا تصل إليه المدارك
الحسية ولا التصورات الفكرية ولكنه تعرف خلقه بأسمائه وصفاته
وأفعاله وكان من جملة أفعاله إرسال رسوله الكريم وتأييده بما بهر العقول
وأدهش الأفكار فآمن الناس في زمن الرسالة بالله ورسوله وكتبه إيماناً عن
عيان وشهود ذوق كالتصديق بالمشسوس برأيا العين لأنهم عاينوا آثاراً ظاهرة
يقينية عيانية لم يحتم حول إدراكهم لها بالمدارك الحسية والمعنوية شك
ولا ارتياب ياجوهم لاستعمال مباحث النظر والاستدلال ثم تابهم في ذلك
الإيمان التابون لهم ثم من تابهم فلما تقدم العهد ظهر المنفسفون الذين
ذكرنا من قبل أنهم جرتومة الفساد في كل أمة متدينة لأنهم إخوان الشياطين

وأعوانهم بل هم شياطين الإنس فأخذوا في إحداث البدع وإنكار ما أثبتته
الرسالة من أن الله هو خالق كل شيء وزعموا أن الإنسان بل وكل ذي
عمل تأثيرى هو مؤثر بطبعه وعامل بما هو مودع فيه من القوى التى
وهبها له ذلك الموجد الذى زعم الفاضل أنه ليس لنا إلا مجرد الاعتقاد بوجوده
فتعطن المسلمون لهذه الخدعة التى ما وراءها إلا نسبة الأعمال للطبيعة وقواها
التمالة كما يزعمون فنادوا في الناس بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الدعوة إلى معرفة الله تعالى الذى هو خالق الطبيعة وموجدها من
طريق أسمائه وصفاته وأفعاله فوقع النزاع بين أهل السنة وبين المتفلسفين
الذين منهم المعتزلة والجبورية وغيرهم وذلك ما هو إلا مصداق قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتى ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل
بالنعل حتى إن كان فيهم من أتى أمة علانية لكان من أمتى من يصنع ذلك
فإن بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاث
وسبعين ملة كلهم في النار إلا ما عليه أنا وأصحابي وهذا هو الذى الجأ أهل
الإيمان إلى الجمود على ما نقله الأئمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما كان تنازعهم مع الرافعين من الطوائف الأخرى إلا خوفاً على عقائد
العمامة من الشك والشرك والزيغ الذى هلك في مصارعه المتفلسفون من
حيث لا يشعرون وهل النزاع في مسألة أو مسألتين أو مائة مسألة أبدي
فيها كل ذي رأي رأيه يقضى بأن الفوم قضوا قروناً في ذلك النزاع مع أن
الباحث في مؤلفاتهم عن تلك المسائل من بين ما دونوه من مسائل
الهدى والإرشاد والآداب الدينية والأحكام الفقهية في العبادات

والمعاملات التي شرعها الله لعباده وبما قضى زماناً طويلاً ولم يوصله البحث إلى الوقوف عليها إلا برشد لآئها لم تكن في جانب مادونه شيئاً مذكوراً وما كان ذلك النزاع شاغلاً لهم عن تصحيح كل منقول ديني على الوجه الذي يرضاه الله ورسوله فجزاهم الله عن الأمة وعن الدين خيراً إذ لولا أن الله القدير الذي هو رؤوف ولطيف لعباده جعلهم حاجزاً بين العامة وبين الفلاسفة لعموا بهم في تلك الأزمان ما فعلوه بأهل هذا الزمن الذي ظهرت فيه الفتنة التي نقلها هذا الفاضل في مقالاته عن سفيان ابن عيينة وهو عن ربيعة إذ رآه يبكي فقال له ما بك بك فقال رياء ظاهر وشهوة خفية والناس عند علمائهم كالصبيان في حجبهم أمهاتهم فظن هذا الفاضل أن ذلك الإمام كان يبكي على تقليد الناس للعلماء فجاء بكلامه دليلاً على مقت التفليد وإنه اغلط في العلم وفساد في التصور لأن بكاء ذلك التقى كان على حال العلماء الذين يظهرون الزهد والتقوى والشهوات ملاء بطونهم لعلهم أن ذلك هو السبب الأقوى لفساد أحوال العامة لأنهم كالصبيان في حجبهم والصبي الذي في حجب أبيه تابع لأبيه في فساد الأحوال وصلاحها فيكون المحدث سبب الفساد هو الوالد لا الولد لأن الآباء مسؤولون عن حال الأبناء ومتى فسد حال الآباء فسد حال الأبناء فكان فساد حال العلماء هو سبب بكاء ذلك التقى إذ لا يتصور عاقل أن الناس كلهم يكونون علماء وأولى بحث وتدقيق وتنقيب عن المنقول لأن الغالب منهم مشغول بأمر دنياه وما جعل الله منهم لوظيفة البحث في المنقول والتدقيق ونقل المعلومات الدينية إلا القليلين فمن أراد أن يكون الناس كلهم غير مقلدين فما أراد إلا تبديل سنة

الله ولن تجد لسنة تبديلاً وإن تجد لسنة الله تحويلاً ولقد صدق القائل
وما آفة الأخبار إلا زواتها لأن هذا الفاضل لو كان من أهل هذه الطائفة
أعنى طائفة الصوفية لفهم عن ربيعة كلامه وما معناه إلا هي ما حكاه سفيان
ابن عيينة بعينه عن الفضيل بن عياض رضي الله عنه إذ قال له كنتم معاشر
العلماء سراج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمة وكنتم نجوم ما يبتدى بكم فصرتم
حيرة أما يستحي أحدكم أن يأخذ من مال هؤلاء وقد علمتم من أبي هوشم
أسند ظهره وقال حدثني فلان عن فلان وسفيان مطأ طاء رأسه وبسمع
فرفع رأسه وقال هاه هاه والله إن كنا لسنا من الصالحين فإنا نجهم فسكت
الفضيل ثم طاب منه سفيان الحديث فحدثه ثلاثين حديثاً عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد كان سفيان عالماً ولكن ما استنكف أن يتعلم من الفضيل
ولا أن يقتدي به وما كان بكاء ربيعة وكلامه إلا تملأ سفيان لامقاً للعامة
المقلدين لعلمائهم ولو أن ذلك الفاضل تبين سنة الله في خلقه حيث جعل
المتقدم قدوة للمتأخر حتى في الحرف والصنائع لما تهور هذا التهور الذي خرج
به عن دائرة الإرشاد والنصح إلى حوزة الإغواء والإضلال والتمية بين الله
وعباد به ما يعلم الله أنه باطل ولا موضع له من الصدق فكان حكمه عند ربه

حكم القائل وهو في سكرات الموت ما نقله عنه النافلون حيث قال

ولست أبالي أن يقال محمد أبلي أم اكتظت عليه المآثم
ولكن دينا قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العاظم

فكان هذا مصداق قول الإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى

عنه إذ قال من لم يتغافل في علمنا هذا مات هراً على الكبار من حيث

لا يشمر يريد علم الصوفية ومصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يموت المرؤ على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه وقد كان ذلك الفقيه
 مفر ما بذم العلماء فلم تشغله سكرات الموت عن اعتناق تلك الشهوة عند
 الاحتضار ولم يتفطن الى أن الغيبة والإزدراء كبيرة وأنه ربما كان هو
 المضيع للدين بما كان يعمل ولولا تحجير رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا
 بقوله اذكروا محاسن موتاكم لآظهرنا حقائق الامور وبيننا كل مستور
 ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة (وإنه لقدير
 ويعفو عن كثير والله غفور رحيم

وإن المعتلاء ليمامون أن الاستشهاد بالآيتين لا يقع موقع المطابقة
 التي تكون بين الدليل والمدلول لأن قوله تعالى (ولا يحيطون به علما)
 لا ينفي غير الإحاطة به وهي في نفسها لا يتصور وقوعها متصور لأن
 الصنعة لا تدرك الصانع إلا إذا أودعها قوة ذلك الإدراك والله سبحانه
 وتعالى لم يعط مخلوقا قوة الإحاطة به ولكنه ما حجب بهذه الآية أو
 غيرها على العقول أن تحاول معرفته بل طلب منها ذلك بإشارة قوله تعالى
 (قل انظروا ماذا في السموات والارض) فحول ذلك الفاضل الحقيقة
 عن مفهوم الآية وحرفها الى ما زعمه من أن الله فتح للناس كتاب الطبيعة
 ليدرسوه وما ورد اسم الطبيعة في القرآن ولا في أحاديث رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بل أن رسول الله حكم بكفر من يقول مطرنا بنوء كذا
 يشير الى اعتقاد البدو إذا عابوا الرياح التي تتقدم الأمطار في الغالب لأنها
 هي التي تحمل السحاب فيسوقه الله بها إلى أي مكان يريد فيسمونها أنواء

ثم يقولون مطربانوه كذا فيظنون أن التأثير في إيجاد المطر للأنبواء والحقيقة
أن المؤثر هو الله ولو أن هذا الفاضل تبين أن الوقوف عند الطبيعة كان
سبباً لوقوع أقوام كثيرة في مهواة الزيف وزلة الأقدام لما اتخذ الآية
الشريفة دليلاً على هذا المصراع الوخيم والله در الصوفية فإنهم لا يأتون
بيوت الإرشاد إلا من أبوابها ولذلك تبيينوا من قوله تعالى (الله نور السموات
والأرض) مفهوم قوله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والأرض)
وقوله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم
يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) فتحققوا أن مراده تعالى من تطاول
اعناق افكارهم وشخوص أبصار بصائرهم معرفة أنه مع كل شيء وفي كل
شيء ووراء كل شيء فما استحقروا شيئاً ولا أعرضوا عن شيء خوف
الوقوع في قوله (وكم من آية في السموات والأرض يرون عليها وهم عنها
معرضون فكان حالهم مع العوالم حال القائل

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفت قلبي ولكن حب من سكن الديار

وأما الطبيعيون فقد احتجوا بالجدار عما وراء الجدار فكانوا من
أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ومن أظلم ممن نصب له الحبيب أعلاماً
ليستدل بها عليه ويصل بها إليه قبل أن يحول بينه وبينه حائل الموت فتشاغل
عنه بتلك الدلائل حتى حيل بينه وبينه بحائل لا يتحول ومن أسوأ حالا ممن
فتح الله له أبواب التعرف فأغلقها على نفسه بنفسه وفتح لنفسه باب العوائق
والقواطع ولكن الطبيعيين يقولون إن البحث في الطبيعيات أقرب دلالة

على الله من كل طريق وإيهم والله لكافون لأنه لو كان كذلك لكان
الأطباء هم أولياء الله وأحبائه وإنا لا نجد في الناس من هو أقسى قلباً منهم
إلا أوباش المومنين وكذلك كل طبيعي كلما تفول في تفقد تلك المملومات تباعد
عن ربه بعلومه وعمله لأن كل عمل لا يكون باعته متابعة السنة مردود على
عامله والكن أكثر الناس لا يفقهون

وعلى هذا البيان يرى العقلاء أن المسلمين ما تركوا شيئاً من أصر
دينهم إلا من كان منهم من أهل الملاحى أو من ناشئة هذا الزمن الذين
أضرت بهم الفلسفة أيما ضرر وأساءتهم في دينهم أيما إساءة وكانت حاجزا
قويا وسدا حديدياً بينهم وبين ربهم الذى ما قطع إحسانه عنهم طرفه عين
فتراهم يتقلبون فى نعمه ويتعرضون بها الى سخطه ونقمه حتى أصبح المومنين
أحسن منهم حالاً وما لا

ولقد أضرت بهم كتب التواريخ ومعلومها ضرراً بليغاً لأنهم توهوا
أن طول أمد الدنيا وقدم عهد وجودها دليل على أن كل ما فيها طبيعي
الوجود وما ذلك الا من سيئات تعبير المؤرخين وسوء تفهيم المعلمين فقد
القوا إليهم أن المتدينين يعتقدون أن مبدأ الدنيا وجود آدم وما ظهر آدم إلا
من عهد قريب لا يتجاوز سبعة آلاف سنة تقريباً ولدينا أقدم من ذلك
بملايين من السنين ثم استدلووا بذلك على قصور أفهام كل متدين وما كان
القصور إلا في أفهامهم وما كان الضلال إلا في ظلمات شبهات إعتقاداتهم
لأن عقلاء المتدينين يعلمون أن آدم آخر الموجودات وجوداً وأنها تقدمته
بأمد غير قريب ولكنهم لا يشغلون أنفسهم بما لا يفتيهم لأنه لا أثر في

البحث في الموجودات إلا معرفة الموجد والإيمان به وإنهم يعلمون أن مجرد الإيمان به لا يستجاب رضوانه ومحبهه وكل عبد محتاج إلى رضوان سيده ومحبهه وصريه التقرب إليه فبحثوا عن طريق التقرب واستجاب الرضوان فما وجدوا سبيلاً غير سبيل الخدمة واستعمال الآداب التي جاءت بها الرسالة فاشتغلوا بهامع إجهاد نفوسهم في مدافعة الذين يصدون عن ذلك السبيل بالنزاع الذي مقته هذا الفاضل في مقاله وربك أعلم بمن هو أهدي سبيلاً

﴿ الباب السادس ﴾

زعم ذلك الفاضل أن الله سبحانه وتعالى دعا الأمم إلى اعتقاد أن كل نفس مسئولة عن ذاتها وحاملة تبعه أعمالها على عاتقها لا يغني عنها أحد شيئاً ولو كان من المرسلين وضرب لهم مثلاً بصراة نوح وامرأة لوط في قوله تعالى (فلم يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين) ثم بنى ذلك الفاضل على هذا المثل الذي ضربه الله تعالى أن الوساطة ممحوة بين الله وبين عبادة بسبب ذلك المثل وقال إن الله ماض به إلا ليخلص ما بين الرب ومربوبه ثم قال في المقابلة السادسة إن المسلمين أعرضوا عن ذلك كله وزعموا أنه يكفي الإنسان أن يقول إني قلدت فلاناً مع أن العلماء الذين يؤخذ عنهم تبرؤاً من تبعه تقليدهم وقال بعد ذلك إن هذا هو مكان الأمة الإسلامية اليوم من الأصول الستة القرآنية والتمس لنفسه عذراً في ما جاء به من الغلظة والتهور والحكم بكفر الأمة ثم رجع بعد الاعتذار إلى ما هو

أشد تهورا وغلظة بقوله إن هذا الدين يجب محاربته ثم أوعده بتعريف المضار
التي تنشأ عن ذلك الجود بقوله من أراد معرفة ذلك فوعده الفد
وعن هذا الباب نقول أما ما جاء به من أن كل نفس مسؤولة عن
ذاتها وحاملة تبعه أعمالها فذلك هو الامر الذي تدور عليه دوائر التكليف
الشرعية والآداب الدينية والاحكام الفرضية والحدود القصاصية وقد قال
الله تبارك وتعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) وكم في القرآن من آية
دالة على ذلك منها ما هو بصرح المباركة كقوله تعالى (وكل إنسان الزمان
طأره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) اقرأ كتابك كفي
بنفسك اليوم علينا حسيبا) ومنها ما هو من طريق الإشارة كقوله تعالى
(يوم ينظر المرؤ ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا) وما
ترك هذا الفاضل كل آيات القرآن وجاء بهذا المثل إلا لفرض يتبعه وغاية
يطالبها ولكنه لم يصب مرماه لأن المثل الذي ضربه الله في القرآن لا ينطبق
مفهومه على ما يريد ولأن الذي ذكره من الآية ليس هو كلها ولكنه جاء
بالمسبب وترك السبب ليقع الاستشهاد في نظر المطالعين لا قواله موقع المطابقة
لما يدعيه وذلك تلاعب بالدين وخوض في آيات الله وتحريف لها عن
مواضعها قال الله تبارك وتعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح
وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما
من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) وضرب الله مثلا للذين
آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من
فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنة عمران التي أحضنت فرجها

فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين (وما جاء هذا المثل إلا بعد آيات نزلت في بعض أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالحوا المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسي ربه إن طلة كن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) إلى أن قال (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسي ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم) إلى آخر الآية ثم قال (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلاً) إلى آخر الآيات التي سبق ذكرها فما كان لالم لم يجب بتفسيره القرآن ثم يقول انه سيذكر في التفسير أسباب نزول الآيات ليكون أقرب للفهم أن يستشهد بآيات الله على مالم يطابق معناها والمعني الذي أنزلت بسببه ثم يترك بعض الآية ويأتي بالبعض تدليسا وتليبسا وما هو إلا مثل ضربه الله للذين كفروا ليعلموا أن الهدى هدى الله وان الخيانة ممقوتة وأن النفاق والخداع من شيم أهل النار ثم ضرب المثل للذين آمنوا بامرأة فرعون حيث كان ظاهرها مع فرعون وباطنها مع الله فنجهاها الله من فرعون وعمله ليعلم الذين كفروا ولذين آمنوا أن المدار على القلوب والاخلاق الكريمة ومراعاة الاسرار وحفظ الامانة وذلك كله من باب التأديب لزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظن حرمته ولا يدعن أسرارهن فأني عارض طرأ على هذا الفاضل حتى

جاء بالآية في معرض ذم الاقتداء ومنع الوساطة بين المريد وربهم وكيف
 ساغ له أن يمنع وسائط التقليد وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في مبدئ أمره الا مقلداً لجبريل عليه السلام في غالب أفعاله ولقد قال
 الصديق عليه السلام (واتبعت ملت آباءي ابراهيم واسحاق ويعقوب
 ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) وما نزل عليه وحى ولا صدرت له من
 الله أوامر بل كان مقلداً لآبائه وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قبل الوحي يعبد الله مقلداً لمن كان قبله من الرسل وما مقت الله ذلك منه
 بل أمره باتباع ما كانوا عليه ثم زاده تعالماً وتأديباً وكيف ساغ له أن يمت
 الذي يطمع أن يفر من شدة الحساب بقوله أنا قلت فلانا مع قول
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أثمتكم شفعائكم

ولست أدري السبب الذي أوجأ هذا الفاضل إلى مقت التقليد والمقلدين
 بغير حق مستدلاً بما حكاه عن أبي حنيفة من أنه كان إذا أفتى يقول هذا
 رأي أبي حنيفة فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب فهل جهل هذا
 الفاضل هذا الشرط وما هو إلا شرط إمام تقي يجب متابعته امتنواه وتحرز
 من الخطاء وفراره من إعجابه بنفسه ومن رضائه عنها ومثل هذا الإمام الأعظم لو
 سجن أو ضرب أو أذى بأنواع الأذى هل أن يقول بحل المؤودة لفضل الموت
 على الحياة ولم يقل بذلك فلو أن أهل زمانه وجدوا من هو أحسن منه رأياً
 لا تبعوه ذلك قول مالك رضي الله عنه لا أصحابه عند استنباط كل حكم انظروا
 ما فيه فإنه دين وما من أحد إلا وهو مأخوذ منه ومردود عليه إلا صاحب
 هذه الروضة فما هو إلا قول عالم عامل مأمون محووظ من متابعة الهوى متبع

لقول الله تعالى (وشاورهم في الأمر) فهل يكون ذلك القول سبباً لتحريم
تقليد الناس له كلا ولكنه أقوى سبب لوجوب متابعتة وأخذ الدين عنه عملاً
بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم دينك دينك إنما هو لحكمك ودمك
خذ عن الدين استقاموا ولا تأخذ عن الدين قالوا وما أخذت الأمة دينها
إلا عن المستقيمين فهل بعد ذلك ينبغي للمقلد، فم الإقتداء الذي هو بمعنى
التقليد والمتابعة وهل قول الشافعي رضي الله عنه للربيع وهو من أكابر
الأتقياء لا تقلدني في كل ما أقول وانظر في ذلك لنفسك فإنه دين فيه
مظنة لدم التقليد لا والله بل هو حجة على جوازه لأنه إما خيره في أخذ
ما يوافق السنة وأمره بالنظر فيما لا يوفقها لعلمه أنه مؤمن قوى الإيمان
والمؤمن ينظر بنور الله وما ذلك إلا مثل قول الصوفية استغث قلبك وإن
أفتاك المفتون ولا أدري أهو حديث أم أثر من آثار الأتقياء وأما قول
أحمد لأصحابه انظروا في أمر دينكم فإن التقليد لغير المصوم مذموم فما
هو إلا من باب التواضع وممانعة النفس عن الآفات الباطنية التي يخاف
غوائلها المتقوت كما أنه إن صح أنه هو القائل إن التقليد فيه عيب للبصيرة
وكان الناقل عنه ذلك الإمام الشعرائي فما هي إلا نصيحة يلقها كل إمام
لأصحابه الذين يرى منهم الاستعداد للنظر والاستدلال فهل في هذا شائبة
تحريم للتقليد الذي هو أساس التواتر وجمع دعائم الإيمان ولو لا ما صحح التواتر
ولا وصل إلينا نبا الدين ولا تأكدنا صدق الرسالة فهل لعافل أن يقول
إن تحريم التقليد من أصول الدين وبودى لو علمت السبب الذي حمل هذا
الماض على هذا التهور هل علم من أوثك الأئمة ما شأن سمعتهم أو قدح

في صدق متابعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو رأي حكماء من أحكامهم التي استنبطوها مخالفاً للكتاب والسنة أو سمع أن أحدهم قال لمبديه أعبدوني من دون الله فأخذت الفيرة الدينية بمخنفه الى هذا التهور الفظيع الذي أُلجأ الى إعلان الحروب والاستيلاء بالانبياء والشهراء وأرباب النفوذ من الأوروبيين أم كيف أعجبت هذا الماقل الفاضل نفسه ورضي عنها حتى استخيرها عن فضلاء إحدى عشر قرناً من أكبر هذه الأمة التي يبلغ مقدار عدد أفرادها الثلاثمائة مليون كما قال وكلهم كانوا على هذا الدين القويم الذي تناقلوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام تالله أنه ليضيق صدري ولا ينطق لساني احتراماً لما طالته في مقدمة تفسير القرآن من قول هذا الفاضل المزخرف الذي ينبوء عن سعة اطلاعه وجودة فكره الذي تحقق به أن الفوق فضاء لانهاية له وما فيه الا الكواكب وأفلاكها ولكني لم أصل في تفسيره إلى قوله تعالى (والسماء بنيناها بأيدينا وإنا لموسعون) وقوله (وبنينا فوقكم سبعاً شداًداً) ولا أدري بماذا فسر هذه الآيات وهل راعى في تفسيره قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيراً إلى الله سبحانه وتعالى إن الملائكة ليطلبونه كما تطلبونه أتم وقوله تعالى لنبيه (قل هو نبي أعظم أتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملاء الاعلى إذ يختصمون)

وليت شعري إذا حارب هذا الفاضل الأمة الإسلامية في دينها وفرض من لا عقل له أنه انتصر في حروبه واصبح لها قائداً فإلى أي طريق يوجهها وأي مسلك يسلك بها مع علمه بأن أبواب الرسالة مغلقة وأن

النبوة ما فُضَّ الله ختامها وأن اهل أوربا رفضوا كل دين وأن الفلاسفة لا
دين لهم لانهم هم القائلون الناس رجالان عاقل لا دين له وصاحب دين
لا عقل له فهل يسلك بها الا المذهب الذي يحاول الفلاسفة من زمن غير
قريب أن يذهب إليه كل متدين ألا وهو ما عليه الطبيعيون الذين يعتقدون
أنه لا إله إلا القوي الطبيعية وأظن أنها هي التي اشار اليها الله سبحانه وتعالى
بقوله (وما يعلم جنود ربك الا هو) فهل من الانصاف أن يدعوا هذا
الفاضل إلى الحرية وينادي على الإنسان ان الا ليق به أن يكون غير مقيد
بقيود ثم يأتي بما به يريد أن يجمع الناس على ما يعتقد هو أو ما يعتقد
سفهاء الطبيعيين الذين غرتهم الظواهر الكونية وأهملتهم الفوائت الفكرية
ألا يعلم انه كما وجد هو من نفسه باعثاً بعثه إلى رفض هذا الدين الذي
عليه الخيار والأكبر وإنه هو مجمع الكمالات الإنسانية وغلبته نفسه
وظنونه حتى مال الى اعتناق الطيش المسمى الذي هو اضر من كل طيش
ثم بعثه ذلك الوجدان النفساني إلى ان يقف بنفسه موقف الحرية التي لا
يخشى فيه لومة لأثم كذلك كل متدين متمسك بدينه يجداً باعثاً من نفسه يبعثه
لرفض ما ذهب إليه هو فلماذا لم يترك لكل ذى عقل نصيبه من الحرية
لكيلا يحتدم الحرب بينه وبين العقلاء ام توهم ذلك الفاضل انه إنما يلقى ما
يقول بين قوم فقدوا الشعور والإدراكات الذوقية فهم لا يميزون بين استقامة
الإعتدال واعوجاج الطيش ولا يفرقون ما بين محاسن الآداب الدينية وبين
مساوي الآداب المدنية إن هذا والله لا يجحاف بحقوق الوطنية وانحراف عن
الإعتدال في المعاملات الأدبية وتجافى عن مضاجع اللطائف السامية الذوقية

إلى مواجع الآلام المادية الوحشية الا يعلم ذلك الفاضل انه إنما هاجم
كل متدين بأسلحة المدوان وفاجأه بمسمومات من سهام الطفيان اليس
لذلك الفاضل من الشهور وحسن التصور ما يتخيل به انه إنما وقف في
مواجهة كل مسلم قاتلاً دينك ملعون وانت غبي ومجنون وسأهدم لك
ما بناه اسلافك واقطع ما بينك وبين نبيك وربك وسأتكم ايها المسلمون
بجنود من التوبيخات الزيفية والزخارف الفاسفية لا قبل لكم بها ولا اقبل في
الفتك بما انتم عاكفون عليه شفيماً ولا تأخذني بكم رأفة في دين الفاسفة
والزيف فإن كان ذلك الفاضل تخيل من نفسه هذا الموقف ثم قدم عليه
عمداً مضطهداً كان من الماديين الذين لا يحفظون حرمة الجوار ولا
يخافون غضب الجبار وإن لم يكن عنده من الفكر ما يوقفه على نتائج الاعمال
ويبصره بسيات الأحوال كان من الأحداث الذين يؤزهم الشباب أزا
ألا يعلم ذلك الفاضل أن للأمة شعوراً ذوقياً وإحساساً أدبياً يلجؤوا
إلى حفظ حرمة ما تدينت به وإن لم يكن حقاً فهلا تخيل حال اليهود
والنصارى فيما حكاه الله عنهم بقوله (وقالت اليهود ليست النصراني على
شيء وقالت النصراني ليست اليهود على شيء واستحضر في ذهنه أنه لو ان
فرداً من أفراد الدول التي حاربت أهل دينها وقهرتهم وإن كان مبغضاً لدينه
قام أمامه في موقف جدل أو مشاجرة ثم قال له إنك على غير دين يا يهودي
أو يا نصراني وأن أسلافك كانوا ضالين فهل يتفارقا عن تراضٍ إذ ذاك
أو يتحدث بينهما الخصام والجدل فلماذا لم يتصور صدور هذا العمل المدهش
الذي أساء به أهل وطنه وأبناء دينه إن كان من أبناء الدين وأحبائه كما

يدعى إن هذا هو البلاء العظيم
 تبارك الله ما أحلم المسلمين وما أسلم قلوبهم وما أصبرهم على الأذى
 وترادف المصائب المؤلمة في آن واحد من الأقارب والأجانب قامت الدول
 الأجنبية في مقام الاستخفاف والإزدراء واتخاذ وسائل الممذرة قبل استعمال
 الضرر والإساءة قائلين لقد دب في قلوب المسلمين ديب التمهيب الديني
 حتى ضحكت الشكلي وتروح بتلك الألغام السياسية المحزون وإنها لأحوال
 ينطبق عليها قول القائل

أمور تضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها السليم
 وقام هذا الفاضل في أثرهم ينادى على المسلمين بأصوات مزعجة وأقوال
 مؤلمة إنكم لأعداء الإنسانية وأضداد التمدن وعلى دين مبدل ألم يكن لهذا
 الفاضل جوار مسلم تدعوه المروءة وحسن الخلق أن لا يؤذيه أليس لأمه وأبيه
 عليه حق إن كانا مسلمين وقد حكم على من مات من آباءه وأجداده أنهم
 على غير دين الإسلام وحكم على الحاضر منهم أنه عاش أحمي البصيرة لا يصلح
 إلا للنار فهل ينبغي لما قل فطن أديب انتصب لتحويل أحم يبلغ عددهم
 ما قل عن دينهم إلى دين يزعم أنه أولى الناس بالإرشاد إليه وأنه هو أدري
 به من كل مسلم أن لا يلاحظ ما بيناه وما وراءه من المؤلمات وأن يعمل
 عملاً قبل أن يتبصر في مآله وعاقبته أهكذا يكون عمل المرشدين أهكذا
 يكون عمل العلماء أهكذا يكون عمل العقلاء أهكذا يكون عمل من يدعي
 أنه أعرف بما كان عليه رسول الله من كل مسلم ألم يعلم ذلك الفاضل
 العاقل أن الدعاوى التي تكذبها قرآن الأحوال باطلة أقول هذا وأنا ظان

وعالم بأن بعض الظن إثم أن الرجل نظر إلى فلاسفة أوربا وفلسفتهم بالعين
التي نظرت بها سحرة فرعون إلى عصا موسى وعملها إذ وأوا عملها فوق
عملهم فالتجأوا إلى الإيمان بموسى فكان ذلك الفاضل من قبل مطالعة
تواريخ الأورباويين وفلسفتهم يتقلب في الفنون الرياضية بلا مرشد ولا
معلم متردداً بين الدين والفلسفة وما علم من الدين إلا ما يسمعه ويراه من
أحوال بعض الأزهريين المتفلسفين الذين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وما
علم من الفلسفة إلا ما أشار الله سبحانه وتعالى إليه بقوله (يعلمون ظاهراً
من الحياة الدنيا) وبقوله (ذلك مبلغهم من العلم إن ربك واسع المغفرة هو
أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) فلما ألقى بين يديه عصى
التمدن والفلسفية الأورباوية هاله أمرها فأمن بالذي كفر به المسلمون وقام
لحاربهم وراء الدين ظنوا أنهم استفتحوا (وخاب كل جبار عنيد) جاء ذلك
الفاضل بعدما أثقل البعير بما جاء به من الطعن في الدين والتحذير من متابعة
أئمة المسلمين ودعوي أن التمسك بالدين جمود أمات القلوب وذهب
بالشعور مبيناً الخالص من ذلك الجمود فقال إن الخالص منه هو مكافحة هذا
الدين المبدل ومحاربه وزعم أنه قارن بين الدين الذي عليه الأمم الإسلامية
من عهد القرن الثاني إلى الآن وبين الدين الحقيقي فوجد الخلاف بينهما
جوهرياً فالزم نفسه إهانة هذا الدين وأهله وزعم أن الإهانة غير مؤلمة
لهم لأنهم رضوا بالإهانة والمزائم وقال

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح يميت إسلام
فكانه عني الله عنه وعافاه يشير إلى سكوت العلماء على ما كان من

سفهاء الفلاسفة والمبشرين من محاربة الدين بما يلقونه في المجمع وعلى صفحات الصحف من التمهيدات والنضائيات أو يلوم العلماء على عدم موافقتهم للفلاسفة فيما يدعوا الناس إليه وذلك ما يشير إليه قوله تعالى لنبيه (ولئن رضيت عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) ولكن العلماء قد تمسكوا بما جاء عقب هذه الآية من قوله تعالى له (قل إن هدى الله هو الهدى وإن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين)

ولقد احتج ذلك الفاضل بما كان من الإمام الفزالي من الطعن في بعض العلماء الغير العاملين من أهل زمانه وبما جاء في القرآن من الزواجر والقوارع وبمنصائح الخلفاء وذلك كله ما هو إلا من باب اللفظ والمغالطة وخلط العمل السيء بالحسن وإلا فما معنى الاستشهاد بما يتقوى به الدين على ما يضعف الدين ويوجب المروق منه فهل هو الآن ينادي بما نادى به الخلفاء الراشدون من تذكّر الموت والنظر في أمر الآخرة وتقوى الله في كل عمل وعدم التشوف لما افتتن فيه الكفار وهجر الحرص والطمع ومجاهدات الشيع وموالات الفرائض وتجنب الكبار وما يماثل ذلك من النصائح الدينية ولم يجد على ذلك معينا كلا ولكنه يرمي أغرض آخر يتبينه العقلاء من خلال تخيلاته التي طرحها بين أيديهم الجريدة التي اتخذها المتفلسفون أكنانا لسهام قسى طعنهم في الدين وأهله

ولقد أثنى ذلك الفاضل على مدارس الدنيا ثناء جميلا وزعم أن العلم فيها قد أزهر وأتى بثمراته الجليلة إلا المدارس الدينية التي جمدت على الأساليب

القديمة وأدعى أن أهل هذا الجود حرموا على أنفسهم العلم النافع فحرموا صراياه وزعم أنه لو كان كل أفراد الأمة على هذا الجود لما حدث فيها أي ترقى مطلقاً

ثم في جريدة يوم الاثنين ٧ وجب جاء ذلك الفاضل بما يشبه ما يراه النائم في عالم الخيال بالرؤيا المنامية قائلاً أنه تخيل أنه يشاهد حروباً هائلة شبت بين الأديان وبين المدنية كان الانتصار فيها للمدنية وتخيّل أن تلك الحروب قد انتقلت إلى الدين الإسلامي بتسلط المدنية الغربية على أهله ورأى أن الأمة قد توالّت هزائم دينها أمام المدنية وسأل نفسه عن هذه الهزائم مسببها وهل المضاد للمدنية والمهزوم أمامها هو الدين الإسلامي الحقيقي أو الدين المبدل فقالت له إن الدين الإسلامي لا ينافي المدنية ولا يضادها ولكن الذي وقف أمام المدنية هو الدين المبدل ثم قال في بقية تلك الرؤيا أنه أطال البحث هو ونفسه معه وطافاً على مواطن المطاعن وجاساً خلال معاهد هاتيك المشاهد فرأى أن المهزوم أمام المدنية هو الدين المبدل ثم استكشف الأعداء الحربية فوجدوا أسلحة تستخدمهم المدنية في اكتساح الأديان وما هي إلا التخيلات والظنون التي زينها الشيطان لكل متفلسف من قبل أن يظهر الله الدين الإسلامي على الدين كاه نذكر منها أوصاف أقوى سلاح أعداه السفها لمحاربة الدين الا وهو قولهم إن الإنسان يمر من حياته على ثلاثة أدوار دور الدين ودور الفلاسفة ودور العلم ففي الدور الأول يمشي بالدين راتعافى أحلامه وأوهامه لا يعرف غيره مرشداً ولا غير كاهنه هادياً وفي الدور الثاني يتيقظ عقله وتنبه مداركه فيشك في القديم المتحجر

فيميل للتبديل وبناء العقائد الجديدة والذب عنها وفي الدور الثاني دور العلم يصل إلى أرقى الأدوار فيعلم أنه سبب السعادة ويكون قد بلغ رشده فلا يستطيع أن يقيد نفسه بقيد أو يضع مواهبه تحت عبء التقليد فيعلم أن الدين كان كله خيالات وأوهام لأنه لم يأت بأدلة حسية تثبت الحقائق التي يدعيها والعلم لا يقبل إلا ما كان من الحقائق ثابتاً بأدلة حسية

ثم قال ذلك الفاضل أن الحرب القائمة هي بين أصول مدينة أوروبا القائمة وبين أصول ديننا الجامدة التي هي ضد الإسلام على خط مستقيم وأدعي أن هذا الدين الجامد ينازع المدنية في طلب السيادة على الأمة وسيتمهي الأمر به إلى هزيمته كما انهزمت الأديان قبله وأدعي أنه إنما يخشى توهم الأمم أن المهزوم هو الدين الإسلامي وما هو إلا الدين المبديل في زعمه الذي كان سبباً لانحلال هيئتنا الاجتماعية وأنه لا دواء لهذا الداء إلا الرجوع إلى الدين الإسلامي الذي أوعده ذلك الفاضل ببيان قواعده وأصوله بمقالة مقالاته في المؤيد تحت عنوان بحثي اليوم بعد أن قال أنه تخيل أن بحثه أحدث تأثيراً في نفوس كثير من الأمة وأن الناس ميالين إلى أن يبين حقائق الدين للمسلمين وقد تمدح بأنه غير ضان على الأمة التي يبلغ عددها ثلاثمائة مليون في مشارق الأرض ومغاربها بتتابع مقالاته فيأله من همام فاضل وإمام كامل أصبح جديراً بأن ينادى عليه بأنه سيد الأولين والآخرين وإمام المتقين ومرشد الضالين وعالم الأمم أجمعين

أقول هذا وأنا شاهد له بقوة القريحة وحدة الذهن وسعة الفكر وسرعة التفطن وما قلت ذلك إلا مادحا لعلمي أن الزكي إذا مدح بغير ما

يستحق أنخذله مكاناً من القلوب بمراعات نظر الناس إليه وخوف قلب
قلوبهم إلى ما هو ضد لذلك

وأقول وأنا في موقف الخشية أخشي مفعول ما قال الخمرور لسيدني
عبد القادر الجيلاني وهو يمنعه على ما هو عليه إذ ناداه إليك عني يا عبد
القادر إن الذي جعلك شيخاً كبيراً وصيرني خمروراً قادراً على أن يبدل
الحال في الحال

وأقول ذلك وأنا معترف لقلب القلوب بأحدية ذاته ووحدانية أسمائه
وفردانية صفاته وأنه هو الآخذ بالنواضي والفعل لما يريد وأنه هو الذي
أطلق الألسن بما به ترجعت إذ لا يتصور متصور أن عاقلاً من العقلاء فضله
مشهود وعمله معدود أن يقف موقفاً مثل هذا الموقف إلا مقهوراً عليه
لأنه ما خلق إلا لأن يكون هكذا

ألا يرى العقلاء اختلاف العقائد والمذاهب والأديان والامبال
والأعمال والاقوال والأحوال بل وكل صفات الإنسان الذي هو هو
في كل زمان ومكان حيوان ناطق ولكنه كالقطع المتجاورة التي ذكرها
الله في القرآن بقوله (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب
وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على
بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) ذلك يعلم الإنسان
الظالم الجهول أن اختلاف القوايل والإستعدادات واختلاف تخصيصات
المراتب الوجودية في جميع الموجودات التي منها ذلك الإنسان ماهي من
عمله ولا من عمل مخلوق لأن جميع المخلوقات العلوية والسفلية في حكم

الإيجاد والتخصيص والتسخير سواء ولكنه أي الاختلاف الذي ذكرناه
من عمل الواسع الحكيم جل شأنه وتقدس أسمائه فترى الأخوين
الشقيقتين بينهما التباين البين وترى المتعلمين مع اتحاد المعلم لم يتحدوا في
المرفان والآداب وترى العلماء على حال مدهش في الاختلاف وما نشأوا
إلا على ملة واحدة وعلم ديني متحد المبادي والغايات وقرآهم واحد
لا تغيير فيه ولا تبديل وما أنزل إلا هدى للناس وشفاء لما في الصدور
ورحمة للمؤمنين الذين اختصهم الله لخدمته وجنته ولكن الأوضاع الإلهية
التي تميز البار من الفاجر جعلتهم مختلفين في المذاهب والإعتقادات
والتوجهات الفهمية والأُميال الفطرية ليقضى الله أمراً كان مفعولاً وكل
حزب بما لديهم فرحون ولقد أصبح ذلك الاختلاف العلمي في هذا الزمن
أشد ظهوراً منه في كل زمن من أزمان القرون الماضية وذلك لأن الأزمان
الغابرة التي قبل النبوة كان الحكم فيها الأُهواء والأغراض كما قال الله تبارك
وتعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل
معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس) وما أراد سبحانه وتعالى بالاتحاد في
قوله أمة واحدة إلا في متابعة الأُهواء والغايات واتخاذ العلوم الكونية
والطبيعية مسرحة الأفكار ومرتعاً للعقول ومركباً للشهوات وعدة
للأعوجاج عن طريق الإستقامة التي خلق الإنسان لاتخاذها سبيلاً إلى
منازل الكرامة فبعث الله النبيين ليبينوا للناس طريق تلك الإستقامة
ثم حجر سلوكها على من لم يخصص له قابلية توجهه إليها بمثل قوله (وما تشاؤون
إلا أن يشاء الله) وقوله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) وقوله (الله

يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من يذنب) ولقد كان الغالب على الكثير من المسلمين سلك هذه الطريق حتى جاء زمن الفتن الذي ساط الله فيه الجدل على أهل اللسان والزبغ وهو مصداق قول رسوله عليه الصلاة والسلام إذا أراد الله بقوم سوء اسلط عليهم الجدل فاشتد لذلك ظهور اختلاف الشؤون التي ذكرناها من طريق إشارة قوله تعالى (ولكل وجهة هو موليها) فترى طلاب العلوم يتنافسون ويتسابقون ويتفاخرون في فنون المعلومات كل يتباهي بما وجهه إليه التخصيص الإلهي وقبلته قابليته ممجبا بنفسه مختلا فخورا يرى أن ما فوقه في المدارك العلمية أحد وأنه أولى الناس بالتعليم والإرشاد وإن كان ضالا لأنه لا يدري أنه هو الضال وذلك هو الضلال المبين وما جئنا بهذا البيان إلا ليعلم العقلاء أن التوجيهات التي تأتي بها البلاسة مهما كانت مزيئة بالتفضيلات الكاذبة أو مزخرفة بالآراء التي يظن المطالع عليها أنها صائبة فإنها لا تقاوم الإرشادات الدينية ولا تثبت أمامها في حال من الأحوال وأن سكوت المتدينين عن مقاومة سفهاء المتمشدين ما هو من قبل العجز ولا وهن البراهين ولكنه تحرز عن خبائث اللسان وأحوال الجدل الذي لا تميل إليه أميال المؤمنين ولا تقبله قوا بلهم ولقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه الكتاب الحكيم إلا بالتي هي أحسن وما في الكلام الذي يسمعه السامعون أحسن من القرآن وقد حرقوه عن مواضعه وما راعوا حرمة (نبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون)

فقد أمر الله سبحانه وتعالى بالإقتداء ونهوا عنه وجعل المتابعة رأس

الدين ومقتوها واتخذ الواسطة بينه وبين خلقه وأنكروها فلو أنهم أهل
هداية لاهتدوا بما اهتدى به الخيار ولكن قوا بلهم لا تقبل الا الضاد
والإصرار والمكابرة والدعاوي المريضة الكاذبة قال الله تبارك وتعالى
(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل
رسولاً فيوحى بإذنه ما يشاء) فهل لما قل أن يقول إن الواسطة غير هذا
وهل لما قل أن يجيزها في حال ثم يحرمها في حال آخر فيكون كالذين يؤمنون
ببعض الكتاب ويكفرون ببعض وقد قال الله تعالى (فأجزاء من يفعل
ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهل
كان الانسان مع ربه أي انسان كان في حال من الاحوال بلا واسطة
كلا ولكن أكثر الناس لا يفقهون ألا فاسئلوا العالم الطبيعي الذي أطال
البحث في العوالم العلوية والسفلية عن ثمرة بحثه والغاية التي يريد أن يصل
اليها من طريق ذلك البحث فإن قال أنا ما أريد إلا معرفة الله إن كان
من المؤمنين فاليخذه السائل بقوله لقد اتخذت الجمادات والنباتات والنجوم
وغيرها وسائط بينك وبين ربك وهي لا تكلمك إلا بلسان حالها وقد
اعترفت بأن الله هو الذي أمرك بذلك فإذا يكون منك وساطة المعلمين
الذين يجب تقليدهم لأنهم هم الدالون على الله أمر شبيه بالهوس أو شعبة
من الجنون وكيف يكون منك هذا الهوس وماقت صائحاً ونائحاً بما واليته
من النداء المزعج إلا لتكون متبوعاً مقلداً فتكون واسطة بين الله وعبده
فيما أكنه ضميرك

وإن قال إني لم أتبع جميع المعلومات الكونية بالبحث إلا للوقوف

على حقائقها لا كون عالمي فاليعلم السائل أنه مفرور ومفتون وما مثله مع
ربه إلا كمثل عبد سيء الآداب مع سيده وممقوت عنده ولكن لم يكن
له مالك سواء ولا بد له من رعاية ذلك السيد وحنانه فاقتضت مراحم
السيد الرحيم القادر أن يشغله عنه بأشياء حتى لا يزاحم المحبين من العبيد
فيما أعد لهم من الكرامات والمنازل العليا ومن كان هذا حاله لا يصحبه
إلا من كان شبيهاً به في القابلية والاستعداد وأولئك الذين وصفهم الله
بقوله (تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يفتقرون) ولذلك نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن مخالطة السفهاء ومعاشرة قرناء السوء ونهى
الصوفية أتباعهم عن ذلك قال ابن عطاء الله السكندري لا تصحب من لا
ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقالته ولقد جعل الله سبحانه وتعالى قرين
السوء عقوبة للغافلين عن ذكره في قوله جل شأنه (ومن يعش عن ذكر
الرحمن تضيض له شيطاناً فهو له قرين وإنيهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون
أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس
القرين) وهل هناك سبيل موصل إلى الله غير سبيل الهدى الذي أشار إليه
الحق سبحانه وتعالى بقوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين فوله ما تولى ونصه جهنم وساءت مصيراً) وهل
للمؤمنين سبيل غير الذي سار فيه المسلمون خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقلدين لا تفتهم الذين دونوه في كتب الفقه وما هو إلا العبادات
والمعاملات والآداب التي توارثها الأتقياء ومن يدعي سبيلاً سواه فما
هو إلا من الذين يصدون عن سبيل الله ولقد فصلنا الآيات لقوم يفتقرون

نقل الفاضل الأديب فريد وجدي عن فلاسفة أوروبا أن الإنسان يمر في حياته على ثلاثة أدوار دور الدين ودور الفلسفة ودور العلم وقالوا إن الأديان حوادث تاريخية اقتضاها ميل الإنسان للمعيشة تحت وصايتها وأنا أقول إن هذا هو الهوس الشبيه بهندي المرضا وعبث الأطفال وما كان له من سبب إلا تطواف أوهام وخيالات تبعثها نشوات خيرية لاستنتاج الحقائق من أباطيل الظنون وأقاويل أهل الغرور والزيف الطغياني وهو الذين نهى الله عن متابعتهم بقوله (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل)

ألا يرى كل عاقل نبه أنهم فرقوا بين الدين والعلم والفلسفة ولا ندري كيف كان ذلك التفريق فإن الذي نعلمه ويعلمه أولو العرفان وكل من كان له ذوق يدرك دقائق القرآن أن العلم الذي جاء لأصلاح أخلاق الإنسان وأحواله وجميع شؤونه الكمالية هو علم الدين وأن الحكمة التي تسمى باللسان العربي حكمة وبلسان آخر فلسفة هي الحكمة الدينية التي أشار لها الله سبحانه وتعالى بقوله (يؤتي الحكمه من يشاء ومن يؤت الحكمه فقد أتى خيراً كثيراً) ولقد ادعى الإِتصاف بمدلول هذا اللفظ أعني الحكمة طوائف كثيرون حتى أن أفراداً من الناس لينادون على بعض المتفلسفين بأنه الحكيم العليم وإنهم لينادون في الناس بأن الحكمة هي الفلسفة وأن الفلاسفة هم العلماء وأن الإنسان الذي ليس بفيلسوف لا قيمة له فكيف إذا ساع لهم أن يقولوا أن الفلسفة شيء والعلم شيء آخر وما هي الفنون التي أحاطوا عليها لفظ العلم وزعموا أنها لا من الدين

ولا من الفلسفة وما مفهوم هذا التقسيم الذي قسمته أوهامهم ووراء أهولهم
 في مرور الانسان في حياته أيريدون حياة الافراد أم حيات النوع الانساني
 التي مبدؤها وجود آدم وانهاؤها خراب الدنيا فإن كان الأول فما هو
 الا جهل فاضح وغلط بين وتصور فاسد إذ الانسان مامل يوما ما بطبعه
 إلى القيود الدينية الا مغلوباً للعلم الديني والتأديب الوعظي ولا يتمكن من
 الدين إلا اذا استصحب العلم والادب معاً وهناك لا يكون للفلسفة
 الطبيعية عليه من سبيل ولكنه يكون من طريق الوراثة النبوية هو الذي
 أوتي الحكمة وفصل الخطاب بين أهل عصره

وإن كان مرادهم من الحياة مدة الدنيا فذلك التقسيم تقسيم جهل
 وسفه لا تقسيم علم وحكمة لأن الأمم من قبل موسى ما آمنوا برسالمهم ولا
 بمرسلمهم بل كانوا طبعيين ودهريين وكانوا على جانب عظيم من العلم الذي
 يفخر به فخار هذا الزمن وشهد لهم القرآن بأنهم كانوا أشد قوة وأكثر
 جمعاً ولو أنهم كانوا ميالين للمعيشة تحت وصاية الدين ما أهلكهم الله
 بالطوفان ولا بأنواع العذاب التي أهلكت قوم عاد وثمود واصحاب لوط
 وغيرهم وإن كانوا يريدون بالدين عبادة الاوثان فما كان ذلك الا ضلالاً لا دين
 يعيش الانسان تحت وصايته ولو أنهم أرادوا ذلك لكان جهلهم بالدين
 الحق الذي جاء لرفض تلك الخرافات هو الذي ألجأهم إلى ذلك التقسيم وحملهم
 على القول بميل الانسان إلى المعيشة تحت وصايته على أننا نقول والله يقول الحق
 أنه ما مضى على الانسان طور من أطوار الحياة الدنيا خالياً من أحد الثلاثة
 التي ذكروها وما ظهر الدين الحق في أمة الا وكانت له الغلبة بخيار أهله

على كل باطل من العلم المظني والفلسفة المهلكة حتى جاء هذا الدين الذي
جمع شوارد الآداب ومعالم الكمالات فاعترف بفضله وحسن مزاياه كل
عاقل له نصيب من الذوق العرفاني وإن العقلاء ليعلمون أن كل علم يعارض
هذا الدين فما هو إلا أضر بصاحبه من الجهل كما سنبينه بعد وعلي هذا
يكون ذلك التقسيم لاحظ له من الصديق ولا مضجع له في مواد الأفكار السليمة
وأما القائل بأن الأديان حوادث تاريخية فما هو إلا فاقد العقل والدين
لأنه لو كان عاقلاً لفرق بين الأديان التي هي من عند الله وبين الأديان
الأخر التي هي بمنزلة العوائد التي يتخذها البسطاء ليميزوا بها عن غيرهم
فمنها ما يكون حسناً ومنها ما يكون قبيحاً ولا يعرف صاحب التبيين قبحه
إلا إذا رأى ما هو أحسن منه وهذه لا يقال لها أديان يعيل لها الإنسان
لكي يعيش تحت وصايتها فلا يكون ذلك القول إلا من قبيل التدليس
والسفسطة التي اتخذها علماء العلوم الرياضية في المدارس الشبيهة بالمدارس
الأوروبية تمهيداً لإخراج مترشيحي التلامذة عن دارة الدين الإسلامي
فيلقون اليهم أن الأديان من مخترعات العقلاء وأن الدين الإسلامي ما تناوله
مؤسسه إلا من عوائد الأمم المتقدمة وما تلك التضاليات لو تفتن لها
السامعون إلا مماثلة لما كان يقوله سفهاء الفلاسفة من قريش وغيرهم من
الكفار الذين طبع الله على قلوبهم وجعل على سمعهم وعلي أبصارهم غشاوة
كصاحب تنوير الأفهام الذي رددنا عليه بمسموم الأُسنة والسهام كتاب
يباع بمكتبة الشيخ أحمد المليجي بالكتيبة الأزهرية فهل بعد مضي ثلاثة
عشر قرناً والعقلاء على دين معمول بشرائعه إلى الآن ينبغي أن تصفي أذن

سامع المنكر عليه أو جاحده إن هذا هو الخسران المبين
والترك كل ما تحيله ذلك الفاضل من التخييلات التي استقرت منه
ساكن الغضب وألجأته إلى إعلان الحرب ثم ننظر في المقارنة التي
قارنها فيما بين الدين الإسلامي الحقيقي وبين هذا الدين الذي عليه المسلمون
من عهد القرن الثاني لنتبين أصححته هي كما يدعي أم فاسدة فنقول كما قال
الله (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) إني أنا رجل مسلم آمنت بالله
ورسوله وبكتابه الذي نزل علي محمد وآمنت باليوم الآخر والملائكة
والنبيين وتناوت من المعلمين ما تناولوه ناقلاً عن ناقل من أمر المبادات
والمعاملات الدينية وها أنا من المؤمنين ولكني من أكابر المذنبين غير أني
أترقب العفو وأخذ في أسباب المتاب فما حكى في المقارنة التي قارنها ذلك
الفاضل أمسلم أنا وعلي ملة رسول الله أم علي دين مبدل

وهل الدين الذي عليه هذا الجليل الأديب هو هذا الدين الذي أنا
عليه أم غيره اظن أنني لا أجد مجنوناً ينادي علي بالكفر حتى وإن كنت
غارقاً في لجج الملاهي ووراء هذا الاستفهام سؤال آخر وهو هل علم الأصول
الذي هو في أيدي الفقهاء ومدون في كتبهم هو من الدين أم لا فإن لم
يكن من الدين فعلي المنكر البيان البرهاني تفصيلاً لا إجمالاً وهل العبادات
والمعاملات التي قررها الإمام الغزالي في كتاب الأحياء هي من الدين أم لا
وإذ كانت من الدين فعلي موافقة أي مذهب هي أم هي اجتهادية وإن
كانت اجتهادية فهل فيها ما يخالف المذاهب الأربعة كلا والله أن الذي يدعى
المخالفة أو معارضة علم الأصول لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم

لكاذب فملي هذا لا يكون وراء ما عليه المسلمون إلا الدين الفلسفي الطبيعي أو
الأديان المعلومة

﴿ مسألة ﴾

إن قلنا أن الحامل لفلسفة أوروبا على محاربة الدين الإسلامي بما
أعدوه له من المدد القولية التي منها هذا الكلام الذي يأتي به المتفلسفون
من أحداثنا وكذلك الخدع السياسية التي منها بعثة المبشرين هو أنهم يريدون
اتخاذ الوسائل لقطع علائق الروابط الدينية والإخاء الإيماني من قلوب
المسلمين كيلا تجمعهم جامعة ولا تربطهم بملوكهم رابطة وكان ذلك لأغراض
سياسية كما يقول العقلاء الآن فما هو الباعث الحامل له وهو المسلم وابن
المسلم والمسلمة ومن أهل الوطن لا من الأورباويين على التحامل على أهل
ملته بالطعن في دينهم وبإعلان الحرب للدين وللمتدنيين والحكم بأن
محاربة هذا الدين واجبة فلا أدري هل الحكم بهذا الوجوب حكم شرعي
شرعه ذلك الفاضل من تلقاء نفسه أو هو حكم سياسي أو طبيعي فإن كان
حكماً شرعياً فما مستنده من الكتاب والسنة والإجماع وإن كان سياسياً
فأي قانون يوجب ذلك وإن كان ذلك الإيجاب حكماً طبيعياً تلزم به الفلسفة
الطبيعية معانقها فما له يدعو أغنياء الأمة وشعراءها لمعاونته ألم يعلم ما في
قلوب الأمة من السخط والحق على المتفلسفين الذين تركوا كثيراً من
البسطاء في مصارع الزيف والزندقة وصيروهم وإن كانوا أحياء حول جهنم
جثياً أما لهذا الفاضل من الطلائع النظرية ما يساهج منه ثمرات النظر
في العواقب التي تنتجها تلك المحاربة أيعظن أن ديناً قوياً جاء به رسول الله

صلى الله عليه وسلم وامتن الله به على عباده وأجهد السانف الصالح من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تابعهم نفوسهم في ضبط أحكامه وتدوين آدابه تذهب به قويزات المتفلسفين أو معارضة الأروباوين وقد ملأ الأقطار نوره وحبرت الصحف سطوره وبلغ مقدار المتدينين به ثلاثمائة مليون كما يقول ذلك الفاضل وهل كان أغنياء الأمة وشعراؤها الذين استنجد بهم إلا من أهل هذا الدين وأنهم ليجودون بأرواحهم دون ضياعه فهل استأنس ذلك الفاضل من نفسه ومن أفراد تلك الطائفة قوة تقاوم تلك الملايين أم يظن أن أوروبا تساعده على ذلك سرا وعلانية ولوفر ضنا أنها ساعدته وكان الله سبحانه وتعالى يريد بالناس خيرا بقاء دينهم فهل لهم قوة على مقاومة رب العالمين الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كلا والله إنهم إذا زعموا ذلك لمن الكاذبين

أليس لهذا النبىء المتحامل بلسانه من الفكر ما يتبين به أنه بهذا التحامل وتلك النظرة التي أصبحت بها ناصراً للباطل على الحق وللكنفر على الإيمان ولأهل أوروبا على هذه الأمة الضعيفة ومعيها للمدينة التي يدعي أنها تحارب الدين الإسلامى وما شمعنا لهذه الحرب رائحة قد تعدى الحدود الدينية ومن يتعدى حدود الله فأولئك هم الظالمون وإننا لنجهل المحاربة المدنية للدين ما هي فإن كان يقصد بذلك الحرب أن المدينة تحل ما حرمه الدين وتجر المتدينين على متابعتها في تحليل ما حرم الله وفي هجر مناسك الدين فليس ذلك الحرب حرباً أوروبا ولا حرب مدنية ولكنه حرب فلسفة طبيعية شن غارتها ذلك الرجل الأفغانى ومن تبعه ولقد أثبت ذلك للعقلاء الوقائع

الفلسفة والحوادث الزمانية والمقالات الزينية ثم زاد ذلك البيان اللورد كرومر ايضاحاً في تقرير هذا العام الذي نقلته عنه جريدة المنار في الجزء الرابع والمجلد التاسع الصادر في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٤ إذ قال في مقالته اختطفت المنية في السنة الماضية رجلاً مشهوراً في الهيئة السياسية الاجتماعية بمصر أريد به الشيخ محمد عبده ثم استرسل في سرد المدائح إلى أن قال وأذكر له مثلاً على نفع عمله الفتوي التي أفتاها فيما إذا كان يحل للمسلمين تدمير أموالهم في صناديق التوفير فقد وجد لهم باباً به يحل لهم تدمير أموالهم فيها من غير أن يخالفوا الشرع الإسلامي ثم تقاضي جنابه عن الفتوى الترنسفالية التي كانت لها الشهرة الملمومة واستطرد الكلام إلى أن قال فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربايين ولعلمهم أن يجدوا بعض التنشيط من نقلي قولاً لرجل من أهل دينهم إلى أن قال وأعود فأبسط الرجا أيضاً أن الذين كانوا يشاركونه في آرائه لا تخور عزائمهم بفقد بل يظهرون احترامهم لذكره أحسن إظهار بترقية المقاصد التي كان يرمي إليها في حياته

فذلك ليعلم المسلمون أن أوروبا لا تتظاهر بمحاربة الدين الإسلامي لعلمها أنه هو الدين القويم والصراط المستقيم ولا وجه لها في محاربته بمدينة ولا بعيداً جوري ولكنها ميالة إلى من يحاربه من الطبيعيين بمثل هذا الحرب الذي ذكرنا مبدأه وقد أعانه هذا الفاضل ووجد له من أحداث قرنائه السوء أعواناً لا تخلوا جريدة المؤيد من تمويهاتهم وتشجيعاتهم يوماً من الأيام لأنهم توهموا أن اللورد كرومر ماشطهم إلا لشن الفارة وإعلان

المخاربة والتمدى على الدين وأهله ولكننا لا نظن ان ذلك يكون من عقلاء
 السياسيين ولكنها اوهام اعانت الأحداث على التظاهر برعونة الطيش
 والتباهى بالضلال والله لا يهدي القوم الفاسقين فواجب العقلاء الأمة كيف
 يدعون العقل وكمال المعرفة وإذا سئلوا عن دينهم قالوا إنا نحن مؤمنون
 ولكنهم إذا دعوا إلى مفسدة دينية أو تزيت لهم الأباطيل المزخرفة
 بزى الإصلاح لا يجدون من عقولهم باعثاً يمتهم على التبصر في عواقب
 مادعوا إليه ولا على البحث عما تستر من المفسدة في زوايا زخارف اقوال
 الموهين حتى يكونوا على بصيرة منها دعوا إليه قبل ان يتلبسوا بعمله او
 يتخلوا لصالح الداعين إليه فإن النظر في المواقب وتميز الشؤون الضارة من
 النافعة من وظائف العقل ولقد جاء أولئك الضلال الموهون زاعمين انهم من
 نصراء الإسلام والمسلمين فهل من نصرة الدين هجر المساجد والتهاون
 بالمرأى وغيبة الاتقياء وإعابة العلماء ومقت من يميل إلى محبة عباد الله الصالحين
 ويجعل زيارة قبورهم تذكاراً لما كانوا عليه من الاستقامة والعمل الصالح والآداب
 الكفائية والأخلاق الكريمة هل من نصرة الدين النهي عن التوسل برسول
 الله صلى الله عليه وسلم بدعوى ان ذلك شرك كشرك عبدة الأصنام هل من
 نصرة الدين معاداة العلماء والخوض في آيات الله وتحريفها عن مواضعها هل
 من نصرة الدين التشنيع بالمسلمين وفتح الأورباويين والتشبه بهم هل
 من نصرة الدين الإقبال على الدنيا والإعراض عن الآخرة فما ظنك ايها
 العاقل النبيه بمدعى العلم الذي لا يثنى إلا على علماء أوربا الذين إذا قيل لهم
 آمنوا بالرحمن قالوا وما الرحمن وما ظنك بمدعى العقل الذي لا ينفذ إلا من

يذكر الله ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ظنك بمن يدعي
الإيمان وهو لا يمت في جميع المال وفي قومه إلا من كان يؤمن بالله ورسوله
واليوم الآخر ويعمل صالحاً فهل ينبغي للعقلاء أن يتركوا أنفسهم هملًا ويلقوا
بقلوبهم في قبضة أحداث ضالّين فيهلكوا كما هلكوا ألا هل من عاقل يقول
لأقرانه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو إمام الأمة ومشروع
الشريعة ومؤسس الدين ورسول رب العالمين ما كان طبيعياً ولا جغرافياً
وما كان إلا صواماً وقواماً وداعياً إلى الله بإذنه وهدى في الدنيا ومرغباً
في الآخرة وهؤلاء الأقوام على غير هذا المنهج فإن كان هو المخطئ وهو
المصيبون فلا إسلام ولا مسلمين وإن كان هو المصيب وهو المخطئون فما هم
إلا من جنود الشيطان فالواجب التحرز منهم

أأهل من عاقل يتبصر في دعواهم أن الدين ليس هو الذي جاءت به
الأئمة ودونه العلماء في كتبهم ثم يتأمل فيما زعموه من أن فساد الدين كان من
الصوفية ومن الأئمة المجتهدين فيقول لقومه يا قوم إن هذا زعم يستلزم البحث
والإلتفات فلتكن منكم طائفة متبصرة ذات أفكار نيرة وقلوب سليمة
تستحضر مؤلفات الفقهاء ومدونات الصوفية لتبحث عن الدين فتعلم ماواه
وتبين أهله فإن تحققنا أنه هو الذي عليه علماء الأمة واتقوا لها عضدناهم
واتبعنا طريقهم القويم ونبتنا أنوال أوائلك الأحداث وراء ظهورنا لكيلا
يهلك معهم فإنهم حزب الشيطان وإنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير
وان كان الدين مضاداً لما في تلك المدونات مزقناها واغرقنا أهلها
أو تركناها في ظلمات لا يبصرون * ألا هل من متبصر ألا هل من متدبر

الأهل من متفكر في سبب تنشيط اللورد كرومر للطائفة التي كان
كبيرها الشيخ محمد عبده فإن علم أنه تنشيط لإقامة شعار الدين يناديه
باجتباب اللورد نحن المتدينون ونحن الأحق برعايتك وتنشيطك وإن كان
لغير ذلك يقابل من الاستعطاف والإسترحام بما يخفف وطأة أولئك المحاربين
عن الدين حتى لا يكون ذلك التنشيط سبباً لتصفيتهم لهذا العمل السيء الذي
ماسبقهم به إلا الدول التي تحققت بطلان دين المتدينين من رعاياها فمارضتهم
وكان لها الحق في تلك الممارسة فإنهم كانوا على شرائع منها ما هو منسوخ
بالشرعية الإسلامية ومنها ما هو مخترع لهم والدين الإسلامي محفوظ من
هاتين الماهيتين ولا يصيب إلا من كفر بالله واليوم الآخر وعاد عن طريق الهدى
وأتبع سبيل الذين لا يعلمون ولقد كنا ظننا أن المحاربين للدين قد كفوا عنه
السنتهم حتى هتف هاتف تلك الجريدة التي إن تأملها العاقل ملأها وإن سامها
التقى ستمها قائلاً

إن وجودي كل يوم وازدياد الهوى يأتي على غير المراد
زعم ذلك الفاضل أن المسلمين على دين مبدل من عهد القرن الثاني كما
سبق نقله عنه فصار الواجب علينا أن نبين حقيقة ما نحن عليه وما عليه كل
مؤمن من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الآن ليتحققه المتحققون
حتى إذا علموه حقائقاً بيننا وبين هذا المحارب واعوانه بحال تنفذ قلوبنا
من أحوال القلق ومن عجائب الإضطراب حتى إذا علم كل أناس مشربهم هدايات
الخواطر وصفت القلوب واستتب الأمن واتصلت حبال المودة بين الأمة
وبين الأورباوين متى تحققنا أنهم لا يمينون أعداء الدين على محاربتهم فإن

ذلك لا يجمل بمدي المدل والحرية ونشر اعلام المدينة فلذلك نقول والله
يقول الحق ويهدي السبيل

جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم داعياً إلى الله بإذنه وقال لقومه
إني رسول الله إليكم فمنهم من آمن ومنهم من تولي واستكبر وكان من
الكافرين فلما ثبتت رسالته واحدى به قومه ليقيموا على حقيقة ما جاء به قال
جئتكم لتؤمنوا بالله وحده ولتكونوا مسلمين قالوا وما هو الإسلام فأجاب
بما جاءت به ثقة الرواة وهو قوله بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله
إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج
بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً ثم صلى بهم حتى عسروا ما هي
الصلاة وصام معهم بالطريق التي قررها القرآن وكذلك الحج والزكاة حتى فقهوا
عنه جميع آداب الدين وتوالى ذلك العمل تابعا عن تابع بالضبط والتجريد الذي
سخر الله له الأئمة المجتهدين حتى فويت القرون الأولى قرناً بعد قرن وكنا نحن
الوارثين لتلك المزايا وما نحن نعمل كما عملوا ونقول كما قالوا ونشهد كما شهدوا
إيماناً وصلاة وصوماً وحجاً وزكاة وما هدمنا قاعدة من قواعد البناء الذي
بنى الله الإسلام عليه عند ما جاء جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وأصحابه شهود وقعود وجلس امامه ثم
سأله ما الإسلام فقال ما قدمناه ثم قال ما الإيمان فقال أن تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى
فقال وما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك
ثم انصرف فقالوا يا رسول الله من هذا فقال هذا جبريل جاء ليعلمكم امر

فيكم فثبتت هذه العقيدة في قلوب الصحابة والتابعين ومن تابعوهم حتى
 أصبحنا ممن لا نخرجهم عن هذا الاعتقاد زلازل الزلزال ولا شوائب الشبه
 المضلة التي ضرب الله لها مثلاً في القرآن بقوله (ومثل كلمة خبيثة كشجرة
 خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) ولما كانت هذه الأعمال
 والأحوال والاعتقادات محتاجة إلى آداب تجملها أجهد الصحابة نفوسهم
 في دقة المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والإقتداء به تقليداً في كل حال
 ادبي وكمال ذوق وتابعهم التابعون ومن تابعوهم حتى الآن فكان منامن
 جمل تلك الآداب ومنامن عرفها ولم يتحقق بها في كل أعماله أو بعضها
 ومنامن أجهد نفسه في اتباعهم ولكنه لم يتمكن من نفسه كما تمكنوا ولم
 يحسنوا كمن أحسنوا ولما قضى الله سبحانه وتعالى أن هذه الأمة تكون
 خير الأمم هداية ورشاداً وإيماناً واعتقاداً وتلقياً عنه واستمداً يأصرون
 بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله أنزل لهم كتاباً جامعاً لكل
 ما يحتاجه الإنسان في دنياه وفي آخرته ثم قال إن هذا القرآن يهدي للتي
 هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً
 وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذاباً أليماً (فأوصى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أمته بالتمسك بهذا الكتاب بقوله ألا أيها الناس إنما
 أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيبوا نبي تارك فيكم ثقلين أو لهما
 كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ كان على
 الهدى ومن أخطأ ضل فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به واهل
 بيتي اذكركم الله في أهل بيتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ستكون فتنة قيل فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم هو الفصل ليس بالهزل وهو حبل الله المتين وهو لذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم من هرب إليه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تشبع منه العلماء ولا تلنيس به الألسن ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرأنا عجبا يهدي إلى الرشاد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن دعا إليه فقد هدى إلى صراط مستقيم

فلما سمع المسلمون وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلموا أن أولى الناس بمعرفة ما في القرآن من الأحكام والآداب التي بها تحسن العبادات والمعاملات هم أهل الخشية من العلماء فلجأوا إليهم ووقفهم الله سبحانه وتعالى لاستنباط الأحكام التي بها يتبين الحرام من الحلال والواجب عمله وغير الواجب من نذب وإباحة وغير ذلك كل حكم مقرون بدليله ولما علم المسلمون المعاصرون لهم صدقهم وأمانتهم لم يجدوا بدا من متابعتهم عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتمكم شفعاؤكم فالظنوا بمن تستشفعون وهناك انقسم العلماء إلى طوائف في ضبط أحكام الدين وآدابه فمنهم المحدثون ومنهم المجتهدون ومنهم المفسرون وقد اتقن كل عامل منهم عمله وهاهي أعمالهم وآثارهم واقفوا لهم مدونة بين أيدينا وما علمنا من مذهب يخالف ما جاؤا به إلا مذهب الفلاسفة فاعلى العقلاء إلا أن يتثبتوا في تحقيق الذي ادعيناه وما ادعاه ذلك الفاضل حتى إذا تحققوا الحق زجروا من كان منامفتونا

وعقوباً ومضلاً مبيناً ثم ان اختلاف المختلفين وتنازع المتنازعين الذي ادعى ان المسلمين تركوا الدين واستعملوه لم يكن سبباً في صروق مسلم من دينه ولا داعياً لضبايح إيمانه كما سبق بيانه واما دعواه ان تلك المنازعة لم يستفد منها الطالب شيئاً وان العلماء وقفوا بالطلاب في موقف الجمود فلذلك لم ينجحوا فإنها دعوى لا دليل لها لأنه إن كان ذلك الفاضل استأنس الخسران وعدم النجاح من فساق الطلاب الذين يلازمون الملاحى في أوقات الفراغ فاهم إلا أتباع المتفلسفين الذين غرهم زخارف أقوال المضامين وما انتشرت فيما بينهم الفاحشة إلا لما سمعوه من معلمهم أن الإنسان حر الضمير يفعل ما يريد وأنه مادام عالماً لا يضره شيء العمل شيئاً

وإن كان استأنس ذلك من سكوت العلماء المتدينين كما قال إن الصمتهم بالدين أشدهم جهوداً فما هي إلا دعوى تشابه دعوى المدعي أن الصيف لا فائدة فيه لأنه شديد الحرارة مثلاً إذ لو لا جهله بمنافع الحرارة ما ادعى تلك الدعوى الباطلة ولو أنه سأل العقلاء لآوقفوه على ما للصيف من المنافع والتأثيرات المفيدة للزرع والضرع واجسام الحيوانات وغير ذلك مما لا يجهله أهل المعارف فهكذا حال ماقت المتسكين بدينهم لأنه لو كان من أولى الألباب الذين ما أنزل الله كتابه الحكيم إلا ليهتدوا به إلى الآداب الدينية التي بها يعلم الإنسان كيف يعامل ربه وكيف يعمل بأوامره ونواهيه لعلم ما هو الدين ومتى عرف الدين اعترف بفضل المتدينين ولكن القوم أخذ بمخترتهم الجهل إلى معالم الغرور والطيش فادعوا العلم وهم لا يعلمون وتوهوا الهداية وهم لا يهتدون وما يمدم الشيطان إلا غروراً

(ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها) استخدمنا
خادمة في عمل من الأعمال المنزلية وكانت تميل إلى الملاحية وتدعي التمرد
والطرب وتتخفى غالب أوقاتها بقول غير معقول فيطربها ذلك التقنى حتى
يتخيل السامع أنها ذات صبوة وشغف ففوت بها مرة وهي لاهية تترنم
بما لم أعقل له معنى فلما أحسست بي خجلت فسألتها أن تعيد ما ترنمت به
فأنشدت تقول

سَهْرُ النُّجُومِ يَاشْلُوطُ وَلَا تَ عَنْ سَهْرِي

تَلِيهِ فِيهِ وَلَا عَنْ خَيْرِ الْبَهْرِي

فقلت لها من أين لك هذا قالت تناولته من أحد المغنين في سراي
أحد الوجهاء فعلمت أنها ليست بطروبة ولا عاشقة ولكنها ذات طيش
وفتون تقول مالا تمقل وتدعي مالا تعلم ثم وجهت فكري إلى الأناشيد
التي تعودها أهل الأغاني في الجامع فما وجدت ما يضاها ما ترنم به إلا
قول القائل

سل يا أخا البدر نجم الليل عن سهرى * تدري النجوم كما تدري الوردى خبرى
فأخذ مني العجب من أعمال القدرة الإلهية مأخذاً عظيماً وتحققت
أن ضجيج الغرور والطيش لا يدري جهل نفسه وأيقنت أن الطيش هو
منشأ الدعاوى الكاذبة ومصدر الإعجاب وأن صاحبه يستحسن ما يستعجبه
العقلاء وما أظن أن عاقلاً يجهل شؤون الطائشين ولكنهم يتفاوتون
في الدعاوى كل بحسب ما حوت حافظته من المعلومات ولا فرق في ذلك
بين عالم وجهول ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ذلك ليعلم العقلاء

أن الله سبحانه وتعالى جعل الزكاء والفطنة وقوة الملكة وسرعة اشتغال
 شرر زئد القرائح الوقادة عدداً وآلات في غالب الحيوانات سيما النوع
 الإنساني ليستعملها الحيوان أو الإنسان في شؤون رتبته الوجودية التي
 خصصت له كل على حسب قابليته واستمداده وقد يكون الفاسق زكياً
 والتقي شبيهاً بالفبي لأن الله سبحانه وتعالى جعل له التقوى حاجزاً بين
 زكائه وبين اللسان وسوء الجدل ولذلك قال الله سبحانه وتعالى (أفمن يمشي
 مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي سوياً على صراط مستقيم) فكانت
 تلك العدد والآلات في الأنبياء وفي أثقياء أهمهم من عوامل الإرشاد
 وتهذيب النفوس وردها إلى معالم الرشيد وردعها عن الشهوات ومتابعة
 الأهواء في الأعمال والأقوال والأحوال وكانت في باقي الطوائف طريقاً
 للإغواء والإضلال أو جلب المنافع ولو من حرام أو حيلة لمحاربة الفضلاء
 أو مزرعة للتحايل والمكر السيء إلى ما لا يحصى من أعمال الشر التي غلبت
 شروطها مقاصد الأخيار في هذا الزمن الذي ماصر على النوع الإنساني
 زمن شرمته حتى في قرون الأمم الطاغية ولا في أيام الجاهلية وذلك لأن
 الكثيرين من أهل هذا الزمن تطبعوا بطباع جميع الأمم التي أهلكها الله
 تعالى بمعنى أن كل أمة هلكت بسبب واحد أو أسباب ذكرها الله سبحانه
 وتعالى في كتابه الحكيم وأما فساق هذا الزمن فصارت أخلاقهم مجتمعة
 لجميع تلك الأسباب كما أن أثقياءه استكملوا جميع آداب الأمم ولقد كانت
 آداب المائلات العرفية وروابطها الودادية مخفوفة فيما بين الجاهلية وكانت
 حقوق الوطن محترمة وكان كل ذي منزلة لا يتعدى منزلة وإن تمداها

لا يجد معيناً ولا مساعداً إلى غير قليل من الخصال المحيطة التي أصبحت مفقودة في هذا الزمن لا تساع الزكاء والفطنة في أهله بالتساع المعلومات التي لا تفيد من علمها إلا الضرر وشدة الطيش وبذلك يزدرى الفضلاء ويحتقر العلماء فلا يهتمدي إلى الرشد سبيلاً لأنه يرى نفسه فوق كل عالم وأكل من كل كامل ولهذا قد انطلقت السن السفهاء بالطعن في أعمال الساف الصالح وازدرأهم وذلك هو الضلال البعيد

قال ذلك الفاضل إن المسلمين اختلفوا في دينهم فكان ذلك الاختلاف سبباً في انحلال الرابطة الاجتماعية ومضراً بصالح الجماعة الإسلامية إلى آخر ما قال

وذلك قول ما فهمناه لأننا مسمعنا بحروب دينية قامت بين الأئمة المجتهدين تفرق بسببها شمل المسلمين كما أننا لم نعلم بواقعة ذات أهمية وقعت بين مالكي وشافعي مثلاً بسبب اختلافهما في حكم من الأحكام مثل نواقض الوضوء أو غير ذلك فلذلك لم نعقل ما أشار إليه ذلك الفاضل إذ الخلاف الذي يضر بالروابط الاجتماعية والمصالح الوطنية هو الشقاق الوطني الذي يقع بين الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة وذلك لم يكن في الأمم الإسلامية بسبب ديني وما كان في هذه الأمة إلا في الفتنة العرابية التي يعلم الله وملائكته وألوا الألباب من عباده أنها فتنة أفغانية باعثها معلوم للعقلاء وما زال الأحداث من القوم الموقظين لها عاملين على معادات الدين وأهله حتى الآن ودوام الأسباب تابع لدوام أسبابها ولن يجد الباحث سبباً لانحطاط أحوال بعض الأمم الإسلامية إلا تلك الفتن التي اتخذتها

أوروبا طريقاً لا احتلال الأمتصار والتجول في الأقطار وراء بئمة المتفلسفين
الذين هم أسباب الفساد في كل أمة سيما أهل التلميس والتلميس الذين بدؤوا
في مصر والهند بدور الفساد وما الله بغافل عما يعمل الظالمون وأما الذين
فإنه هو هو معمول به بين الخيار من الناس وله أهل لا يزحزحهم عنه
مزحزح وإنه هو الطريق القويم الذي لا سبيل للسعادة سواه فمن نعمه فما
نمي إلا منزلته عند الله ولكن أكثر الناس لا يفقهون وما كان انتقاد
الفلاسفة واعتراضهم على أئمة الدين الذين ما اختلفوا في أصول الدين حتى يقال
أنهم أضروا به ولكنهم اختلفوا في بعض الأحكام لا اختلاف الناقلين لها ما بين
مشدد ومخفف وما تمسك كل إمام منهم بما وصل إليه إلا محافظة على الدين
لكيلا يكون اللاهواء فيه مجال وحفظاً لروابطه وأساساته التي أسسها الله
ورسوله ولا محاربتهم للدين والمتدينين إلا نشراً للفلسفة الطبيعية وإطفاء
لنور الدين الاسلامي ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون

يا بني إن الله تبارك وتعالى وعدنا سعادة أبدية على السنة الرسل وبين
سبيل الخطوة بها في محكم الآيات المنزلة بكلام معقول وتوعد المشتركين
بشقاء سرمدي وقد قلت فيما نقلته عن علماء أوروبا إن كنت من الصادقين
أن الدين كله خيالات وأوهام لأنه لم يأت بأدلة حسية تثبت الحقائق التي
يدعيها والعلم لا يقبل إلا ما كان من الحقائق ثابتاً بأدلة حسية

وأنا يا بني من طريق البيان الإرشادي لا من طريق الجدل أقول
لك مقال أبناء يعقوب ليعقوب إنك لفي ضلالك القديم إذ الدين آداب
وحقائق كمالية معلومة لأهلها كما سبق بيانه غير مرة وتلك الآداب

والكمالات هي التي تميز بها هذا الحيوان الناطق عن جميع الحيوانات
حتى صار صالحاً لأن يتلقى كلمات ربه ولما الحقائق التي زعمت أن الدين
يدعيها بغير أدلة تثبتها فإهي إلا أنباء الوعد والوعيد التي ذكرناها فيما سبق
وما هي الدين ولكنها أنباء سماوية ذات تبشير لمن تدين بهذا الدين الذي
هو طريق الكمال والإعتدال لأن منازل التكريم التي هي دار السلام
والسمادة لا تقبل النقائص ولا ينبغي أن يسكنها مفقود الآداب فإنها ليست
بدار قصاص ولا تأديب كما أن تلك الأنباء ذات تحذير لمن لم يسلك ذلك
المنهج القويم ووعد وتهديد وما كان التبشير والتحذير إلا بياناً من الله
سبحانه وتعالى لما يكون في العواقب حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسالة فحجت مكذبة لتلك الأنباء وزعمت أن الدين يدعيها بلا دليل
يشبهها وإن لنا قبل الكلام على ذلك أسؤال نلقيه إليك ونطرحه أيها الفاضل
بين يديك وما إخالك تستطيع عنه جواباً

أرايت وأنت صاحب هذه الدعوى العريضة التي تركتكم زردى
أفاضل ثلاثمائة مليون من المسلمين من كل قرن من الإحدى عشر قرناً
إن قال لك قائل إنك لتدعي أن لك عقلاً يفوق عقول أكابر تلك القرون
فهل من دليل حسي ثبت به دعواك العقل مع علمك بأن الدليل الحسي
هو الأمر الذي لا تقبل حقيقته الاحتمالات الظنية أفئن عجزت عن
الإتيان بذلك الدليل هل تكون مجنوناً لا عقل لك أو يكون لك أن تقول
في جوابك لمن يقول لك أين مقر العقل منك وهل أنت مالكه أو هو
المالك لك ومن منكما هو المتصرف في الآخر إن أعمالى وأقوالى دالة على

عقلي وليس لي من دليل سوى ذلك اجبني يرحمك الله
وهل من العقل والأدب أن يقول العبد الذي لا يملك لنفسه ضراً
ولا نفعاً لسيده الذي هو مغرور بنعمته وإحسانه في كل أحيانه ولحظاته كما
يُعلم العقلاء أنا لا أصدقك فيما جاءني من الأنباء الغيبية عنك إلا إذا جئتني
بدليل محسوس تُثبت لي به صدقك فملاقتك لنفسك الأثارة قبل أن
تصرعك في هذا المصراع الوخيم قفي أيها النفس الخبيثة متى موقف
الأدب حتى أثبت وأتبين الحق فأني أرى أنك لا شيء بالنسبة لهذه
الموجودات التي أوجدها هذا الموجد القادر بقدرته ودبرها بإرادته وحكمته
فأنتي للعقلاء استقلالك بشؤونك الوجودية طرفة عين وإذا ذاك يكون
لك الحق في ذلك التنازع والتكذيب أيها النفس ما هذه الدعاوى العريضة
المملوكة إنما أنت ماء وهواء وغذاء وضياء والكل لذلك الموجد المنان وهو
الذي أبدعها وأتقن صنعها وأوجد من بينها هيولاً فهل تدعين الغناء عنها
أليس بصرك رهين الضياء وسمعك رهين الهواء وما قولك إذ تقولين إلا
هو امتقطع تقطعه الخارج الحلقية فما فوقها طوع البواعث القلبية التي لا تعلمين
لها غداً ولا رواحاً ألا تستحي ألا تخجل ألا تخافي سطوة هذا الملك القادر
ألا تثبتي ألا تبصري، إن هذا هو الضلال المبين

يا بني ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى قد أثبت صدقه في دعوى
الألوهية ومرتبة الربوبية لأهل عنايته الذين سبقت لهم منه الحسنى بما
هو فوق الدليل المحسوس وضوحاً وظهوراً من طريق الذوق والوجدان
حتى عرفوه ووحدوه ثم قال لمن لا عناية له بهم (فمن شاء فليؤمن ومن

شاء فاليكفر) ولقد اختلفت طرق تعرفه لمبادء الأختيار كما تبينت شؤون
تجيبه وتذكره عن أهل الشقاء الأشرار وذلك لأختلاف القوايل
والإستعدادات من الفريقين ولأنه سبحانه وتعالى لا يتجلى من صور تجلياته
بواحدة مرة لاثنين ولا بصورة منها لأحد مرتين ولذلك لم تتحد صور
تجلياته لرسله ولا لأوليائه فقد تجلى لموسى عليه السلام مرة في الأعشاب
في شبه النار ومرة في الشجرة ومرة في الجبل وتجلى لإبراهيم عليه السلام
مرة في النجم ومرة في القمر ومرة في الشمس ثم قال (وكذلك نرى
إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) وتجلى لمحمد
صلى الله عليه وسلم بالتجلى الأعظم الذي كان فيه قاب قوسين أو أدنى وكذلك
اختلفت صور تجلياته لأوليائه وعباده المؤمنين كما سيأتى بيانه

واختلفت شؤون تذكره عن الأشقياء فمنهم من احتجب عنه بالملاهي
التي لا يميل لها إلا الصبيان وكل شاب مفنون فلا تراه إلا هاذيا في خلواته
ولا عبا في جلواته ولا يفخر إلا بما يمتقه العسقاء ومنهم من تحجب عنه
بحجب الجاه والآخر بحجب المال والآخر بالإعجاب بعلمه وآخر بزخرفة
كلامه إلى ما لا يحصى من المقتنات التي تحجب الله بها عن عباده الضالين الذين
حق عليهم القول المشار إليه بقوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) فيا أيها
الفاضل إن كان المجادل الذي طلب إثبات الأنباء الغيبية بالدليل الحسي
عرف ربه من طريق صنعته التي تراها العيون وتجار في بهاء إبداعها الأفكار
فلا حق له في طلب ذلك الدليل لأنه سبحانه وتعالى قد أثبت الوهيته

بكثير من الآيات التي ما وجد من يمارضه فيها ولا ينازعه كقوله تعالى
 (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) وقوله (هل من إله
 غير الله) وهذا هو الدليل الحسى الذي بثبوت تثبت الألوهية ومتى تثبت
 الألوهية ثبت صدق الأنباء إذ يستحيل على من تثبت ألوهيته أن يكون
 كاذباً وإن قال ذلك المجادل إن الطبيعة هي الموجدة لهذه المصنوعات نقول
 له من أي طريق تدعى ذلك وبأي دليل تثبته مع أنك لم تسمع بشيء
 يسمى الطبيعة نادى في الناس بأنه إله الخلائق وأما هذا الإله فقد أرسل
 رسلاً وأنزل كتباً وهذه آياته ومناداته لا يجهلها إلا كل كفار أثيم
 وإن قال أنا لا أنكر الألوهية ولا أكذب مدعيها ولكنى أنكر
 هذه الأنباء لا في ما تيقنت صدق الرسالة نقول له إن كنت من العقلاء
 فاستجمع كل ما جاء به الرسول من قرآن وأحاديث ومن أعمال وأحوال
 ثم أحسن تلقيها عن رجل كامل من أهل الآداب الكمالية حتى تكون
 كأنك شاهدت ذلك الرسول وحضرت مشاهد أعماله وأحواله كمن
 حضروها وآمنوا به وهنالك تكون قد وفيت حقوق البحث والنظر
 وسميت في نجات نفسك وإلا فأنت من الأحداث الذين اغتروا بزخارف
 أقوال المضالين

فإن قال إننا نرى عقلاء الفلاسفة قد أنكروا تلك الأنباء وهم أهل
 اطلاع ونظر نقول له إننا كثيراً ما ذكرنا لك أن اختلاف القوابل
 والإستمدادات منع التساوى بين المخلوقات فكيف ضل قوم بما اهتدى به آخرون
 وإن كنت أيها المجادل من الذين تنكر عنهم ربهم فجعلوه فما أنت

بأول الكافرين وقد قال الله تبارك وتعالى لنبيه (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تمبدون) إلى أن قال (لكم دينكم ولي دين) فمالك تعرض لإفساد عقائد المتدينين الذين تعرف إليهم ربهم فمرفوه ووحده وآمنوا بما جاءهم من عنده ألسنت تعلم أن لكل إنسان قابلية واستعداداً ألا ترى أن كل أمة من الأمم على دين غير ما عليه الآخرون وهم لا يتنازعون ولا يتناوشون فما هو الباعث الحامل لك على التعرض لعقائد المؤمنين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

يا بني إن أسافل الطبيعيين لا يطعنون إلا في الفقهاء وفي الصوفية فأما الفقهاء فإنهم أقوام تناقلوا جميع الأحكام الفقهية التي عبروا عنها بعبادات ومعاملات مخنوقة من الشبهة والإبتداع ناقلين عن ناقل حتى ينتهي التسلسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإليك ما نقلناه عن بعض السادات الشافعية من وصل إلينا من فضائلهم العقلية وصحة تلقي العلوم الدينية في إجازة كتبها الإمام الفاضل الشيخ عبد القادر ابن السيد إسماعيل الكيال في ربيع الأول سنة ١٢٤٧ سبع وأربعين ومائتين بعد الألف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين قال شيخنا العلامة المحقق الشيخ محمد الشمسي الحفناوي أخذت فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه عن كثيرين من محقق الجامع الأزهر منهم العلامة الشيخ أحمد الخايفي والعلامة الشيخ أحمد الفقيه

والعلامة الشيخ عبد الرزاق البشيشي والعلامة الشيخ نصر العزيزي والعلامة
 الشيخ يونس الدمرdash والنقتصر على سبند الأول لشهرته وكثرة
 الأخذ عنه فقد أخذ رحمه الله كما قال فقه الشافعي عن جماعة من علماء
 الأزهر والجامع الأنور أجلهم ولي الله الشيخ منصور الطوخي إمام
 الجامع المذكور ثم الشيخ أحمد البشيشي والشيخ الشرنبيلي والشهاب
 أحمد السندوبي وهم آخذون عن شيخ القرا والفقها والمدرسين الشيخ
 أبو العزائم سلطان ابن أحمد ابن سلامة ابن اسماعيل المزاحي وعن الشمس
 البابلي وعن العلامة أبي الضياء والنور على الشبراملي وكلهم آخذون عن
 الشهاب عميرة البرلي وعن الشهاب أحمد ابن حجر الهيثمي والشهاب
 البلقيني والشهاب الرمي وولده محمد الشمس وكلهم عن شيخ الإسلام
 زكريا الأنصاري وهو عن شيخ الإسلام الجلال البلقيني وعن الحافظ
 ابن حجر وعن المحقق الجلال الحلبي والثلاثة آخذون عن الحافظ الكبير
 عبد الرحيم العراقي وعن الملا ابن العطار وعن الأكل يحيى ابن شرف
 النوري وهو كما قال في ديباجة تهذيبه أخذت الفقه قراءة وتصحيحاً وسماعاً
 وشرحاً وتعليقاً عن جماعة ذكر منهم الكمال سار الأربلي وهو عن
 الشيخ محمد ابن محمد صاحب الشامل وهو عن الشيخ عبد الغفار القزويني
 صاحب الحاوي الصغير وهو عن أبي القاسم الرفاعي وهو عن الإمام محمد
 ابن الفضل وهو عن محمد ابن يحيى النيسابوري وهو عن حجة الإسلام
 الغزالي وهو عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك وهو عن والده أبي
 محمد عبد الله ابن يوسف الجويني وهو عن أبي بكر عبد الله ابن أحمد

القفال الصغير المروزي إمام طريقة الخراسانيين وهو عن الإمام ابن أبي
 زيد محمد بن أحمد بن سريج الباز الأشهب وهو عن أبي العباس الأنماطي
 وهو عن أبي اسحاق إبراهيم المزيّن وهو عن إمام الأئمة وناصر السنة
 محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه وهو عن الإمام مالك بن أنس
 رضي الله عنهما ثم عن مسلم بن خالد الزنجي فأما مالك فمن نافع عن عبد الله
 ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وأما مسلم فمن محمد بن جريج عن
 عطاء بن أبي رباح وهو عن عبد الله ابن عباس وعن زيد بن ثابت وعن
 كثير من الصحابة رضي الله عنهم وهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وهكذا هي أسانيد فقهاء كل مذهب تنتهي إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بصدق النقل وصحة التواتر فإن كان في هذا الدين تبديل أو
 تغيير فيكون المسؤول عنه بين يدي الله هو رسول الله عليه أفضل الصلاة
 وأتم التسليم وسلام على المرسلين فإياهم معصومون وما يجادل في آيات الله
 إلا القوم الخاسرون

وأما طريق الصوفية فمن المعلوم للعلماء وللعوام أن كل متبع لطريق
 من تلك الطرق التي تعددت أسماؤها بتعدد المرشدين بيده نسب مسلسل
 ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عن جبريل عن الله عز وجل
 وما حوت تلك الأنساب إلا أسماء أكابر الأئمة وخيار الأجلاء منها كما يعلم
 المطلع على تلك الأنساب وعلى آثار مسميات هاتيك الأسماء الذين تحيي
 القلوب بذكرهم وسند ذكر منهم أفراد أراجاء البركة
 وإذا كان كذلك فما حكم المنكر عند العقلاء الذين يتدبرون الحقائق

بسمة أنظارهم وجودة أفكارهم ويميزون الباطل من الحق بأنوار بصائرهم
إلا حكم كل كفار أئيم

يا بني لقد عرف العوام خالقهم من طريق الإيمان بالرسالة الحمديّة
التي لا يشك في صدقها إلا من كان غليظ الحجاب مظلم القلب خارجاً من
دائرة امتنان قوله تعالى لنبيه (قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم
أن هذا لكم للإيمان إن كنتم صادقين) وقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه
يشرح صدره للإسلام) إذ الإيمان لسالك طريق النجاة بمنزلة المطية
للراكب وما هو إلا نور يهدي به الله من يشاء من عباده والقوابل المظلمة
لا تقبل الأنوار ولا تصاح لتلقى الأسرار وأما العلماء فقد عرفوه من هذه
الطريق التي سلكها العوام ولكنهم كانوا أوسع علماً وأقوى يقيناً وأقوم
حالا من الطبقة الأولى لأنهم أحاطوا بكثير مما جاءت به الرسالة علماً
ولكنهم في طريق التعرف التي تعرف الله سبحانه وتعالى لهم بها سواً
في مزايا الإدراك النظري لأنها على اختلاف مساربها طريق عامّة سهل
مسالكها المشرع لكل سالك بمعنى أن العالم بفن التوحيد مثلاً لم تكن
مسرّبه في معرفة ربه كسرّبه الفقيه الذي لم يكن دارساً لفن التوحيد
والعالم الذي ما درس هذا ولا ذاك لم يكن سلوكه في المعرفة كسلوك من
ذكرنا قبله ولكن ربما كان العالم أقوى إيماناً منهما لأنه بعيد عن الشبه
الزيفية ولأنهما وإن خالفاه في زيادة العلم ولكنهم توافقوا في مزايا التعرف
لإيجاد الطريق التي سلكوها فإثر الطريق عامة معلومة مفتوحة الأبواب
سهلة المسالك لكل سالك

وأما أهل الخصوصية فمنهم أقوام عرفوه به من طريق العناية
والإختصاص كما أشار إلى ذلك سيدي علي وفاي ورده بقوله إلهي أنت
الذي خصصت أهل العناية ومنحتهم خلع الهداية فما نالوا فضلك إلا
بفضلك ولا ولجوا حضرتك إلا بنظرتك وما أحبوك حتى أحببتهم ولا
أقبلوا عليك حتى ناديتهم) إلى آخر ما قال وكذلك ابن عطاء الله
السكندري في مناجاته حيث قال إلهي إن القضاء والقدر غلبني وإن
الهوى بوثاق الشهوة أسرنى فكن أنت النصير لى حتى تنصرنى وتنصرنى
واغنى بفضلك حتى استغنى بك عن طلبة أنت الذي أشرقت الأنوار في
قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك وأنت الذي أزلت الأغيار من
قلوب أحبابك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤا إلى غيرك أنت المؤمن لهم
حيث أوحشتهم العوالم وأنت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم ماذا
وَجَدَ مَنْ فَقَدَ وما الذي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ لقد خاب من رضي دونك بدلا
ولقد خسر من بغى عنك متجولا إلى آخر ما قال وأولئك هم الأقوام
الذين عناهم الله بقوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) وبقوله (وقليل
من عبادي الشكور) وقوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم)
إلى غير قليل من الآيات القرآنية التي ذكر الله أوصافهم فيها وأولئك هم
أهل العناية والإختصاص الذين توسل بهم الإمام البكري بقوله نسألك
بأهل عنايتك الذين اختطفهم يد جذباتك وأدهشتهم سناء تجلياتك فتأهوا
بمعجيب كمالك أن تسقيناشربة من صافي شراب أهل مودتك الربانيون
وعرائس أهل حضرتك الذين هم في جمالك مهيمون الى آخر ما قال ذلك

بأنهم هم القوم الذين تعرف إليهم ربهم وتولى بعنايته تأديبهم من طريق
الوراثة المحمدية فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدبني ربي فأحسن تأديبي
وأما الاختلاف طرق التعرف فقد روى أن الفضيل ابن عياض رضي
الله عنه كان من قطاع الطريق بين أبيوردوسرخس وسبب توبته أنه كان
يهوى جارية فيمنها هو ذات ليلة يرتقى الجدران إليها إذ هتف به هاتف قائلاً
(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) فأخذ يضطرب ويقول
بلى يارب قد آن ثم نزل وصريبيكي فأواه الليل إلى مكان خرب وإذا برفقة
يقول بعضهم لبعض هيا لنرتحل فقد قرب الصباح فقال الآخرون حتى
نصبح فإن الفضيل على الطريق يقطع علينا فنأدام لا نخافوا واشهدوا أنني
تائب ثم ذهب إلى الحرم الشريف وجاور به وتلقى الطريق عن أكابر الأتقياء
وكان من أمره ما هو مسطر في سيرته ولقد ذكرنا واقعته مع هارون
الرشيد في كتاب المباحث الأدبية ومن كلامه لبعض أصحابه قوله لو أن
الدنيا بخذا فیرها عرضت علي ولا أحاسب بها التقدرتها كما يتقدر أحدكم الجيفة
إذا صر بها أن تصيب ثوبه ومن كلامه سيكون في آخر الزمان قوم إخوان
العلائية وأعداء السريرة وقال من عرف الناس معرفة العقلاء استراح
وروى أن إبراهيم ابن آدم رضي الله عنه كان من أبناء الملوك خرج
يوماً للصيد وكان على أثر ثعلب وقيل أرنب فهتف به هاتف لهذا خلقت
أم بهذا أمرت ثم هتف به من قريوس سرجه والله ما لهذا خلقت ولا بهذا
أمرت فنزل عن دابته وصادف راعياً من رعاة أبيه فأخذ جفته وأعطاه
فرسه وثيابه وذهب إلى مكة وصحب فيها سفيان الثوري والفضيل ابن

عياض ثم ارتحل إلى الشام وكان يأكل من كسب يده حتى نال ما نال
من مراتب المقرين

وقال سالم المغربي حضرت مجلس ذي النون المصري يوماً فأعجبني
إرشاده فلما فرغ من مجلسه سأله كيف كان مبدءاً أصرّك فقال إنه لم يجب
لأقبله عقول المحجوبين قلت وكيف ذلك قال خرجت من مصر قاصداً
إحدى القرى فنمت ببعض الصحاري فوقعت قبيرة على الأرض ففتحت
عيني وإذا بها قبيرة عمياء وقد انشقت الأرض وخرج منها سكرجان
في أحدهما ماء وفي الأخرى سمسم فأخذت تأكل من هذا وتشرب من
ذاك فقلت حسبي حسبي من كانت عنايته بالقبيرة هكذا لا يضيع أحداً
من خلقه ثم لزمته أعتابه حتى قبلي

وهكذا كانت مبادئ طرق التعرف للعارفين ثم تتوالى على قلوبهم
بعدها إمدادات الإرشاد والتعليم فيها ما يسمونه في اصطلاحهم واردات
ومنها ما يسمونه بوارد ومنها ما يسمونه بوارد إلى غير ذلك من أعمال العناية
الإلهية التي تستجلبها التقوى وكثرة الذكر وحسن العبادة المشار إليها بقوله
تعالى لنبيه (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) (وإن اليقين لا يأتي إلا من
طريق التعرف وما تلك الإمدادات إلا أعلام الهداية المشار إليها بقوله تعالى
من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً)

وأما التأديب فتارة يأتي من طريق المؤاخذه وتارة يأتي من طريق
العتاب والكل عناية من الله ورحمة وإن الله بعباده لرؤوف رحيم
قال إبراهيم ابن أدهم رضي الله عنه نمت ليلة تحت الصخرة بيت

المقدس فرأيت في النوم ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه من هنا فقال له الآخر إبراهيم ابن آدم فقال ذلك الذي حط الله درجة من درجاته فقال لم قال لأنه اشترى بالبصرة تمرا فوقمت ثمرة من تمر البائع على تمره فلم يردّها إليه قال فاستيقظت ثم تجهزت وسرت إلى البصرة واشتريت من ذلك البائع تمرا وأوقمت ثمرة من تمرى على تمره ثم عدت إلى بيت المقدس ونمت في ذلك الموضع فلما كان بضع الليل رأيت الملكين قد نزلا من السماء فقال أحدهما الآخر من هنا فقال إبراهيم قال ذلك الذي رُدَّ إلى مكانه ورفعت درجته

وإن للمعلاء في ذلك لعبرة إذ الثمرة الواحدة لا تؤثر في حال بائع التمر شيئاً ولقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ينادي على ثمرة لقيها قائلاً هل لهذه الثمرة من صاحب يتفقدوها فقال النبي عليه الصلاة والسلام إن من الورع لما يعقته الله وكره صلى الله عليه وسلم المناداة على الثمرة الضائعة لأنها لا تسمن ولا تغني من جوع ولا تؤثر في حال من فقد شيئاً ولكن الله سبحانه وتعالى لما علم أن رضاء إبراهيم ابن آدم بوقوع الثمرة على تمره وسكوته على ذلك منها يقدح في مكارم أخلاقه لأنه شبيه بالشهر وقريب من الطمع وربما استخف ما يماثل ذلك مرة بعد مرة حتى فسد حاله فأراه ربه في الرؤية المنامية ما يشبه العتاب لكيلا يعود لمثلها ورؤيا الأولياء وحى كرؤيا الأنبياء لأنه ما بقي بين الله وبين خاصته من شؤون الوحي الصحيح غير الرؤيا وكان من كلامه رضي الله عنه قوله أثقل الأعمال في الميزان أثقلها على النفوس والأبدان ومن وفى العمل وفى الأجر ومن لم يعمل

رَحَلَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ بِلَا قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ وَمَنْ كَانَ عَمَلُهُ لَخَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ
جَمَلَ عَمَلُهُ مَرَى سَهَامٍ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَقَدْ مَنَّا عَلَى مَعْمُورٍ مِنْ عَمَلٍ بِخَمَلَانَا
مَبَاءً مَشُورًا) وَسَمِعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ فِي شَيْءٍ مِنْ شُؤْنِ الدُّنْيَا
فَقَالَ لَهُ كَلَامُكَ هَذَا هَلْ تُؤْجِرُ عَلَيْهِ قَالَ لَا فَقَالَ هَلْ تَأْمَنُ مَاقْبَتَهُ قَالَ لَا
فَقَالَ فَمَا تَصْنَعُ بِشَيْءٍ لَا تُؤْجِرُ عَلَيْهِ وَلَا تَأْمَنُ مَاقْبَتَهُ وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مِنْ كُلِّ الرِّجَالِ وَلَهُ مِنَ الْكِرَامَاتِ مَا لَوْ ذَكَرْنَاهُ لَا سَتَفِرُقُ أَوْقَاتٍ وَمَلَأَ
مَجَلَدَاتِ الصَّحَفِ

وَقَالَ ذُو النُّونِ الْمَصْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَصَابَتْنِي عِلَّةٌ فَدَعَوْتُ إِلَيْهَا بَعْضَ
الْأَطِبَّاءِ فَلَمْ يُغْنُوا عَنِّي شَيْئًا فَلَزِمْتُ الْبَادِيَةَ فَلَمَّا جَنَنِي اللَّيْلُ وَكُنْتُ بِوَادِي
زَرْعٍ وَإِذَا بِامْرَأَةٍ سَوْدَاءٍ قَدْ أَقْبَلَتْ إِلَى سَنَبِلَةٍ فَفَرَكَتْهَا ثُمَّ تَرَكَتْهَا وَبَكَتْ
وَهِيَ تَقُولُ يَا مَنْ بَذَرَهُ حَبًّا يَا بَسًّا وَلَمْ يَكْ شَيْئًا أَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُ حَشِيشًا
ثُمَّ جَعَلْتَهُ عَوْدًا قَائِمًا وَجَعَلْتَ فِيهِ حَبًّا مَتْرَاكًا وَكَوْنَتُهُ بِتَكْوِينِكَ وَأَنْتَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ثُمَّ قَالَتْ عَجِبْتُ لِمَنْ هَذِهِ قُدْرَتُهُ كَيْفَ يَعْصِي وَعَجِبْتُ لِمَنْ
هَذِهِ صُنْعَتُهُ كَيْفَ يُشْكِي فَقُلْتُ لَهَا وَمَنْ يُشْكُوهُ فَقَالَتْ أَنْتَ يَا ذَا النُّونِ
إِذَا اعْتَلَّتْ فَلَا تَشْكُو أَعْلَتُكَ لَخُلُوقٍ مِثْلِكَ أَطَابَ دَوَالِكَ مَنْمَنُ ابْتِلَاكَ وَعَلَيْكَ
السَّلَامُ فَمَالِي وَلِمَنَاظَرَةِ الْبَطَالِينِ وَمَرَّتْ وَهِيَ تَقُولُ

وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ * وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَسَاكِينِ تَنْزِلُ
وَقَالَ الْجَنِيدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَخَلْتُ عَلَى السَّرِيِّ السَّقَطِيِّ عَلَيْهِ رِضْوَانُ
اللَّهِ فَوَجَدْتُهُ يَبْكِي فَقُلْتُ مَا يَبْكِيكَ قَالَ جَاءَتْنِي الْبَارِحَةُ صَبِيحَةً فَقَالَتْ يَا أَبْتَ
هَذِهِ لَيْلَةٌ حَارَةٌ فَأَعْلَقْتُ لَكَ هَذَا الْكُوزَ لَعَلَّهُ يَبْرُدُ فَمَقَطَرُ عَلَيْهِ ثُمَّ غَلَبَتْنِي

عيناى فرأيت فى النوم جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء ووقفت على رأسى فقلت لمن أنت فقالت لمن لا يشرب الماء المبرد فى الكيزان ثم تناولت الكوز وضربت به الأرض فكان كما ترى قال الجنيد فنظرت فإذا هو خزف مكسور وما مسه ولا رفعه حتى عني عليه التراب وقال رجل للسري يوما وقد رآه مصفر اللون كيف حالك فبكى وأنشد يقول من لم يَبِّتْ والحبُّ حشَوْ فؤاده لم يَدْرِ كيف تَفَتَّى الأكباد وقال احمد ابن خلف رضى الله عنه دخلت يوما على السرى وإذا به ينظر الى عصفور وقد أعد له ما يأكل فقلت ما هذا فقال هذا أستاذى ليعلمنى الأدب قلت وكيف ذلك قال إنه تعود أن يسقط على هذا الرواق فأكون قد أعددت له حبا فيلتقطه وهو على أطراف أناملى فإذا أكل انصرف فجاء يوما من الأيام ففتت له الخبز فى يدي فلم يسقط ففكرت فى سرى لأعلم العلة التى أوجبت وحشته منى فوجدتنى قد أكلت طعاما عن شهوة فقلت فى سرى اللهم إني تائب إليك من تناول ما أشتهي فسقط على يدي ثم أكل وذهب

وقال الجنيد رضى الله عنه دخلت على السرى فرأيتة متغيرا فقلت ما بالك قال دخل علي شاب وسألنى عن التوبة فقلت أن لا تنسى ذنبك فعارضنى وقال لا بل التوبة أن تنسى ذنبك قال الجنيد فقلت له إن الامر عندى على ما قال الشاب قال السرى وكيف ذلك فقلت لأنى إذا كنت فى حال الجفا ثم نقلنى من الجفا إلى حال الوفا فذكر الجفا فى أوقات الوفا جفا فسكت السرى مقتنعا

وقال جعفر ابن محمد الصادق رضي الله عنه قلت خیر النساج رحمه
 الله اكان النسيج حرقتك فقال لا قلت فمن أين جاء لك هذا اللقب فقال
 كنت عاهدت الله سبحانه وتعالى أن لا آكل الرطب فغلبتني نفسي يوماً
 من الأيام فاشتريت نصف رطل وتناوت منه واحدة وإذا برجل وقف
 أمامي وصار ينظر إلى ثم قال ياخير أبقت مني شهوراً وتركنتي أتفقدك
 في القرى والأمصاير وكان له غلام اسمه خير فوقع شبهه علي ثم أخذ بمخنقي
 واجتمع الناس وكل من رآني يقول للرجل هذا والله غلامك فبقيت متحيراً
 ومضيت معه إلى خانوته الذي ينسج فيه غلامانه فلما رأوني قالوا يا عبيد السوء
 تهرب من سيدك أدخل واعمل في موضعك الذي كنت تعمل فيه وأمرني
 بنسج الكرايس فدليت رجلي في بئر العمل وأخذت بيدي الآلة فكأنني
 كنت أعمل من سنين وبقيت معه عدة من الشهور وأنا لا أدري من
 أين أؤخذت فقامت ليلة من الليالي باكياً فتذكرت الرطب فلما صليت الصبح
 سجدت وتضرعت إلى الله في سجودي قائلاً إلهي لا أعود إلى ما كان مني
 فأقل عثرتي واغفر ذلتي وإذا بذلك الشبه قد ذهب عني فلما جئت لخانوت
 الرجل قال إنك لست عبدي ولا إسمك خير إذ ذهب حيث تشاء فتركته
 وانصرفت وقات في نفسي والله لا أغير إسماسماني به الله على لسان رجل مسلم
 وقال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه جلست في محرابي للذكر ليلة
 فلما طال بي الجلوس مددت رجلي فمتمف بي هاتف إن مجالس الملوك لا بد
 له من حسن الأدب فما مددتها بعد ذلك وقال أبو تراب عسكر ابن حسين
 كنت في البادية فتمنت نفسي على خبزاً طرياً وبيضاً وألحت علي في ذلك

فمذلت عن الطريق إلى قرية من القرى وإذا برجل قد وثب علي وتعلق
بي وقال هذا كان مع المصوص فقام معه أناس وبطحووني وضربوني سبعين
خشبة فوقف علينا رجل وصاح هذا أبو تراب النخشي خلوني واعتذروا
إلي وأخذني الرجل وادخاني منزله وقدم إلى خبزاً وبيضاً فقلت لنفسي كليهما
بمئة سبعين جلدَةً وقال الإمام أبوا بكر الشبلي رضي الله عنه عقدت عزمي
أياماً على أن لا آكل إلا من حلال طيب فكنت أدور في البراري آكل
من حشائش الأرض فرأيت شجرة تين فمدت يدي إليها لا آكل منها
فنادتني الشجرة إخفض عهدك ولا تأكل مني فأني ليهودي

يا بني

لقد أوقفناك على قليل من فضائل المتدينين وأريناك أبواب الطريق
التي سلكها الفقهاء منهم والصوفية وعرفناك عناية الله بعباده لتعلم ما هو
الدين الحق ولترجع عما أنت عليه من الخوض في أعراض المسلمين
فإنما هي رعونة نفس مأل بها الإطلاع على زخارف أقوال المجنوحين عن
مناهج أهل الآداب من المتدينين فإلك ولائمة مرحومة وصفها الله سبحانه
وتعالى بأنها خير الأمم وما وقعت أنت ومن سبقك من المتفلسفين إلا في
أعراض أتقيائها وخياراً كابرها الجاهل كما كانوا عليه من الآداب الكمالية
والاخلاق المرضية فهل أتم منتهون يا بني

إن لحوم الاتقياء مسمومة قتالة لا ينجوا والله متناولها لأنهم رجال
فضلاء أقامهم الله في خدمته فاستقاموا وأذاقهم حلاوة مناجاته فها هموا

وآرام آياته في الآفاق وفي أنفسهم فعرفوه وتودد إليهم بجليل مواهبه
فشكروه وتبجلى لهم بتجليات الجمال فأحبوه ثم تولاهم برعايته ونادى في
خلقه من آذالي ولياً فقد آذنته بالحرب وما كانوا إلا أفاضل القرون التي
حكمت عليها بأن أهلها كانوا على دين مبدل فن أن لك ذلك وما هي
حقيقة دينك المخالف لدينهم وعملك المخالف لأعمالهم يا بني

مالك لا تتيقظ من هذا الغرور الذي أغفلك عن محاسن الآداب كي تتفطن
لنفسك فتري وحشة هذا الموقف الذي وقفته بين مولاك الفيور وبين
عباده الذين منهم التقى والولي ومكسور القلب وكلهم ينادون ربهم ويناجونه
وهو برؤوف رحيم تالله لقد صدق الإمام أبو العباس أحمد ابن محمد
ابن سهل ابن عطاء الأزدى رضي الله عنه حيث قال إن الشفقة لم تزل
بالؤمن حتى أوقفته على خير أعماله وإن القسوة لم تزل بالفاجر حتى أوقفته
على شر أحواله وقال رضي الله عنه الغفلات المهلكات ثلاث غفلة العبد عن
ربه في تقلبات شؤونه وغفلته عن أوامره وغفلته عن معاملته في عباده
وإني أعيذك يا بني أن تكون من أهل هذه الغفلات

يا بني رحمتك الله سيقول السفهاء من الطبيعيين لعنهم الله إذا كانت الرسالة
ما جاءت إلا بدين قويم قوامه العبادات والمعاملات التي تناولها الفقهاء
اخلف منهم عن السلف نقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسانيد
المسلسلة التي سبق بيانها فكيف كان تباين الطريقتين أغنى طريق الفقهاء
وطريق الصوفية فهل جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بدينين الواحد
منهما تناوله الفقهاء والآخر تناوله الآخرون أم الدين واحد ولكمهم

اختلفوا في كيفية تناول وكيف كان الخلاف بين الشافعية والمالكية
مثلاً إذا كان الشافعي تلميذاً للمالك رضي الله عنهما

وعن هذا تقول والله يقول الحق ويهدي السبيل الدين كما بيناه في
كتاب الباحث الأدبية تعاليمات إلهية تفيد متعلمها المال بها طهارة باطنه
من خبائث الاخلاق الشيطانية والشهوات البهيمية حتى يكون على استعداد
تام لتلقي الاسرار الربانية في حياته وسالها لجاورة الابرار في دار القرار
بمقاماته وكم للدين من حكم كبرى ولكن هاتين الحكمتين كانتا أهم الحكم
وبهما تقوى علائق الوداد والمحبة بين الإنسان الكامل وبين معبوده
وتلك التعاليمات هي السبب الأقوى لنبوة كل نبي وبمئة كل رسول مبعوث
ولا يكلف بالعمل بها إلا من أيقن بصدق الرسول وألوهية مرسله وشهد
أنه لا إله إلا هو وأن ما جاء به ذلك الرسول هو من عنده ولما كانت
قوايل الأمم واستعداداتها مختلفة في قبول ما جاءت به الرسل وفي التصديق
برسالاتهم وكانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم أقوى الأمم قبولاً وأتمها
استعداداً وكان هو أكمل الرسل حالاً وأفصحهم مقالاً وأشرفهم أعمالاً
اختصه الله سبحانه وتعالى بخصوصية لم تكن فيمن سبقه من الرسل الأوهي
تنوير قلوب الخيار من أمة من طريق السر المصون المدبر عنه في توسل
السادة الخلوتية بقولهم

أدعوه بالسر المصون وآله وبمرشه الأعلى بنور جماله

ذلك سر تلقاه جبريل عليه السلام عن ربه وتلقاه عنه محمد صلى الله
عليه وسلم ولقاه ابن عمه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وسرى منه

لكل تقى من أهل هذه الطريق وهذا السر هو المشار إلى مزاياه بقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنا مدينة العلم وعلى بابها فكان النارق بين الطريقين
أن الفقهاء يسألون على إصلاح الظواهر بمطابقة تلك التعليلات التي سماها الله
دنيا في قوله (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الإسلام ديناً) ليتوصلوا بذلك العمل الصالح إلى إصلاح بواطنهم أو ليعلمونها
للمتأملين من بعدهم والدال على الخير كمناعله

وأما الصوفية فإنهم ياملون على إصلاح البواطن بمراقبة القلوب
وتخليتها من الشوائب حتى تكون صالحة لتلقى ذلك السر الذي عمله في
النفوس أشبه شيء بعمل التناكح في الأجسام أو بتلقيح النخيل كما يبدأ
ذلك في كتاب نشر الأسرار البشرية فكما أن النخل لا ينمو ثمرة إلا بالتلقيح
فكذلك إيمان أهل الإيمان لا يكون كاملاً إلا بتلقيح ذلك السر الذي اختص
الله به عباده الذين اصطفاهم واجتباهم من بين خلقه ونادى عليهم بأنهم هم
أول الألباب وذلك التلقين هو المشار إليه بقولنا في القصيدة الالامية من
كتاب مثبت العقل والدين

ليت قوماً تناكحوا نكحوني شرع قومي يرى النكاح حلالاً
ولذلك كان أحجام الأئمة من أكابر المرشدين عن تلقين ذلك السر
إلا لمن علموا فيه قابلية واستعداداً لتلقيه ومتى صلحت البواطن لتلقى ذلك
السر وتجلت به أشرقت أنوارها على الظواهر وأصبح صاحبه عبداً راسخاً يقول
لأشياء كن فيكون ولذلك وصفهم الإمام البكري بقوله في ميميته في رد السحر
عبيد ولكن الملوك عبيدهم وعبد هو أضحى له الكون خادماً

ومن كان ذاعقل يزن به أحوال المباد ويدرك به مزايا الاختصاصات والأسرار التي أودعها الله سبحانه وتعالى مخلوقاته لا يجد من نفسه قدرة على إنكار ما أعطى الله سبحانه وتعالى خيار خلقه من مزايا الخصوصية والفضل العظيم فوا عجباً للإنسان الجهول الذي يرى أن من الحيوانات البرية ما يربى أفراده بمجرد النظر وكذلك يرى الميعان الذي هو الحسود يعمل في محسوده بمجرد النظر ما لا تعلمه فواتك السهام كيف ينكر على عباد الله الذين اختارهم الله من خلقه كراماتهم التي نالوها بمجاهدة النفوس وصفاء الأسرار وطهارة القلوب والأبدان وما كانت عنايتهم إلا بحفظ البواطن ومراقبة القلوب وتصفيها بكثرة الذكر وشدة الخوف وحسن التوكل وصراعات الآداب الدينية التي هي من شؤون العبودية ولذلك عرفوا بين المؤمنين بأنهم أهل الحقيقة وأما الفقهاء فإنهم بالنظر إلى علمهم يقال لهم أهل الشريعة والعاملون منهم هم والتابعون للصوفية يقال لهم أهل الطريقة إذ الشريعة هي أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والطريقة أعماله والحقيقة أحواله وماورثه في تلك الثلاثة إلا أفاضل القوم الذين اشرقت أنوار بواطنهم على ظواهرهم ومن لم يكن له حظ في تلك الموارث الثلاثة فليس بعالم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء ولا يغنى التحقق باحد الثلاثة أو الإثنين منها عن الثالث شيئاً بمعنى أن العلم بغير عمل لا فائدة فيه بل هو أضر من الجهل والعلم والعمل إذا لم يصحبهما الحال الذي هو الأدب كأننا وبالا وضلالا وأكمل الآداب مراقبة الحق سبحانه وتعالى عند كل قول وعمل ونية

قال أبو تراب عنكر ابن حصين رضي الله عنه إذا صدق العبد في نيته وجد حلاوة العمل قبل أن يعملها وإذا أخلص فيه وجد حلاوته عند التلبس به وقال رضي الله عنه ليس من العبادات شيء أنفع من إصلاح خواطر القلوب

وقال أبو علي أحمد بن عاصم الأنطاكي إمام العمل والعلم وإمام العلم العناية فويل لمن صرف عناية الله به إلى عنايةه بدنيته وقال رضي الله عنه إن كنت عبداً لمولايك فإن أحسن لباس العبد التواضع والإنكسار وإن كنت عالماً فخبر لباس العلماء التقوى وسئل أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمار النيسابوري رضي الله عنه عن العلماء فقال هم المستعملون لعلمهم المتهمون لدينهم والمقتدون بالسلف الصالح والمتبعون لكتاب الله وسنة رسول الله إلى آخر ما نقلناه عنه فيما سبق وعلى هذا فالعقل لا يرى خلافاً في الدين بين الطائفتين ولكن الخلاف في مزايا المتدينين لا اختلاف قوايلهم فإن منهم من يتناول تلك المعلومات ليقال أنه عالم ولا يعمل منها إلا بالقليل الذي لم يغده في إصلاح الباطن شيئاً ومنهم من يزورها خلبانة قابلية وسوء استعداده فيعرض عنها فيغدوا من الأغسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ومنهم من تعلمها وعمل بها ولكنه ما صدق في العمل فما وجد مزية الإخلاص فيه ومنهم من تولى الله سبحانه وتعالى أمره فأصاح باطنه وظاهره فما تناول تلك المعلومات إلا بقلب طاهر وسمع واع فكانت له نوراً على نور (يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم)

وأما الخلاف الذي وقع بين الفقهاء فقد سبق للكلام عليه وما هو من طريق المنقول ولكنه جاء من طريق الموقوف أعني أن كل مجتهد متمسك بما وصل إليه ولكن تفاوت مدارك الأفهام أرجب وجود الاختلاف في الإجماع النظري لافي المقاصد إذا لكل متحدون في المقصد ومتفقون عليه وما هو الاحتفظ الروابط الدينية من الضياع والحجر على المتدينين أن يخالفوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة أهواءهم فيها كوا كما هلكت الأمم الماضية المشار إليهم بقوله تعالى (ففعلوا ما لم يؤمروا به) ففعلوا ما لم يؤمروا به ففعلوا ما لم يؤمروا به وكثير منهم فاسقون)

يا بني

مالك ولا أقوام استهنوا بلأيا الدنيا عن بلأيا الآخرة فوزقهم الله الرضا وأيدهم بالصبر وأنا لهم أرفع الدرجات وأنزلهم أشرف المنازل وأصبحوا في مقعد صدق عند مليك مقتدر قال أبوا إسحاق إبراهيم ابن أحمد ابن إسماعيل الخواص رضي الله عنه كنت في البادية فرأيت فيها رمانا فاشتريته فدنوت إلى شجرة وأخذت منها واحدة فلما شققها وجدت فيها حامضة فتركها ومضيت وإذا بزمن مطروح قد اجتمعت عليه الزناير فقلت السلام عليك فقال عليك السلام يا إبراهيم فقلت وكيف عرفتي فقال من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله فلو سأله أن ينجيك من هذه الزناير فقال لي أرى لك حالا مع الله فلو سأله أن يقيك شهوة الرمان فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة ولدغ الزناير

يوجد الله في الدنيا فما خفيك يا بني برجال يخافون العقوبة على تناول رمانة
بغير حق وانت لا تخاف العقاب على تناول أعراض أعم شهادته وملائكته
وكتبته ورسله أنهم هم المؤمنون وشهد لهم المرسى الذي أظلم والفرش
الذي أظلم بأنهم تقر بوا إلى الله بما أسرف به من صوم وصلاة وذكر وتبسيح
وغير ذلك من أنواع العبادات التي قررها المشرع وبمكارم الأخلاق التي
يحبها الله سبحانه وتعالى ألا فاستقل يا بني مولاي من عثرتك فإنها مهلكة
واستمن به على نفسك التي كانت اذ تصرك واستمدت من شيطانك الذي
استهواك وجعلك الهوته واحذر أخذ ربك فإن أخذه أليم شديد وإيه والله
لنيز ذوا انتقام يا بني تفقد نصائح المحبين وتمسك بمواعظ الصالحين لكيلا
تلك بك نفسك مسالك أهل الغرور فتؤذيها وتؤذيك وقد قال الإمام أبو
حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي اذا سامت منك نفسك فقد أدبت حقها وإذا
سلمت منك الخلاق فقد أدبت حقهم وهل سامت منك نفسك أيها الفاضل
وقد اتخذت لها من المسلمين ثلاثمائة مليون اخصاما وهل سلمت منك مسلم
منهم وقد ناديت عليهم بأنهم ليسوا على دين الإسلام أرايت أيها الأديب
الكامل الأدب الكريم الخلق الواسع المعرفة الذي ما حام السفه حول قلبه
ولسانه إن سألك مولاي في موقف العرض والحساب إن كنت مؤمنا
بالقيامة أو سألك أي سائل من أفراد المسلمين اليوم عن السبب الذي
الجأك لهذا التهور والإعلانات الخروب ومقتك لهذا الدين والمؤمنين
به وهم يشهدون أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقد تركت
عبادة القيلة وعباد الوثن وجايت المسيحيين أيما محابات وكان بينك وبين

فلا سفهم الحفاوة التامة ثم تماثلت عن اليهود والكل من نوع الإنسان ولهم عليك حق القرابة النوعية لأن الأب أهم والأم حواء فلماذا لم تقدم لهم واجب النصيحة أيها الناصح الأمين إذ كنت انت الذي أصبحت في الأمم حادثاً طبيعياً وناموساً اصلاًحياً فإذا يكرن جوابك أظنك تقول انه ليس من الحكمة أني أتعرض للإصلاح جميع الأمم مرة واحدة ولكن الحكمة أني كلما فرغت من هداية أمة عنيت بأخرى حتى لا يبقى على وجه الأرض ضال فأني فريد

يا بني

إن العقلاء لا يجدون في قلوبهم قوة على أن يمتقوا عاصيا لمصيانه لمعلمهم أن مثاب القلوب ربما رده إلى الطاعة والمتاب قبل أن يتخلص الماقت من أحوال دقته ولا تتجاري ألسنتهم على تكفير من لم يتحققوا كفره فما بالك تمقت من لم تتحقق مصييته من أموات المسلمين ثم تكفر من لا قدوة لك على إثبات كفره من المؤمنين فما أقساك على نفسك التي أوردتها موردا ماورده قبلك إلا من تميز بعمد المذلة وتماظم عقب الإحتقار ذلك الذي يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس المورد

قال الإمام أبو محمد جعفر ابن محمد ابن نصير الخواص رضي الله عنه الفتوة احتقار النفس وتعتيم أمر المسلمين وقال الإمام أبو الخير الأقطع القلوب ظروف فيها ما هو مملوء رحمة وإيماناً وعلامته الشفقة على المسلمين والإهتمام بما يهمهم ومنها ما هو مملوء نفاقاً وعلامته الحقد للمسلمين والإعتراض عليهم ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤ باصغرية قلبه ولسانه ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول لأصحابه عودوا قلوبكم الرحمة وكثيراً

ما أمرهم بإمساك اللسان وقال المسيح عليه السلام أحب أن أعود لساني
قول الخير كما سبق بيانه قبل وقال السري السقطي رضي الله عنه إن أشرف
الناس خلقاً من تمكن من نفسه فمنها من أربع ازدهاء الناس والإعجاب
بنفسه وزخرفة القول والميل إلى الشهوات ومن تزين للناس بتحقير غيره
سقط من أعين الله وقال رضي الله عنه ما رفع الله عبداً إلا بأربع وهي
العلم والأدب والدين والأمانة وما خفض الله عبداً إلا بأربع الجهل والدعوى
والتهاون بالدين وأذى المسلمين وقال رضي الله عنه من أفسد باطنه بمتابعة
الأهواء والرضاعن النفس وازدهاء الغير قاده الشيطان إلى مصارع سخط
الله من حيث لا يشعر

يا بني

ما بالاك نسيت نفسك واشتغلت بشؤون غيرك وإن لك من شؤونك
إن كنت من العقلاء لما يشغلك عن شؤون الناس فما لك تترك ما يعينك
وتشتغل بما لا يعينك وقد سئل مظفر القيسني رضي الله عنه عن خير
ما أعطى العبد من ربه فقال فراغ القلب مما لا يعنيه ليتفرغ لما يعنيه
وكان أبو حمزة رضي الله عنه حسن الكلام في المواعظ فنهت به هاتف
تكلمت فأحسن الكلام وبقي أن تسكت فتحسن السكوت فما تكلم
بعد ذلك حتى مات فيا بني إن كنت تريد سنة رسول الله فهي ما عليه
المسلمون من عهد الرسالة إلى الآن كما بيناه لك من قبل وإن كنت يا بني
داعياً إلى غير هذا الدين فما نحن لك بمؤمنين فعلى م الحرب وحتى م

السبب والشتم يا بني حسب أنك الطمع ونحن العصاة فهل من الأدب تكبر
 الطائمين على الناصين والسكل عبيد الله وما كانت اطاعة إلا برضاء الله
 ولا كانت المسبية إلا بقضاء الله وقد قال أبو جعفر احمد بن محمد بن
 علي تكبر الطائمين على العصاة شر من مباحيهم وأضر منها عليهم وقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم رب محسية أورثت ذلاً وانكساراً خيراً
 من طاعة أورثت عزاً واستكباراً يا بني

ان كان ما قلته من طريق النصيح فقد تجاوزت حده وإن كان من
 طريق الإرشاد والتمليم فما سلكت ذلك المسلك وإن كان من قبيل تبليغ
 الرسالة الي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بلغت رسالته وقد
 قال أبو علي محمد بن عبد الوهاب رضي الله عنه لكل شيء حد وكل
 فن جاء بالاشياء علي غير حدودها فقد ضيع حقها ومن تجاوز حدودها
 فقد أشرف علي هلاك نفسه وقال أبو علي الروزبادي رضي الله عنه إنما
 دخلت الفتنة علي القلوب من ثلاثة أشياء سقم الطبيعة وملازمة المادة
 وفساد الصحبة فقبل له ما سقم الطبيعة قال مخالفة الدين ومتابعة الأهواء
 فقيل وما ملازمة المادة قال النظر الي الحرام والسمع اليه واستحسان الغيبة
 فقيل وما فساد الصحبة قال أن يغفل العبد عن نظر ربه اليه وعلمه به
 فيسيء صحبته بالاسترسال ورأ نفسه فكما هاج في النفس شهوة يقبها
 وقال رضي الله عنه الخوف والرجاء جناحان للمؤمن كجناحي الطائر فكما
 أن الطائر إذا استوى جناحاه استوى وتم طيره وإذا نقص أحدهما وقع
 في طيره النقص وإذا ذهب جناحاه صار الطائر إلى الموت فكذا هو حال

المؤمن وما أظنك يابني إلا فاقده الرجاء والخوف لأن الرجاء يدعم لك ال
 الرأفة بمن مات من أموات المسلمين والخوف ينهك عن أن تختلق الله ما بين
 عيوبه مكتوبة فإين حالك من حال الأدباء وأهل الإيمان الذين توارثوا
 الرحمة بعباد الله عن رسول الله الذي كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً

قال ابراهيم ابن الأثير وش رضى الله عنه كنا ببغداد على شاطئ
 الدجلة مع معروف النكر خي رضى الله عنه وإذا بأحداث في زورق يضربون
 بالدفوف ويلعبون ويثربون الجنور فقلنا لمعرف ألا تراهم يعصون الله
 تعالى متجاهرين على ظهر الماء ومن عصى الله في البحر فكأنما عصاه فوق
 أجنحة الملائكة فرفع يده وقال إلهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة
 فأنهم عبادك وليس لهم راحم سواك فقلنا إنما سألتك أن تدعوا عليهم فقال
 إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يفرحهم في الآخرة يلهمهم المتاب ولقد
 تاب الله عليهم ببركة دعائه

فهل ترى يابني أن الله يحبك إذا مئت ثلاثمائة مليون من المسلمين
 وحكمت بأنهم كانوا كفاراً في عدة قرون يمجز الحاسب عن حصرهم فلو
 أنا ضربنا ثلاثمائة مليون في إحدى عشر فماذا يكون مقدار أعدادهم
 في أيت شمري إذا كانوا على دين مبدل والمسيحيون واليهود ليسوا على
 شيء ومن المعلوم أن عباد الأوثان ومن شا كلهم مشركون فمن ذا
 الذي كان من الأهم أو من الطوائف على الحق وكان الله راضياً عنه إني
 لا أرى لطبعي عن هذا جواباً إلا أن يقول هو الفلاسفة الطبيعيون
 وهنالك يستهزئ به الله وتسخر الملائكة وتضحك منه الشياطين

ويعلم الناس حقيقة ما أتم عليه والله على كل شيء شهيد

أيها العقلاء

أما الدنيا فلا بد من فنائها وزوال ما فيها كما جاءت به الأنباء الشرعية وشهدت به الأدلة العقلية وإن الموام الذين لا يهتمون إلى صحة النظر والإدراك بدلال سبيل لا يعلمون ذلك من طريق أنهم أيقنوا من تواتر الأنباء أن الأعمار كانت من عهد آدم إلى ما بعد موسى من المئين إلى الألوف في الغالب وأما من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فن السنين إلى السبعين وفي الغالب أقل من ذلك وهذا دليل عقلي على أن أمد الدنيا أصبح قريب الأجل وقد أجمع علماء الهيئة على خراب الدنيا فهل إذا جاء الخراب وفسد الكون فكيف تكون الطبيعة التي يظن الطبيعيون أنها هي هيولا الوجود فإن قالوا إن الفناء هنالك عام ولا وجود بعد ذلك لوجود كان هذا هو الهوس الغير معقول لأنهم يقولون أن ما وراء المادة لا يلحقه الفناء وإن قالوا أن هنالك وجود وموجود بعد هذا الفناء ولستكنهم لم يستندوا في إثبات ذلك إلا إلى العقل الذي هو أسير الظنون ورهين الأفكار الخيالية فما الذي يحول بين العقلاء وبين تصديق الأنباء الشرعية التي جاء بها الصادق الأئمة الذي أقام الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة على صدقه ومتى صدقوه أتبعوه ومتى أنعموا على ما جاء به واستنارت قلوبهم وكانوا من الصالحين

أيها العقلاء

والله ان القرآن لصادق وان الدين لواقع وإن القيامة لقائمة وإن

الموت لآت وكل آت قريب وما بعد الموت إلا الندم والفوت وإن
أصعب شيء تروونه في الدنيا لأهُونُ ما يكون في جانب ما يلقى أهل
الغفلة والغرور من الحسرة والندم إذا ازدحم الموقف بأهله وتحقق كل
مجرم جرائمه (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها
مصرفاً) ألا وإن كثير الدنيا مع الموت وسرعة الزوال والفوت لأقل
من كل قليل ولقد علم الله سبحانه وتعالى من عباده الميل إلى الشهوات
النفسانية والأغراض الهوائية وما هي إلا امراض قلبية تحول بين ضجيعها
وبين إدراك معالم الفوز والسعادة كما تحول الامراض البدنية بين المريض
وبين تناول ضرورياته التي هو محتاج اليها فأرسل سبحانه وتعالى أطباء
الأرواح والقلوب رحمة منه بخلقه فاختلفت أحوال الناس معهم كما اختلفت
شؤون المرضى مع الاطباء فكم من مريض لا يقبل الطبيب مع استحكام
العلة في بدنه وكم من مريض يكون الدواء بين يديه ولا يتناوله إما لجهله
بمنافع الدواء أو لصعوبة تعاطيه وضعف همة المتعاطي وكم من مريض
يطيع طبيباً جاهلاً ربما أضره علاجه ويمسى أمر طبيب لا يجمع الجهلاء
من أمثاله على أن الدواء الذي يصنه الطبيب الجاهل أنفع مما يصنه ذلك
الطبيب الماهر الذي يعمل بعلمه على استئصال المرض وجاب العافية وذلك
الطبيب الجاهل يسكن المرض في الحال ولا يكتن الدواء الذي يَصِفُهُ يعقب
أمراضاً مهلكة لا دواء لها

فكذلك كان حال الناس مع أطباء القلوب فمنهم من استسلم للطبيب
فسلم ونجا وادرك معالم العافية في دينه ودنياه وأوْلك هم الادباء المتقون

ومنه من ضعفته همته عن تناول الدواء مع علمه بصدق الطبيب ولكنه تناول منه ما يدافع عنه شيئاً من الأمراض التي تبيت القلوب وهؤلاء هم الدوام الذين ينهائم الأبرار عن ارتكاب المحرمات ومنهم من جهل مزايا الأطباء ومنافع علاجهم وثمره ما وصفوه من الأدوية القلبية وهي الآداب التي تدفع عن القلوب غوائل الموبقات التي عرفها الإمام الغزالي في كتاب الأحياء ثم الجأ الجهل إلى متابعة طبيب جاهل يدعى بالمعرفة كالمفلسين الذين ينادون بإصلاح الدنيا ويففلون عن الآخرة فتلهم كمثل الطبيب الذي يصف من الأدوية ما يسكن الماء خفياً ولكنه يُعقب أمراضاً لا دواء لها

في آيها المقلد

الكم لو تبصرتم في شؤون أولئك لأطباء الجهلاء لتحققتم أنهم دُعَاة إلى الأمراض المهلكة وذلك لأنكم تعلمون علم اليقين أن أمراض القلوب ما هي إلا انطصال السيئة التي تحول بين الإنسان وبين رشاده ألا وهي الكبر والإعجاب والتباهي والتفاخر وازدراء الغير والحقده والحسد والحرص والطمع والشح والبخل وضعف الهممة والجبن والفش والتعلق والسناد والإصرار والطيش والغرور والساوئ الكاذبة والغيبة والنميمة وكثرة الضحك والمزاح واتباع الأهواء ومماثلة الشهوات وميل النفوس إلى النقائص وغير ذلك من خصال النقص التي تشغل القلوب عن مدارك الكمال وتحول بينها وبين العلم النوري الذي به يفوز المرء بالمطالب التي طلبها الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه بقوله واجعل لنا ظهيرا من عقولنا

ومميينا من أرواحنا ومسخرأ من انفسنا كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً وهب لنا مشاهدة تصحبها مكاملة وافتح اسماعنا وأبصارنا واذكركنا اذا غفلنا عنك بأحسن ما تذكرنا به اذا ذكرناك وارحمنا اذا عصيناك بأنم منها ورحمنا به إذا أخطأناك واغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر والطف بنا لطفاً يحببنا عن غيرك ولا يحجبنا عنك فإنك بكل شيء عليم إلى آخر ما قال فيا أيها العقلاء إنكم لتعلمون أن ما ذكرناه وما لم نذكره من تلك الاخلاق المذمومة هي النقائص التي هي والاخلاق الحمودة على طرفي نقيض وما جاء الدين الا ليبينها للعقلاء ويوقفهم على غوائلها ويرشدكم الى محاسن أضدادها فهل ترون من سلم منها من هؤلاء الاشرار الذين طالما زعموا أنهم هم العقلاء وأنهم هم المصاحون كلا والله إن الذي يدعى سلامة واحد منهم منها لكافٍ ولو أن أحدهم سلم من واحدة منها فما هو إلا متلبس بأغلبها ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأنهم تعودوا النقائص فصارت في أعينهم كمالات ولأنهم مرضوا وما وجدوا أطباء غير أولئك الجهلاء الذين غلب عليهم الغرور والطيش ففقدوا الشعور والاحساس وأمات المرض أفئدتهم فهاكوا وهم لا يشعرون

أيها العقلاء

إن القوم قلبوا لكم موضوع الدين وقلبوا لكم الأمور حتى ظننتوهم عقلاء وعلماء ومرشدين وما هم والله بعقلاء ولا بعلماء ولا بمرشدين وذلك لأنهم أرشدوكم إلى ما يفسد الاخلاق لا إلى ما يصلحها وهكذا يكون حال الجهلاء إذا زعموا العلم وانتصبوا الى الإرشاد

تالله لقد نادوا بأن العلم هو سبب السعادة والتقدم وهم لا يعلمون
السعادة ما هي ولا يعلمون العلم الموصول اليها وذلك هو الجهل المهلك لأنهم
ما ميزوا علما من علم ولا معلوما من معلوم فإن المعلوم تابعة للمعلومات في
القلة والكثرة وما كل علم بسعده به العالم لأن إبليس على علم واسع ولكنه
أشقى المخلوقات وما سمعنا ولا رأينا من هو على علم بالفنون الرياضية إلا
وجدناه خالياً من الآداب الكمالية التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجاء بها القرآن الكريم ألا وهي الآداب التي من تأدب بها اشتغل
بنفسه عن غيره حتى يصل إلى نهاية الاستقامة ويكون من أهل الكرامة
وهناك يكون مرشداً ولكن القوم زعموا أن العلم هو ما تقدم به
الأمم في كثرة المدد والمدد لتقاوم أمثالها في الشروع أو تغتال حقوق غيرها
فتكون أمة قوية في المدد وان ماهرة في الطغيان حتى إذا ارادت اغتيال
أمة أو فساد حالها وقام منها قائم للمدافعة بمجرد القول نادى عليه بالتمصّب
والتهيبج وما هذا هو العلم الذي إذا قرن بالآداب كان سبباً للسعادة الأبدية
ومفتاحاً للفلاح الدنيوي لأن العلم الذي غايته السعادة ينهى عن كل ما يوصل
إلى كيد النفوس وقهر الضعفاء وإيقاظ الفتن والتشوف لما في أيدي الغير
لما لذلك من العواقب الوخيمة التي يأتي بها القادر المقتدر في طوايا الليالي
والأيام والظالمون نيام في غفلاتهم وفي طغيانهم يعمهون

العلم نور ولكن	سراجة القلب فاعلم
والقلب إن ما تخلى	عن مزيج الخوف أظلم
واحتله الطيش حتى	يكون في الزيف ضيغم

فان تماظم آذى وإن تجادل أخفم
وهل يجيء بشرٍ إلا الذي قد تعلم
وشر كل عليم قبل الشرور مقدم
وكل ضالٍّ بعلم من قاطع الطرق أظلم
وطائش العلم أدرى بكل سوء وأعلم

هذا هو حال الطبيعيين الذين أثاروا الفتن وآثروا رضاء أوروبا على رضوان الله تعالى حتى مقتهم الله وهم لا يشعرون ومدحوم وأهانهم الله وعظموهم وحقرهم الله (ومن يهن الله فما له من مكرم) ولكن الجاهلاء لا يعلمون ماهي إهانة الله لعبيده ولا كيف تكون إذهم يظنون أنه لا إهانة إلا في وقوع البلايا أو الفقر أو انحطاط قدر ذي الجاه مثلاً وأما العقلاء فلا يجدون فوق الحجاب إهانة لعلمهم أن أهل الحجاب في الدنيا هم أهل الحجاب في الآخرة لقوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً) وقوله (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون)

فلو أن الله سبحانه وتعالى أذن للقبور أن تتكلم تهتكت الاستار وتواترت بما عليه القوم الاخبار ولو كان ذلك لما مال الى الملاهي اللاهون ولا تزين بزخارف الأقوال بين الجاهلاء المتقولون . ولا ضل في أودية الزين والافتتان ضال . ولا تباهى مفتتن بهجر المناسك وترك الاعمال . ولكن الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته ستر العواقب إلا على أهل البصائر لكيلا تظهر الحقائق إلا في اليوم الذي تتشقق فيه المراثر (كلا سيعلمون)

ثم كلا سيظنون) وكذلك قال المهين الجبار جل شأنه وتقدس اسمائه
 (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين
 لتروئن الجحيم ثم لترونها عين اليقين) وما كان الله سبحانه وتعالى بكاذب
 ولا بمبالغ في أنباء بل هو الغالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون
 قال الإمام محي الدين ابن عربي في وصاياه في آخر جزئ من الفتوحات
 المكية والذي أوصيك به أيها المؤمن أن تشتري نفسك من الله بعتق
 رقبتك من النار بأن تقول لا إله إلا الله سبعين ألف مرة فإن الله يمتق
 بها رقبتك أو رقبة من تقولها عنه من النار وقد ورد بذلك خبر نبوي ثم
 قال ولقد أخبرني أبو المباس أحمد ابن علي ابن ميمون ابن أب التوزري
 المعروف بالقسطلاني رضى الله عنه أن الشيخ أبا الربيع الكفيف الماتق
 رضى الله عنه قال جلسنا على مائدة طعام وكنت قد ذكرت هذا الذكر وما
 رتبته لأحد وكان معنا على المائدة شاب من الصالحين وكان من أرباب
 البصائر فعند ما مد يده إلى الطعام بكى فقال له الحاضرون ما شأنك تبكي
 فقال هذه جهنم أراها وأرى أمي فيها ثم امتنع من الطعام وأخذ في البكاء
 قال أبو الربيع فقلت في نفسي اللهم إنك تعلم أني هملت هذه السبعين ألفاً
 وقد جعلتها عتقاً لرقبة أم هذا الشاب من النار فما رفع الطعام إلا والشاب
 يضحك ثم أكل ما بقي وهو يقول الحمد لله قد خرجت أمي من النار ولا
 أدري ما سبب خروجها وجعل ينتهيج سروراً

ذلك ليعلم العقلاء أن الله سبحانه وتعالى تعرف للعقلاء وأهل الإصطفاء
 من عباده وأقام لهم على صدق أنباء الغيبية الأدلة الحسبة التي شاهدوها

برأي العين ثم قال لأهل الحجاب والفلة من عباده الضالين (كلالو تعلمون علم اليقين أترون الجحيم) يريد كما علمها المابدون الذين عبدوا ربهم حتى جاءهم اليقين فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل شيء سببا وجعل علم اليقين لا يأتي إلا من طريق العبادة لقوله لنبيه (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ولكن قوا بل أهل الغرور والدعوى لا تقبل التصديق وليست على استمداد للعبادة فما كانت الا كقوا بل كفار قريش المشار إليهم بقوله تعالى (ولو أننا نزلنا عليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا) فلذلك ما أغناهم علمهم عن سابق القدر المقدور شيئاً بل قالوا إن الدين كله خيالات واوهام وأنه لم يأت بدليل حسي يثبت الحقائق والعلم لا يقبل إلا ما كان مشبوتاً فتعالى الله الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء والله لا يهدي القوم الفاسقين أي الذين لا تقبل قوا بلهم الهداية وماضوا إلا من طريق النكر الذي جهلوا طريقه وثمراته لأنهم ما تفكروا إلا ليعلموا فيتكلموا والأدباء على خلاف ذلك لأنهم اذا تفكروا علموا وإذا علموا حضروا وإذا حضروا خافوا وإذا خافوا (لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صواباً)

قال أبو بكر محمد بن حامد بن محمد بن اسماعيل ابن خالد الترمذي رضي الله عنه الفكرة خمسة أوجه ففكرة في آيات الله وعلامة صحتها أن تتولد منها معرفة الله وفكرة في آلاء الله ونعمائه وعلامة صحتها أن تتولد منها المحبة وفكرة في وعد الله بالجنة والرضوان وعلامة صدقها الرغبة في الأعمال الصالحة وفكرة في وعيد الله وعذابه وعلامة صدقها أن يتولد منها الخوف

وتجنب الملاحى وفكرة في الجفامن السيد مع مواصفات إحسان الله عليه
وعلامة صحتها الحياء من الله والندم على سالف الذنوب وهذا هو خوي إشارة
قوله تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات
لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون
في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففينا
عذاب النار ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيت وما للظالمين من أنصار
ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ربنا فاغفر لنا
ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك
ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد)

هذه هي طريق الفكر المأمور بها في القرآن الحكيم ودأب عليها
الأدباء فجاء الجهلاء يجهلون الفكر مذرعة لمجارات الأثم في فساد الأخلاق
والنفاي فيما هو فان وزائل لانهم يظنون أن الانسان بفكره يصل إلى
كل ما يروم إدراكه فلذلك أجهدوا نفوسهم في صرف القلوب إلى مالا
يعنيها وأشغلوها عما يعنيها لظنهم أن ذلك من الأسباب التي تجعل الإنسان
استعداداً لأن يدبر شؤون نفسه وغيره وذلك هو الضلال البعيد

والصحيح عند العقلاء من أهل الإيمان أن جميع الشؤون الكونية
في قبضة عليم حكيم مدبر هو موجد الأسباب ومسبباتها ونخصص القوايل
والاستعدادات وهو الموحى والملمهم وما كان الإنسان إلا كباقي الموجودات
أسير قبضته ورهين إرادته وكلما عرضت له حاجة من ضروريات وجوده
ألهمه أو علمه عما لا فرق في ذلك بين مولود يلهمه ربه التقام ثدي أمه وبين

أكبر مخترع لاي عمل تدعوا الضرورة الاجتماعية اليه ولولم يكن كذلك لما
خاب لمؤمل أمل ولا ندم حامل من المدبرين على فساد عمل وإن من شأنه
جل شأنه وتقدست أسماؤه أن يرفع ويخفض ويعز ويذل ويمطى ويمنع
بغير شريك ولا معين وهو الذي إن شاء إرشاد أمة أنطق علماءها بالحكمة
ورزق أفرادها الفهم ووجه أفكارهم إلى العمل وبعث في قلوبهم بواعث
الاهتمام وسخر الجوارح لطاعة القلوب حتى يتم مراده وإن شاء جل شأنه
ضلال أمة ساط عليها أحداثها وألهمهم زخرفة الأقوال وتحسين قبائح
الأحوال وسخر لهم القلوب حتى ينفذ المقدر وتستوي في مظاهرها
الأمور كما يراه العقلاء من شؤون هذه الأمة التي ألقَتْ بها الأقدار في مصارع
الشقاء الأبدى بتسليط أحداثها عليها وقد أوقفهم القدرة الإلهية مواقف
العلماء وعظمت في قلوب الجهلاء شؤونهم حتى اتخذوهم أساتذة فانطلقوا
بهم في أودية الضلال فهم لا يهتدون إلى طريق الحق والإرشاد سبيلا (ذلك
تقدير العزيز العليم)

ولو أن الله سبحانه وتعالى أراد بالناس خيراً لألهمهم الحق وحال
بينهم وبين تمويهات أولئك الضلال الذين ينادون فيهم بأن التمسك بالدين
جهود وتنطع وأن الدين الحق هو ما عليه فلاسفة أوربا وما عليه الطبيعيون
من أحداث هذه الأمة ولقد أطلق الله ألسنة السفهاء بما لا طائل تحته
حتى أصبحت الكرة الأرضية كلها كلاما وكل يدعي أنه الإمام الذي يقتدي
به حتى إذا تأملت حاله وجدته ضالا مفتونا (ذلك لتعلموا أن الله على كل
شيء قدير وإن الله قد أحاط بكل شيء علما) ألا فتدبروا يا عقلاء الأمة

ألا فتفكروا يا نبيه المؤمنين ألا فتبصروا يا أرباب البصائر ألا فانظروا
يا أولي الأبصار وتأملوا الحقائق لتجدوا الحق جلياً واستمعوا للصدق
وانصتوا للعلم ترحمون

أيها السادة إن المتفلسفين أمواتاً وأحياء ومحرري الصحف وأرباب
المقالات الزينية لا تُدندن أو تاردها عليهم ولا تتناشد زوائد قرائح أفكارهم
الماطلة إلا على أصرين دعوى الإصلاح وإرشاد الأمة إلى منافقها والكل
يقولون أنه لا عثرة تعوقهم عن سلوك هذين الطريقين إلا الدين وجمود
المتدينين عليه ولقد اطلقوا السنن طغناً في الدين ودفناً في الأزهرين
وازدراء للكتبات التي بين أيديهم وانتقاداً على طرق التعليم وغير ذلك مما
اطلق به السفهاء السنن مثل قولهم إن الأزهرين تركوا العلوم المصرية
العالية واشتغلوا بالقديم الذي لا فائدة فيه

وأنا أقول إن هؤلاء الضلال ما تنافسوا في هذا العمل السيئ ولا
تفاخروا بزخارف هذه الأقوال إلا لظنهم أنهم هم العقلاء وأنهم رؤساء
الأمة وإن ما سواهم من الناس لا عقل له ولو أنهم كانوا عقلاء لعلّموا أن
أمة يبلغ عددها بعضاً من الملايين لا تخلوا عن عقلاء وليكن الأمر
كما قال القائل

فكم في العرس أبي من عروس ولكن للعروس الدهر ساعد
فلاك لأنهم يعملون على اغراض الحياة الحاكمة التي ترى أن الدين عثرة
في طريق التمدن وأن التمدن أسرع مساعدة لآمالها من الدين فلذلك
رمقوهم بعين العناية والتمظيم ومقتوا كل متدين مقتاً محسوساً تضجر منه

أفاضل العقلاء وأعجب به السفهاء وما الله بغافل عما يعملون
فصار الواجب على العقلاء الآن أن يتبصروا ليتبينوا حقائق تلك
الدعوى الكاذبة ويعلموا الأمر على ما هو عليه فإن كانوا مصابحين فلا
حاجة لرجال الإحتلال الذين زعموا أنهم اصطلحوا شؤون المصريين بسياساتهم
وان كان الإصلاح للمحتلين فلا حاجة لنا بالمتفلسفين وان كانوا متماونين
على ذلك فلينظر العقلاء في ثمرات ما غرس المصلحون أحيالية هي ام صريرة ام
لا ثمرة لما غرسوا فأما انا فأقول ان الإصلاح في الأمم تظهر ثمراته من
طريقين طريق الكمالات الادبية التي هي تجمع حقائق الإنسانية وطريق
الثروة الاقتصادية وكلاهما اصبح مفقوداً إلا في القليلين وما نرى من
الكمالات الأدبية إلا الكلمات المزخرفة والإعجاب بالنفوس والمذلة للأجانب
والتكبر على الوطنيين إلى ما ليس بخاف على العقلاء من الأخلاق الذميمة
والأعمال القبيحة والاحوال السيئة التي تتلبس بها رطاع الامة والغالب
من اغنيائها وابنائهم المتفردون حتى اصبح كل عاقل نبيه على يقين من ان القوم
لا يعملون إلا على فساد اخلاق الامة لغرض كامن في نفوسهم تدور على
محوره مقالات المتقولين وتضليلات الموهين الذين يزعمون الإصلاح
ويدعون انهم اهل الفوز والفلاح

واما الثروة فما لمصري إليها الآن من سبيل لمزاحمة الاجانب لهم
وان الحال الحاضرة لا تحتاج الى ايضاح فالعاقل المتبصر يرى من اول
نظرة فكرية ان الإصلاح الذي حصل في جميع المصالح ما كانت ثمراته
وفوائده عائدة الا على الاجانب إما من طريق التملك او من طريق الربح

التجاري او الفوائض الرهنية او غير ذلك من الطرق التي يعلمها المتبصرون
ولو اننا فرضنا في مخطيء في هذا النظر وكانت ثمرات الاصلاح المادي
كلها في ايدي المصريين فما للمتفلسفين فيها من عمل معلوم إلا ان كانت
الفتوى التي ذكرها اللورد كرومر في مناب فقيد هذه الطائفة ولا
حاجة لنا في البحث عن نتائجها المجهولة التي لم تحدث في احوال الأمة
تغييراً ولا تبديلاً وعلى هذا تكون دعوى الاصلاح من المتفلسفين مع
وجود المحتلين الذين اصبحت امة في ايدي زعمائهم باطلة لا دليل لها
ولا برهان وقد زعموا ان فساد دين الامة مصلح لندياها فقم على ايديهم فساد
الاخلاق وذهب الاصلاح ادراج الرياح وكان امر الله قدراً مقدوراً
واما الدعوى الثانية وهي ارشاد الامة الى منافعها فذلك امر قيام
احداث الامة به من المستحيلات اذ الامة التي وقعت في يد من اذلها
وفذلاها بقوة غالبية بعد تعاصيها لا تبلغ رشدتها الا اذا التجأت الى اميرها
الذي كان تعاصيها عليه سبباً لخروج الامر من يدها حتى اذا علم منها
صدق الاخلاص وحسن الوفاء وكان واثقاً بولائها نظر في مطالبها بالحكمة
والقواعد الدولية هذا اذا كان الارشاد المزعوم عمومياً يراد به اصلاح
شؤون الأعمال العامة اما اذا كان المراد بالارشاد ايقاف الافراد على مسالك
السير المحمود ليعتقوا مكارم الاخلاق فذلك لا يكون الا باختيار طائفة
من المعتدلين على مناهج الدين القويم تعطى لهم المرتبات الكافية ثم يكلفوا
من قبل الامير بتطواف المدن والقرى وبذل المواعظ والنصائح لولاية الأمور
ورؤساء البلدان واكابر العائلات حتى تحي روح السمالات الادبية من

طريق السنة التي اصالح الله بها احوال من تمسك بها من اهل القرون
الماضية بشرط ان تكون الحياة الحاكمة راضية عن هذا العمل الصالح
وموجهة الى استحقاقه افكارها وهناك طريق آخر وهو ان يكف
احداث المتفلسفين وسفهاء المحررين اقلامهم عن الخوض في اعراض
المتدينين وعن ازدراء الدين خصوصاً الجرائد الخادعة للامة التي لا تخلو
عن التمويه والتدليس والتباس الحق بالباطل يوماً من ايامها فهي الامة
كالذئب للشاة التي تفندي بلبنها صغيراً ثم لما تمالك قواه عقرها فمات به
صاحبها بقوله

غذيت بشديها ورئيت فينا فمن أنباك أن أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

وأما كلامهم في الازهر والأزهرين فما هو الا أشبه شيء بكلام
العوام الذين ما علموا غير ما هم به مُحترِفون إذ يخوضون في أمر السياسة
وراء أرباب الجرايد وذلك لأننا لو جئنا بأمر المتشدين وطرحنا بين
يديه كتاباً من كتب الفقه او النحو او البيان أو المنطق مثلاً لما استطاع
أن يبين من غوامض رقائيق عباراته شيئاً حتى اذا ما سئل عن سبب عيه
يقول إنها ذات ترا كيب معقودة وفوائد مفقودة واذا جرى بالقرآن
ادعى أنه ابن بجدته والثاقب لمكنون دُرر بلاغته . فيا أرباب القلوب
النسيرة والافكار السليمة هل سمعتم بمن جاء في النحو بأفية كالفية ابن
مالك وهل قصر شراحها في بيان معانيها البليغة وهل قصر السعد التفتازاني
في مؤلفاته أو هل ترون عيباً أو تقصيراً في مؤلفات الفقهاء من علماء كل

مذهب وهل يري عاقل عيباً في اضطجاع الطالب في بعض أحيانه أو
مداعبته لأخيه أو قراءته أو مطالعته وهو نائم أو قائم مع انهاكه في هذا
العمل الخيري أثناء ليله واطراف نهاره مع أن الله أباح له ذلك بمثل قوله
(واذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) أفلا يكون حال هذا المسكين
المتفاني في طلب العلم الديني المتطوع بطلبه كحال التلميذ الذي يسن له
لب الكورة والجونباظ ساء والله ما تحكمون

فيا ايها العقلاء إنما كانت تمويهات هؤلاء الاحداث ومن سبقوهم
فتنة في الدين وخدعة للمسلمين فتتطنوا العمل الاعداء وتمسكوا بمحبة
الأتقياء ولا تحيدوا عن متابعة الانبياء ومن كان منكم مغلوباً لنفسه أو
شيطانه أو متضلماً من تمويهات الضالين فليتفقد ايدياً صالحاً وجليلاً
ناصحاً يرشده الى طريق العقلاء ويسلك به مسالك الفضلاء فإن الامر
ليس كما يظن الزائفون ولا كما يتوهمه الموهون فقد قال الله تبارك وتعالى
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعين وقال ما خلقكم ولا بعثكم
إلا كنفس واحدة وقال (إنا نحن نحي ونميت والينا المصير يوم تشقق
الارض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير) وقال (يا ايها الناس اتقوا
ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت
وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولاكن
عذاب الله شديد) ولو ان الأمر كان هيناً لما بكى من خشية الله الباكون
ولا تجافى عن مضاجعهم في الاسحار المستغفرون . واكن هول ذلك
الموقف هال ارباب البصائر وفتت الأكباد وشق منهم المراتر فواعجباً لطائع يبكى

أسفًا على التقصير في أداء ما وراء الواجب ووا أسفًا على غاص يسره أنه
على الدوام لاهٍ ولاعب تالله إن شقاء الأبد ليس له حد محدود وإن اللاهين
ان لم ينتهوا لآتيهم عذاب غير مردود

أها العقلاء هل تفيد المذرة بمد ما جاء به القرآن من البيان الواضح
أم لها جر دينه ما يقيه مخازي ذلك اليوم المهول الفاضح . أظن انكم في
شك من صدق القرآن الكريم في وعده ووعدده . أم تظنون ان الإله
القادر عاجز عن انفاذ مفعول تشديده وتهديده . كلا والله ان فائق الحب
والنوى . ومرسل الصواعق عند اصطكاك الهوى . وخالق الماء والنار
ومجري السحب حاملة هواطل الامطار . والمنشيء بحكمته وتديره هذه
الموجودات . والماسك بقدرته الأرضين والسموات . لا يعجز قدرته
الباهرة معجز . ولا يبلغ وصف عظمة اقتداره مطنب ولا موجز . وانكم
والله لتعلمون منه كمال الاقتدار . وانه كما أوجد السماء والأرض قادر
على ايجاد الجنة والنار . ألا ترونها أي النار تأتي لدي الاحتكاك من الهوى ثم
تذهب من حيث أتت إذا أطفأها المطفئون . (أفرايتم النار التي
تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون) . فبأي حال تنكرون
قدرة هذا الإله القادر . الذي يخرج الخبأ في السموات والأرض ويعلم
مافى السرائر . فلا يحملنكم الكسل والمجز عن القيام بواجب شكره على
إنكار قدرته ولا تحرمنكم غويها المضاين من لطائف لطفه وعواطف
رحمته فانه جل شأنه خلق الخلق قسمين وفرقهم فريقين وألزم كل فريق
صلا بعماد ما خصص لهم القوابل والاستعدادات وجعلها كالمطايا للعمال ليتوصل

كل فريق بقايلنه و استعداده الي منزله التي أعدت له فكما ان مراتب
الموجودات في الحياة الدنيا مخصصة بحسب القوابل والاستعدادات فكذلك
مراتب الوجود الاخروي فما الذي يلجئ الطيب الي متابعة الخبيث و أي
حال يضطر كريم الطباع الي مجاراة اللؤماء الذين يمجدون الاحسان ويميلون
الي الكفران والطغيان أليس من الحزم أن يحتاط العاقل الذي تشعبت به
الطرق فيتخير لنفسه طريقاً مأموناً أليس من تمام العقل وكمال المعرفة ان
يحتفظ جاهل المال من غوائل الحسرة والندامة . لم لم يتبع العقلاء طريق
الاستقامة والاعتدال لم لم يتخير النباه من الاعمال ومن الاحوال ما هو
اقرب للسكينة والكمال أليس من الجنون أن يخاف المرء في موطن الأمن
ويأمن في موطن الخوف بمعنى أنكم تخافون الفقر والرزق مضنون وتحذرون
الموت وله أجل اذا جاء لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ثم تأمنون
عذاب الله وانتم المتلبسون بأسبابه ولا تسكثرون بسجنه و أقدامكم بقيس
أعمالكم قائمة على أبوابه أليست الكبار مغناطيس البلايا والانتقام
أليست الغفلة والفرور دواعي الخزي ومجلبة الملام (إنا جعلنا في أعناقهم
أغلالاً فهي الي الأفقان فهم مضمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن
خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون * وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم
تنذرهم لا يؤمنون) فمن كانت نفسه عليه كريمة فليسال عن معنى هذه
الآيات الكريمة خيراً ثم يتبصر في أحواله وأعماله ويتأمل في تقلبات قلبه
ليعلم من أي فريق هو قبل أن يأتي يوم لا تزر فيه وازرة و زر أخرى
يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً (إن وعد

الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الفرور)
 ايها العقلاء إن مثل العباد مع ربهم ولله المثل الاعلى كمثل الصبيان مع
 آبائهم فمنهم صبي سليم الفطرة طاهر الخلق لا يخالف ابيه ولا يعصي اوامر
 ولا يعمل من الاعمال الا ما يعلم ان والده يرضاه وكلما نهاه عن شيء يهواه
 علم علم اليقين ان ذلك النهي لمصلحة عائدة عليه فلا يجد من نفسه باعثاً على
 مخالفته ولا تخرجه طوارئ الموارض عن محبة والده والاعتراف بحميلة
 وحسن رعايته بل يرى حفظ حرمة في حضوره ومنغية من الواجبات
 الضرورية فلا تنصرف همته الا الى ذلك في جميع اقواله واعماله واحواله
 وذلك الصبي هو الذي يستحق حنان الوالد ولطف العناية به وحسن الرعاية
 ومنهم الصبي الذي لا يتجاهر بمخالفة ابيه ولكنه لا عناية له بحفظ حرمة بل
 حكمه حكم المنافقين المشار اليهم بقوله تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
 انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون)
 لانهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فكذلك حال الصبي فاسد الاخلاق
 الذي يدعي حفظ حرمة ابيه حتى اذا غاب عنه تلبس بكل عمل يقضيه ومنهم
 من يبارز اباه بكل ما يكره بل ربما انكر ابوته وتظاهر بالعدوان والطعن
 والاعتراض عليه وبمخالفة اعدائه الى غير ذلك من الاعمال التي ياتي بها اللوم
 وخباثة الاخلاق وهكذا هو حال العباد مع موجدهم فالينظر العاقل في اعماله
 ليعلم حاله مع ربه فان الله سبحانه وتعالى يقول لبيده كما تكون لي اكون لك
 وهذا ما يشير اليه القرآن الكريم في مثل قوله تعالى (إن تنصروا الله
 ينصركم) وقوله لنبيه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وذلك

لأن الله سبحانه وتعالى سهل لأهل القوابل والإستعدادات الطاهرة
أسباب الإستقامة وطريق التوجه إليه ومتى أقبلوا عليه قبلهم والآخرون
بعض ذلك بمعنى أنه يسهل سبيل المهيمان حتى إذا نسوا الله أنساهم أنفسهم
وكما عرضوا عنه كان إعراضه عنهم أشد

قال معروف الكرخي رضي الله عنه كنت ماراً بالكوفة وذلك في
مبدأ أصري فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس فلما
رآني وجهه وجهه إلى وقال من عرض عن الله تعالى بكايته عرض الله عنه
جملة ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله تعالى عليه برحمته وأقبل بوجهه
جميع الخلق إليه ومن كان صرة وصرة فإن الله سبحانه وتعالى يرحمه
يوماً ما قال معروف فوقع ذلك في قلبي موقعاً حسناً وأقبلت على الله سبحانه
وتعالى حتى قبلي ورؤي رضي الله عنه بعد موته فقليل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي قيل بزهدك وورعك قال بل بقبولي موعظة ابن السماك
وملازمة الفقراء ومحبة الصالحين وإن لإعراض الله سبحانه وتعالى عن عبده
علامات وللقبول علامات

قال ذوالنون المصري رضي الله عنه من علامة إقبال العبد على ربه
أن يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله وأن يكون ميالاً للخير تقوراً
من الشر مشتغلاً بعبود نفسه لكيلا يطالع عليه الله وهو على حال ممقوت
وأن لا يخاف في الله لومة لائم وأن يكون متمسكاً بسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في جميع أعماله وأحواله وأقواله وأن يكون محباً للمؤمنين بغضاً
للكافرين . ثم قال رضي الله عنه بقول الله تبارك وتعالى في بعض كتبه

المنزلة من كان لي مطيماً كنت له ولياً فليثق بي واليهكم علي فوعزتي لوسأني
 زوال الدنيا لأزيتها له . وقال رضي الله تعالى عنه من علامة عناية الله
 بعبده توفيقه لمتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبة السلف الصالح
 ومن علامة إصراره عنه أن يجعل الشيطان وليه ويكاه إلى نفسه فيغلب
 عليه الغرور فلا يجد حلاوة الطاعة ويفاقه هواه فلا يتلذذ إلا بما نهي الله
 عنه ومن كلامه رضي الله عنه الأنس بالله نور ساطع والأنس بالخلق غم
 واقع وسئل رضي الله عنه عن السفلة من الناس فقال من لا يعرف
 الطريق إلى الله ولا يتعرفه فهو سافل وإن كان عند الخلق عظيماً ثم قال
 عجبت لمبدل لا يعرف سيده ولا يتعرف إليه وأنشد يقول

لم أذُق حلاوة الحب حتى زال عني محبتي الأنام

وقال له رجل متى أكون زاهداً للدنيا فقال له إذا زهدت نفسك
 يريد رضي الله عنه مخالفتها إذا هي دعوته للمعاصي وقيل له من اشفق الناس
 على نفسه قال املكهم للسانه وقال بشر الخافي رضي الله عنه من علامة
 رضوان الله على عبده أن يرزقه حلاوة الإيمان وقال إن تذوق حلاوة الإيمان
 حتى تجعل بينك وبين الشهوات الممقوتة حائطاً من حديد وقال رضي الله
 عنه من علامة شقاء العبد أن يتفرغ لمعالجة الناس قبل أن يداوى نفسه وما
 داوى أحد نفسه بغير معاونة الله له وقال رحمه الله من ادعى الحكمة مع جمود
 العين وقسوة القلب والرغبة في الدنيا والزهد في الآخرة فهو شيطان وقال
 الخوف ملك كريم لا يسكن إلا في القلوب الطاهرة وقال السري السقطي
 رضي الله عنه من علامة عناية الله بعبده أن يبصره بعيوب نفسه وإن يلهمه القيام

بحقوقه ومن علامة الاستدراج المسمى عن عيوب النفس ورأية عيوب
الناس وقال شقيق البلاء رضي الله عنه علامة رضوان الله على عبده ان يعمل
المعمل الصالح ويخاف العقوبة عليه وعلامة سخطه على عبده ان يعمل المعمل
السيء ثم يرجوا ثوابه فالمتوهم كالرجل الذي يزرع النخل ثم يخاف ان يثمر
شوكا والمنافق كالرجل الذي يزرع الشوك ويطمع ان يحصد ثمرا هيبات
ان ينزل الله الابرار منازل الفجار وان يسكن الفجار في منازل الابرار
وسئل ابو يزيد البسطامي رضي الله عنه عن علامة محبة العبد لربه
فقال ان يستكثر القليل من النعم ويستقلل الكثير من العبادة وقال ابو
محمد سهل ابن عبد الله التستري وقف على شاب وانا اتكلم على الناس فقال
يا شيخ اعلم العبد اقبال ربه عليه قلت له لا يعلم فقال بلى يعلم فقلت كيف
يعلم قال اذا رايت الله تبارك وتعالى عصمني عن المعاصي ووفقتي للطاعات
وامسك لساني عن لفظ القول علمت انه قبلي واقبل علي واذا رأيت
حبب الي الدنيا وانساني هول الآخرة وجنبتني الطاعة واشغلتني بعيوب
غيري علمت انه اعرض عني واوكلني الى الهوى والشيطان ثم انصرف
ولم ارمه بعد ذلك

وقال رضي الله عنه انصفوا ربكم فان الباري سبحانه وتعالى يقول
عبي ما انصفتني اذكرك وتنساني واطيعك وتمصاني وادعوك لتقبل
علي فاعطيك فتذهب الي غيري وهو لا يملك شيئا واذهب عنك البلايا
وانت تمتكف على الخطايا يا ابن آدم ماذا يكون جوابك اذا جئتني ذليلا
حقيرا وسئل رضي الله عنه عن الفتوة فقال متابعة السنة وقال له رجل يا ابا

محمد أريد أن أصبحك فقال له إذا مات أحدنا فمن يصحب الثاني فقال الله
قال فليصحبه الآن فإنه خير رفيق وكان رضى الله يقول أكبر الكرامات
أن تبدل خلقاً مذموماً من أخلاقك بخلق محمود وقال أبو سليمان عبه
الرحمن ابن عطية الداراني رضى الله عنه لكل شيء علامة وعلامة خذلان
العبد ترك البكاء من خشية الله ولكل شيء حلية وحلية الإيمان الخشوع
وأفضل الأعمال مخالفة الهوى ومن لم يتعظ بسرعة تماقب الليل والنهار
فليس له من العقل نصيب وقال أبو زكريا يحيى ابن معاذ يابني لا يزال
دينك متمزقا مادام قلبك بحب الشهوات متملقاً فاترك الدنيا لأهلها قبل
أن تترك واسترض ربك قبل ملاقاته واعمر بيتك الذي أنت صائر إليه
قبل انتقالك إليه وقال رضى الله عنه مسكين ابن آدم لو خاف النار
نخوفه من الفقر لأصبح على باب الجنة

أيها العقلاء

مانها كم الله ورسوله عن الدنيا لتموتوا جوعاً ولا لتتركوا أسباب
المعيشة ولا أمركم السلف الصالح بالتباعد عنها لتتركوا كل عمل كما يدعى
ذلك المتفلسفون الذين ما فهموا عن الله خطاباً ولا عقلوا من أعمال الصوفية
ولا أقوالهم شيئاً

فأما الله سبحانه وتعالى فما نهى إلا عن كل ما يحرم تناوله ولو تأملتموه
لعلتم فضيلة النهى ومنزايها إلا انتهاء فلو أن إنساناً جمع الدنيا جميعها من طريق
حلال لما وجد من جهة الشرع زاجراً وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكان من شأنه صرف القلوب عن محبتها لعلمه أن القلب إذا تعلق بنبي

لا يلتفت لسراده والقلوب بطبعها ميالة للشهوات والملاذف ففانية ما يفيدها النهي عنها أنها لا تنهات عليها فتتسنى ما سواها من أعمال البر التي بها يمر الإنسان الدار الآخرة وما كان ذلك النهي إلا من أعمال الحكماء الذين تهذب النفوس بمواعظهم وأمانهم الصوفية عنها فإنه نهى خصوصاً لأفراد اختاروا لأنفسهم طريقاً مأمونة إذا سلكوها كانوا من الفائزين ألا وهي طريق الإستقامة والإعتدال ولكنهم لما علموا أنها لا تصفوا مسالكها إلا لمن صحب العلم والأدب تفقدوا الأدباء وتشبهوا بأذياتهم فعملوا وأدبوا فتأدبوا وقالوا لهم ان طلب العاقل للدنيا أفضل من ترك الجاهل لها فلذلك كان نهيهم عنها نهياً قطعياً لا للمامة ولكن لأناس علموا منهم الصديق في الفرار منها والركون إلى الدار الآخرة

جاء السفهاء من أحداث المتفلسفين من أهل هذا الزمن عايين على القوم أعمالهم وماقتين أقوالهم واحوالهم فكان حالهم كحال نازح المراحيض إذا رأى أرباب الرفاهية متحفظين مما تحمله الأهواء من الغبار فيقع ذلك عنده موقع العجب والإستغراب لأنه ما تعود الا مخالطة الأقدار والخبائث وأما أهل الرفاهية فما تعودوا إلا النظافة والتحفظ من الأوساخ فما كان للمعلاء أن تصغى آذانهم إلى قول سفيه لا علاقة له بأعمال الأدباء ولا علم عنده بما أوتوا من الرحمة والفضل العظيم وقد قال الله تبارك وتعالى (ولكل وجهه هو مؤلّيه) فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً)

أيها المعلاء

إذا كان الله سبحانه وتعالى لم يخلق الخلق على حال واحد وما جعل

مراتب الوجود متحدة بل جعل الناس متفاوتين في المراتب والدرجات
 وخصص لكل عامل عملاً ومرتبة في الوجود لا يتعداها كما تعلمون وجعل
 الناس طوائف فطائفة الملوك غير طائفة الوزراء وطائفة الوزراء غير طوائف
 الموظفين ممن كانوا دونهم وطوائف الموظفين غير طائفة العلماء وطائفة
 العلماء غير طائفة المتفلسفين وطائفة المتفلسفين غير طائفة العابدين وفي العابدين
 طوائف مختلفة فما هو السبب في تكليفهم العلماء بأعمال السفهاء بمعنى أنهم
 يمتقنون العلماء لعدم اعتنائهم بفنون لا تنفي عن الدين شيئاً ولا مدخل لها في
 تهذيب الأخلاق وما هي مظنة التهذيب إلا عند القوم الذين لا يعقلون
 للتهذيب معنى ولا يعرفون للأدب طريقاً فهل من عاقل يلقم كل سفيه
 حجراً كلما تكلم في أعراض الصوفية ونجاها بمقت المتقين
 أيها الباشا

شفاك الله من أمراض القلوب وعافاك من داء الكبر المهلك لقد
 علمت ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ربه ليخرج الناس
 من الظلمات إلى النور وما كان ذلك من عام أو عامين ولا من عهد بلوغ
 رشذك ولكنها مات أعوم تجاوز عددها الألف وثلاثمائة عام فكانت
 قرونًا عديدة معصورة بأكابر الرجال وعظماء الملوك وأفاضل العلماء وما من
 قرن إلا وكان لأفاضل رجاله من المدونات والآثار الدينية ما به إهتدى
 أهل القرون التي بعده إلى معالم الآداب الدينية والكمالات الأدبية حتى
 بذلك التواتر الصحيح وصل إليك نباؤ الدين الذي جاء به ذلك الرسول
 الكريم بأصدق الأقوال وأصالح الأعمال وأحسن الأحوال وإذا بسفيه

ينادى في الناس ان الدين الذي جاء به ذلك الرسول ليس هو هذا الدين
الذي كان عليه أسلافكم ولكنه ما أنا عليه وما عليه علماء أوربا وإنه لدين
ليس فيه تكليف بصوم ولا بصلاة ولا حج ولا غير ذلك مما يعمل
المسلمون بل هو السعى في إصلاح الأمة وإرشادها لأن تكون على استمداد
نامٍ لمحاربة الأقوياء ومحاربات الأمم الأغنياء

فهل من العقل أيها الباشا وأنت الرأس والرئيس أن تطيش هائماً
وراء ذلك المنادى الممقوت الذي أضله الله على علم فتهجر دينك كما هجره
السفلة من طلبة العلم وتلاميذ المدارس الذين فقدوا العقل والمرشد وغلبهم
الغرور والعيش فاتبعوه من أول وهلة لأنهم ليسوا من أهل الكمال ولا
من أرباب الفضائل ولا من ذوى الآداب فيا صاحب السعادة أما علمت
أن الباشا في اللغة التركية علم على الرأس التي باعتدالها تعتدل أعضاء البدن
فإذا تم اعتدال أوعيتها أصبح الجسم مستقيماً وإن تخللها الخلل عاش البدن
مستقيماً وما أتم إلا رؤوس الأمة فاعتدلوا لتعتدل الناس باعتدالكم لأن أنظاؤكم
العامة لا تتوجه إلا لأمثالكم وإنك لأنت اليوم الباشا المحترم المهاب كثير
الخدم كثير الحشم كثير الخلال كثير الأحياء والاخوان ولكنك عما
قريب تكون فريداً وفي لحذك وحيداً تنتظر اليوم الذي فيه يصيبك
نصيبك وعدا كان أو وعيداً فلا يلينك الأمل الطويل عن تذكر ندامة
اليوم الذي اضطر جمع فيه للموت من قبلك اقرانك ولا ينسينك ما وراء الموت
ما يصنعه معك من التلقى أهل بيتك وجيرانك فإنك يا أيها العزيز لا تدري متى
يأتيك الأجل ولا تعلم ما يكون في موقف القيامة من كآبة الندم ومن الحسرة

والوجل تالله إن في ذلك الموتى لأهوال لا تطاق ولا ينجوا منها إلا كمبر
 الآداب وكريم الأخلاق فلم لم تكن خالقك من الساجدين ولم لم ترحم
 له مع الراكمين تالله إن ربك كفى عنك وعن سجودك ولكنه يحب أن
 يخرجك من ضيق وجودك إلى فضاء شهودك وإن جلس الملوك لمحفوظ
 ومحروس وسمير الشياطين محروم ومتهموس والمصل لا يناجي سوى مولاه
 وتارك الصلاة مطرود مع العصاة من رحمة الله تالله إن الذي افتاك بترك
 الصلاة والصوم لمفتون وما هو إلا بدعواه مفرور ومجنون ألا هل من
 العقل انت لا يتلبس العبد من الأعمال بما به تظهر عليه آثار العبودية
 ألا هل من الأدب ان لا يعترف العبد لمولاه بحقوق الربوبية فيأليها الجليل
 تقرب الى مولاك بالانقياد والطاعة وإياك ان تحيز إلى شياطين الإنس
 وتترك سبيل السنة والجماعة فإن الخطر والله خطير ويوم القيامة يوم عسير
 على الكافرين غير يسير

أيها الباشا ما غرك ربك الكريم الذي خلقك فسواك وبيده أمام
 ربك ووالاك أليست هذه الأكوان صنعته أليس كلما تتقلب فيه
 الحيوانات من كل ما يشتهى فضله ونعمته اتظن ان الطبيعة كما يزعم السفهاء
 هي صاحبة الجليل ألا هل يتوهم هذا إلا كل سفيه هبيل ألا ترى أيها
 الفاضل ان العناصر اضداد متباينة الصفات والتأثيرات فكيف كان اتفاقها
 على خلق ما في الارض والسموات وإن كان وراء العناصر شيء يقال له
 الطبيعة وكانت هي التي اوجدت تلك العناصر فهل هي ذات إرادة بها كان
 تخصيص رتب الوجودات قبل وجودها ام بحكم الصدفة كان وجود كل

موجود فإن كان الأول وكان اكابر الفلاسفة وصلوا إليها من طريق تتبع
 المسلمات وتقابلوا معها وجهاً لوجه كما قال ابن رشد وغيره فلماذا لم يأتنا
 فيلسوف برسالة من قبلها كما جاءت رسل هذا الإله القادر الذي ملأت
 الكون دعوات رسله وأيدهم بالمعجزات وبالآيات البينات حتى تبين للأمم
 صدقهم وإن كان الثاني فهل لما قل أن يدعى أن هذا النظام الإبداعي في العالم
 العلوي والسفلي كله كائن بحكم الصدفة كلا أن الذي يزعم ذلك لنى ضلال
 مبين وإن كانت الطبيعة التي زعموها هي مجموع العقول العشرة وكانت
 كلها ذوات تأثير في جميع المواد الكونية لزم على ذلك تعدد الآلهة وكانت
 تسميتها بالطبيعة وضماً إصلاحياً وذلك مما يزرى برتبة الألوهية إذ لا يليق
 أن يكون الإله مجهول الاسم حتى يسميه مألوهه باسم لا ينطبق مفهومه
 على حال مسماه بوصف من الأوصاف وهذا كله مما يرشدك أيها الباشا إلى
 أن الأكوان إله قادر لا تدركه الأبصار ولا تحيط به العقول ولا يصل
 إلى معرفته عارف إلا إذا تعرف بقدرته وحكمته إليه وهو سبحانه
 وتعالى لا يتعرف لل متكبرين ولا لأهل القوابل الخبيثة وإنما يتعرف للضعفاء
 المنكسرة قلوبهم الذين لا يلجؤهم اللوم إلى كفران النعمة وإنكار الجليل
 لأنهم أحق بالرحمة والطف التعطف وإن من شؤون القادر لبفض المتكبرين
 فلا تلق بنفسك الشريفة في هذا المصارع الوخيم خلف أولئك اللوماء
 الذين اضطروهم اللوم ودناؤه الاصل إلى الطغيان العلمي فحكموا في أنفسهم
 أهواءهم وأمرؤا على الشرع عقولهم فاستوجبوا مقت الله وغضبه والله
 عزيز ذو انتقام

ألا ترى أيها الماقل ان الله سبحانه وتعالى قد بين لنا في القرآن انه
 أخذ أئمة قليلين المخالفة وأخذهم أخذاً وبيلاً لانه ابتلاهم أي اختبرهم بما توهوا
 انه لا يوجب العقاب مخالفوه فأنزل عليهم المقت الأبدى كأصحاب الناقة
 الذين عقروها وكقوم طالوت الذين اختبرهم بقوله (إن الله مبتليكم بنهر فمن
 شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده
 فشربوا منه إلا قليلاً منهم) فلو أن للقوم عقولا وكانوا علماء وإلى آداب
 ذوقية لعلموا أن سر العبودية في المتابعة والإتيقاد ومن فقد صرايا الإتيقاد
 فقد أخرج نفسه من دائرة العبودية وما وراء العبودية إلا الربوبية وهي
 صرابة الواحد الذي لا يقبل الشريك فالأولى لك أيها الباشا أن لا تقتدى
 بقوم كتب الله عليهم الجلاء من حوزة المتدينين فهاكوا وهم لا يشعرون
 هذا ما يختص بحقوق مولائك عليك وعلى كل ذي عقل سليم وأما
 ما يختص بأمر الرسول الذي أرسله إليك بالبينات والهدى فإن العقلاء
 يعلمون أن الرسالة التي جاء بها إليك وإلى الذين من قبلك من ملوك
 ورعايا ماهي إلا كرامة فوق كل كرامة لا يابأها إلا لئيم الطبع ولا
 يقدرها قدرها إلا كل كريم ذي عقل وعرفان لأنها ما كانت إلا عن
 عناية وفرط محبة ورحمة من الله لعبيده الضعفاء ولقد قال أبوا يزيد البسطامي
 رضي الله عنه في مناجاته ليس المعجب من حبي لك وأنا العبد الفقير إنما
 المعجب من حبك لي وأنت الملك القدير وهل عرف ذلك العارف محبة
 ربه له إلا من توفيقه لما تحقق به من أوصاف العبودية وحسن المتابعة لذلك
 الرسول الكريم والعمل بما جاء به من الأوامر والأدبية التي علمها الله لعباده

الأخيار ليكونوا صالحين لأن يكونوا في مقعد صدق عند مليك مقتدر
 فإذا الذي يملك أيها الجليل الذي يرى نفسه فوق أقرانه في الفضائل
 والمزايا ويحتقر أتقياء الفقراء من أن تحفظ لنفسك هذه الكرامة حتى لا
 تكون بعد موتك مهانا محزونا ذليلاً محقراً مخذولاً مرعوباً من ذلك المهول
 المهول الذي تكون فيه حافياً عارياً ما مملك من الجند والخدم أحد أقرضى
 أيها المهاب أن تكون مع رعاك العامة وأوباش الخلائق الذين يحشرون إلى
 جهنم زمرّاً (حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل
 منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يوم هذا قالوا بلى ولكن
 حقت كلمة المذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها
 فبئس مثوى المتكبرين) فوا أسفاه مهارة عظمت عند تحصيل الأغراض
 والشهوات وغفلة مهلكة أنست الناس ما سيكون من الندامة بعد الممات
 وقصور مشيدة لا يصل إلى أرائكها الغبار ولكنها مملوكة لذوى قلوب
 مملوءة بقذارة الأوزار وخبائث الإصرار

ليت ذا المال يصلي	وأنا الجاه يصوم
ليسرى يوم سرور	عند ما الناس تقوم
للتلاق والتقاضي	والتنخلي للخصوم
يوم لا تنجى جنود	لا ولا تفنى اللوم
إنما المرؤ رهين	للذي تحوي الرقوم
في كتاب ما حواه	قد تجلّى كالنجوم
وبه المرؤ يجازى	ليس ربي بالظلم

أيها اليك الفاضل

لا يفتنك أيها الحبيب إقبال القوم عليك ولا يخرجك عن حد العبودية وقوف المتخاصمين بين يديك ولا يلينك عن الموت تراكم الملاهي ولا يغرنك ياذا الزكاء والفطنة الفرور الالهى فإن المال والجاه الذي أنت به مفرور لا بد أن يزول بزوال الأيام وإن موعد مفارقتك له لضجة الموت وحلول الحام فلا يحولن بينك وبين معرفتك لنفسك منصبك فما هو إلا كالمصارع يصارعك وتصارعه فتغلبه أو يغلبك وما حملك يابيك والله إلا أوزراً ولا أورثك إن كنت من المتفرجين إلا علواً وعتواً واستكباراً وما من حال من هذه الأحوال الثلاثة إلا وهو ممقوت ولن يتبين المفرور كآفة تلك الأحوال إلا بعد أن يموت فلا يفرك نظر الناظرين بعين التبجيل والإحترام إليك ولا يفتنك إقبال المتعاقبين من ذوي الحاجات عليك فانما هي أوهام لا يفتر بها إلا الجهول واثن تأملت بفكر صائب لتحققت أيها الفاضل صدق ما أقول لأن أهل الدنيا لا يحترم بعضهم البعض إلا لغايات وأغراض حتى إذا زالت تسارع إلى قلوبهم المال والإغراض فارباً بنفسك أن تكون بالعبث مفروراً وقل لشیطان طيشك إنى لأظنك يافرعون مشبورا (أيها الفاضل) أأنت الذى يفتقر لى الجوع للطعام كما يفتقر الجرذ والبحير . أأنت الذى يعمل فى بيت الخلاء ما يعمل كل حيوان حتى الحمير . أأنت الذى ينام عند غلبة النوم كما تنام الاطفال . أأنت الذى يعمل عند الجماع العمل الذى لا تعمله البغال . أأنت الذى إن شاكرته الشوكة أو قبلتك البقرة تتألم أأنت الذى كان جهولا لولا أنه

بإرشاد الله وعنايته تعلم . أأست الذي لو سلبتكم الموارض النفيية إحدى
 الحواس لتقطعت بك تلك الأسباب . أأست الذي ان أصابتكم مصيبة
 عظمى في بدنك عويت كما تهوي الذئاب . أيها الفاضل ألك مع الموت
 مواعيد لا يتعداها أم أنت كفرك لا تدري في تلك الحالة ما طحاها .
 فإن كنت الأول فكل آت قريب . وإن كنت الثاني فكيف يكون
 الإطمان مع جهل الأجل أيها الحبيب . عزيزي ان مثلك يابيك من
 يكتفى في الموعظة بضرب المثال إذ لا يحتاج الفطن النبیه إلى كثرة القيل
 والقال . فتبصر يا بياك بفكرك في مصالح أحوالك واعمل فيما بينك وبين
 مولاك لمصلحة حالك وما لك وإياك أن تكون كأهل الفرور . فإن الذي
 لا يعمل لما بعد الموت مهتون ومفرور . فوالله لا بد لكل حي من حياة
 الأبد وما هي إلا روح تتلبس هنالك بجسد فتتذكر ما كانت قبل الموت
 عليه من الأعمال . وإلى ما يناسب سوابق أعمالها من الدرجات والدركات
 تساق المال وما كان للحكمة الإلهية أن تجمع بين ذوى النقص وأهل
 الكمال . ولا أن ترتضي اختلاط السفهاء بعقلاء الرجال . وليس العاقل
 الأذوب إلا من أحسن الصعوبة مع ربه في مواطن الاختبار . وعمل
 بأوامره ونواهيه فكتبه في ديوان الأخيار . فاسلك يا بياك بنفسك
 مسالك الأوابين . ولا تفرض بفتنة الطيش والفرور إلى خصمة رب العالمين
 ويا أيها العلماء إنكم لأعلم مني بحالكم مع العزيز الجبار وبما تستقون في اليوم
 المهرول الذي تخشم فيه الأصوات وتشخص فيه الأبصار * والعلم بلا أدب
 داء عضال وما اشنع العلم اذا ما اصبح سبباً للشك والوهاب والعبد يقرع

بالصا والحر تكفيه المقاله . واما العامة فانهم ذبول واكارع واذا صالح
 حال المتبوع أفلح وراءه التابع والأمر لله الذي إذا أراد شيئاً لا بد أن يكون
 وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون
 خرج مسلم في الصحيح عن عبد الله ابن بهرام الدارمي عن مروان
 ابن محمد الدمشقي عن سميد ابن عبد العزيز عن ربيعة ابن يزيد عن أبي
 إدريس الخولاني عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
 فيما رواه عن ربه انه قال يقول الله تبارك وتعالى يا عبادي إني حرمت
 الظلم على نفسي وجعلته فيما بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي كل من
 ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كل من جائع إلا من أطعته
 فاستطعموني أطعمكم فإني أنا الرزاق ذو القوة المتين يا عبادي كل من عار
 إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم فإني خالق الصوف والوبر ومخرج
 النبات والشجر ولو منفتكم ذلك لأصبحتم حفاة عراة يا عبادي إنكم تخطئون
 بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي لو أن
 أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد
 ذلك في ملكي شيئاً ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر
 قلب رجل واحد ما نقص ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم
 وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل سائل مسألته
 ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص الخيط إذا دخل في البحر

وفي حديث آخر يقول الله تبارك وتعالى في بعض كتبه المنزلة يابن
 آدم كل يوم تزيد في رزقك وأنت تحزن وتنقص من عمرك وأنت

تفرح ونمطيك ما يكفيك وأنت تطالب ما يطغيك لا بقليل تقنع ولا
بكثير تشبع يا بن آدم لو رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طويل
ما ترجوه من أملاك ونقصت من حيلتك وحرصتك وابتغيت الزيادة في
صالح عملك ولكنك ستلقى الندم إذا زلت بك القدم وأسلمت إلى القبر
الأهل والحشم وانصرف عنك الحبيب وترحم عليك القريب فلا أنت إلى
أهلك عائد ولا في عملك زائد فاعمل يا عبد ليوم القيامة فإنه يوم الحسرة
والندامة يا بن آدم خيري إليك نازل وشرك إلي صاعد وأنا أتعجب إليك
بالنعم وأنت تتبغض إلي بالمعاصي وما من يوم إلا ويأتيني ملك كريم بقبيح
عملك فياضية طالك وخيبة أملاك أما تراقبني وأنا عليك رقيب أما تعلم
أنك بعيني في خاوانك وعند حضور شهواتك يا بن آدم اذكرني عند
الشهوة وسلي أن أنزعها من قلبك لأعصمك من معصيتي وأبغضها إليك
وأيسرك طاعتي وأحببها إليك وأزين ذلك في عينك فأني أنا مقلب
القلوب والأبصار وإني إن تركتك وشأنك لمب بك الشيطان وكنت
أشر حيوان

وأوحى الله تعالى إلى نبي إسرائيل يا بني إسرائيل رغبتناكم في الآخرة
فلم ترغبوا وزهدناكم في الدنيا فلم تزهّدوا وخوفناكم النار فلم تخافوا
وشوقناكم إلى الجنة فلم تشاققوا وإن لنا سيفاً غير مغمد وهو الهاوية وإنها
لهي النار الحامية

أيها المقلاء ما نريد بما جئناكم به من الحكمة والموعظة الحسنة أن
نحول بينكم وبين ما في أيديكم من متاع دنياكم القليل ولا أن ننهاكم عن

طلب ما يحتاجونه منها ولكننا نريد منكم أن تتناولوها كما أمركم الله إذ
 قال لكم (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فاعدلوا بين
 الضرتين فإن العدل اقرب للنجاة ذلك لتفوزوا بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة
 وإلا فالحزن الدائم بعد الفرح اليسير مصيبة كبرى والمذاب بعد النعيم
 شديد الآلام والذل بعد المز فضيحة وخذلان والهوان بعد الفرور
 والطغيان نكال ووبال فلا تظلموا أيها السادة أنفسكم بمتابعة أقوام ادعوا
 أنهم عقلاء وما هم بعقلاء ولكن فقد العقل هو الذي ساعدكم على ادعاء
 العقل وضعف إيمان المؤمنين هو الذي جرأهم على التعامل على الدين
 وليس الدين هو الضائع ولكن السفهاء هم الذين أضاعوا أنفسهم وما
 هلك الزائغون بمتابعة أولئك الشياطين إلا لما يعلمه الله من الأسباب
 التي إذا تفقدها العقلاء علموها وما هي إلا من أعمال الحكمة الإلهية فإن
 الإله القادر مقلب القلوب الذي حجب للمؤمنين الإيمان وزينه في قلوبهم
 وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان هو الذي قابل أرباب القوابل
 السيئة يضد ذلك فتراهم يعمقون الدين يذكرون الله ويصلون على رسول
 الله ويزدرون الأتقياء للأسباب التي أشرنا إليها فيما سبق التي منها أن ولد الزنا
 حتم الله عليه النار كقاتل نفسه وذلك لأن هذا ظلم نفسه وعاجل ربه بها
 وذلك ظلم نفسه وأبويه لأنه هو الباعث على الشهوة ولولاها لما أفضى الزاني
 إلى الزانية إذ النطف الطاهرة لا تنزل منازل النطف الخبيثة ولذلك قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح
 من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وإني لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء

وإن العقلاء ليعلمون أن اختلاط الأنساب في هذا الزمن هو من
أكبر الأسباب الذي ساق كثيراً من الناس إلى النار وأعمالها والتشبه
بأهلها فكانوا من المكذبين بالدين ومن لم يكن كذلك كان التحاقه بهم
بحكم الإختلاط والمماشرة وفقد النصحاء ولو أن العقلاء تفقدوا انساب
المتفرجين بدقة البحث لعلموا صدق ما نقول فإن الولد لا بد له من مشابهة
أبيه في كثير من الصفات والأخلاق ومن هذه الوجهة كانت تحليل
المشعر وإباحته للطلاق وهو ينفذه وترخيصه في التزويج إلى أربعة كيلا
تكون كثرة النساء وقلة الرجال من دواعي الفجور ولقد ذكرنا أسباب
الفسق والمروق من الدين في كتاب المباحث الأدبية والله سبحانه وتعالى
يقول الحق ويهدي السبيل

أيها العقلاء لقد قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز (ولقد
ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين
لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل)
وقال في آية أخرى (وقليل من عبادي الشكور) وقال (وإن كثيراً من
الخطاء ليبيغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل
ما هم) فكونوا أيها العقلاء من الفضلاء القليلين ولا تكونوا من السفهاء
الكثيرين ولا تريد بالفضلاء القليلين إلا الذين مدحهم الله وأثنى عليهم
ووصفهم بأكل أوصاف العبودية في كتابه العزيز بمثل قوله جل شأنه
وتقدس اسمؤه (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً) إلى

آخر سورة الفرقان وقوله (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون) الى آخر الآيات فهل تعلمون ما هو اللغو ايها العقلاء إنما اللغو كل اللغو بل اشنع اللغو هو ما تظلمون عليه كل يوم وتظالمونه في صحف الجرائد من الاقاويل التي ازاغت قلوب المعجبين بها وتركت كثيراً من البسطاء في طفياهم يعمهون فهل يظن عاقل او يتوهم متوهم ان اهل العناية بتلك الأباطيل والاضاليل سواء المنشيء لها والمطالع والسامع هم من الذين شكر الله صنيعهم واثى عليهم في آيات الكتاب وعلي السنة الرسل كلا والله إن الذي يتوهم هذا لفي ضلال مبين

ولا نريد بالسفهاء الكثيرين إلا الذين نسوا الله فانساهم أنفسهم سواء العالم منهم والجاهل والحقير والامير لأن الحقير الحق هو الذي لا يحترم أو امر به وان كان ملكاً أو سلطاناً والامير هو الذي يعظم حرمة الله وإن كان هو الموصوف بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رب رجل أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره وإنكم والله لتعلمون أن ذوى الاخلاق الكريمة في الرجال قليلون والله در القائل وإن لم يكن من الاتقياء

تعايرنا أنا قليل عدادنا فقلت لها ان الكرام قليل وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الا كثيرين ذليل وإنه لرجل حمله الحماس والجلاته الشهامة الى الافتخار بمن زائل لا عناية للعقلاء به فكيف بأهل العز الدائم والملك الكبير الذين ذهبوا بشرف

الدنيا وكرامة الآخرة فإنه لا عز فوق عز الطاعة والإيمان ولا ذل فوق ذل المعصية والكفران فأما عز الإيمان فقد أثبتة الله سبحانه وتعالى بقوله مشهراً لأهل الكفر والنفاق (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل والله العزة لرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) وأما الملك فقد قال الله تبارك وتعالى بعد ما وصف نعيم أهل الجنة مخاطباً لرسوله عليه الصلاة والسلام (إذا رأيتهم حسبهم أولئاً منشوراً وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً) فما ظن العقلاء بملك استكبره الله سبحانه وتعالى في جانب متاع الدنيا الذي وصفه بقوله لنبيه (قل متاع قليل) ولو شئنا لشرحنا شؤون عز الطاعة وشؤون ذل المعصية بالبيان الذي لا يرتاب في صدقه المرتابون ولكن المجال مجال الإيجاز واختصار ورب إشارة اغنت عن طويل العبارة فالسذكر من تلك الشؤون شيئاً قليلاً فنقول والله يقول الحق ويهدي السبيل

ان العقلاء يعلمون أن العز والذل كلاهما صفة تخالط النفوس بمفاجأة طواريء أسباب ظاهرية أو باطنية فتظهر علامات تلك الصفة على هيول المتلبس بسبب من تلك الأسباب كما تظهر علامات السرور أو الحزن مثلاً على من طرقة طارق أحدهما ولا سبب للذل إلا خوف عارض سيء آت أو ندم على عظيم فائت أو خزي لتلبس بعمل قبيح وأهل الإيمان الصادق مبرؤون من هذه الطواريء وأسبابها لأن السلامة منها هي أعظم ما يتمناه المؤمنون قال الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه اللهم انا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية وأسبابها وذكرنا

بالخوف منك قبل هجوم خطراتها واجملنا على النجاة منها ومن التفكير
 في طرائقها واحم من قلوبنا حلاوة ما اجتنبناه منها واستبدلنا بالكرامة
 لها والطعم لما هو بضدها وأفض علينا من بحر كرمك وعفوك حتى نخرج
 من الدنيا على السلامة من وبالها واجملنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالين
 بها واراف بنا رافة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها وأرحنا من هموم
 الدنيا وغمومها بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها إلى آخر ما قال في طلب
 التخلص من اسباب الدل وقال في معرض التخلص من المفات الدنيوية
 اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالدل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى
 وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله فلا تصحبه لطائف رحمتك وكل
 وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقداً تصحبه أنوار محبتك فإنه قد ظهرت
 السعادة على من أحببته وظهرت الشقاوة على من عيرك ماكه فهب لنا من
 مواهب السعداء واعصمنا من موارد الأشقياء إلى آخر ما قال فهل من
 كانت هذه مطالبه يجد في نفسه أثراً للدل كلا والله إن الذي ينال ذلك
 النوال من مولا لمن الفائزين

وأما العز فإن أقوى سبب لثبوت في النفس هو سكون السكينة
 والإطمأنان في القلب المعبر عنهما بقوة اليقين قال الله تبارك وتعالى (هو
 الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم والله
 جنود السموات والأرض وكان الله عليهما حكيماً) فمن تفتن لرقيق إشارة
 هذه الآية الكريمة ولإشارة قوله تعالى (سنلقي في قلوب الذين كفروا
 الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به عليهم سلطاناً) علم معنى قوله (والله

جنود السموات والأرض) وعلم أن العزَّ والذلَّ والسكينة والطمأنينة والجزع والفرح وجميع الأوصاف المتضادة التي تطرأ على الإنسان منها المسيء المحزن ومنها السر المفرح كلها من جنود الله سبحانه وتعالى يسقطها على من يشاء من عباده بعضها من عوامل الانعام وبعضها من عوارض الانتقام ولذلك ترى المؤمن المدم هاديء البال ساكن الجأش طيب النفس مطمئن القلب نائمًا في حجر ربه على مهاد التوكل فوق أرائك اليقين لا يخاف بأسًا ولا رهقا وترى غيره مع تراكم النعم عليه يترقب الفقر ويخاف الفوت ويحزنه الوهم ولا يفارق قلبه الاضطراب وخوف من هو فوقه من المخلوقين وتراه عند أصفر المصائب جزوعا وهلوعا وذلك كله من علامات النفاق في المنافقين ومن نتائج الكفر في الكافرين والله لا يهدي القوم الفاسقين فيا أيها العقلاء انكم لماسقون لأحوال المؤمنين وأعمالهم وراء سفهاء المتفلسفين الضالين ولكن الأمر علي خلاف ما تفهمون ووراء ماتوهون فما مثل المتفلسفين ومثلكم واتم رؤساء الامة مع المتدينين الا كمثل آباء كرام كانت لهم عناية بشؤون ابنائهم الذين كانوا في مكاتب التعليم يتعلمون ما يدركون به سمادتهم المملومة لهم ولا بائهم فجاءهم مشموز شغلهم بملاعب تسحر الميون وتشغل القلوب وما زال يتعبد مكاتب التعليم حتى ألهى بسطاء الصبيان واشغل قلوبهم بما يلقى اليهم وانساهاهم ما علموا وما تمسكوا به من اسباب سمادتهم فلما تحقق للآباء فساد حال الابناء فواقع مقتهم الا على العلم والتعليم الذي كان محبوبا لهم لظنهم انه هو منشأ انحطاط احوال الصبيان وما كان لذلك الظن من سبب إلا جهل أولئك الآباء بزايا ذلك التعليم وتغافلهم

عن البحث عن اسباب الفساد فلذلك اعجبوا بأعمال المشموزة ومقتوا ما كان
عليه ابناءؤهم من قبل ولو انهم كانوا من ذوى العرفان لعلموا اسباب الفساد
ومقتوا المشموزة أعماله وحالوا بينه وبين ابناءهم وردوهم لما كانوا عليه من
العلم والتعليم حتى صلت احوالهم ولكن جهل الآباء هو الذى اودى بالابناء
واركسهم فى مصارع الضياع والحرمان وتركهم فى ظلمات لا يبصرون
بيان ذلك المثال أن المشموزين من أحداث هذا الزمن المشؤوم بما
لهم من الإقتدار على زخرفة المقال وقلب الحقائق والتباس الحق بالباطل
قاموا قائلين إن العلوم الرياضية علوم عالية وهى العلوم العصرية التى توافق
حال الزمن وأهله وأن العلوم الدينية صارت كالشوب الخلق الذى لا يستر
المورة ولا يبقى البرد وزخرفوا للناس الأضاليل والا كاذيب والناس
على جهل عظيم بمزايا الدين وعلومه فتوهموا أن القوم نصحاء وأن الدين كما
يقولون وزين ذلك الظن فى قلوبهم إعتقاد فساد احوال الغالب من بسطاء
المتدينين إما لجهلهم مزايا الدين وفقد المرشدين إليه وإما لافتتانهم بما
جاء به أولئك الضلال الذين ساعدتهم الوقت المظلم والزمن المحرم ولو أن
رؤساء الامة كانوا متدينين لكذبوا المشموزين الضالين من أول وهلة
ولكنهم رجال نشؤوا على أن لا دين وعاشوا بين الاوروبايين ومن
فسدت بدايته خابت عند الله نهايته

ذلك ليعلم العقلاء من الناس أنه لا نسبة بين العلوم الدينية وبين
الفنون الرياضية والفلسفة الطبيعية لافى المبادي ولا فى النهايات لان مبادي
الدين استقامة واعتدال ونهايته أدب وكال ليكون الإنسان بذلك فى مقعد

صديق عنده عليك مقتدر كما سبق تقريره من قبل ومبادئ الفنون الرياضية
طو واشتغال ونهايتها إعجاب وزهو ووبال والفاوق بين أولى الآداب
الدينية والكمالات الأدبية وبين المتفلسفين الطبيعيين معلوم للمعلاء وما
نفى بالمعلاء قوى المهارة في الرفع والجدل ولكننا نريد بهم أهل العمل
المبور والنسي المشكور الموافق لكتاب الله ولسنة رسول الله لأن الدين
كله كمالات ذوقية وأعمال تهذيبية تأتي على عامها المتحقق بحقائقها أن
يتعدى حدود ما أنزل الله من التعليمات التي هي آداب العبودية

والفلسفة الطبيعية تحمل ممانعها على أن يكون عاملاً بطبعه بمعنى أنه
لا يتقيد بالقيود الأدبية لأنه عاقل والعاقل لا يحتاج إلى مؤدب كما يزعمون
والمعلاء يعلمون أن الطباع تتفاوت بتفاوت القوالب والاستعدادات كما
تتفاوت العقول والافكار ومن زعم غير ذلك فهو من الضالين ولا شك
في أن تفاوت الطباع والعقول واختلاف القوالب والاستعدادات من أكبر
الموانع التي تمنع العاملين بمقتضى طباعهم عن الاتحاد في المبادئ والغايات
وفي الاخلاق والاعمال ومن تظن لذلك علم أن الفلسفة الطبيعية في حكم
الهمجية التي لا تقبل الآداب الكمالية ولا الروابط الدينية التي جعلها الله
قيوداً للنفوس ومقمة للطباع

لأننا إذا طالعنا أقوال المتفلسفين توهنهم رجالا عقلاء حتى إذا تفقدنا
أعمالهم وأحوالهم وجدناها أعمال السفهاء السفلة ولكن أكثر الناس لا
يفقهون وما هكذا حال الدين ولا حال المتدينين إذ الدين رابطة سماوية
أسس قواعدها الحكيم العليم الذي كان بعباده خبيراً بصيراً وتلك الرابطة

هي التي سماها الله بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والله سميع عليم
 وما كم البرهان العقلي والدليل الحسي الذي لا مرأى فيه ولا جدل
 جاءت الرسل برسالات سماوية من قاطر السموات والارض عالم الغيب
 والشهادة القائل في كتابه العزيز (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا
 تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون)
 فكانوا داعين الى الله بإذنه وتعليماته وإرشاده وتوفيقه مرغين في عرض
 واحد ومزهدين فيما سواه من الأغراض لعلهم ان النفوس ميالة بطبعها
 الى كل عرض يغاز ذلك العرض وما كانت تلك الدعوات لتلك الغرض
 إلا من طريق واحد وهي طريق الاستقامة والاعتدال التي سماها الله
 الصراط المستقيم فتفاوتت شؤون افراد الأمم في السير الى ذلك الغرض
 فكان منهم من تفرغ في طلبه عن جميع الشوائف حتى وصل إليه وما
 ذلك الغرض إلا مقام الخلة الذي هو تحقّق العبد بأخلاق سيده حتى يكون
 رايّاً يقول للشيء كنى فيكون كما كان من بعض الخوارج من أمة عيسى
 عليه السلام ومن غالب المتجربين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك
 المقام اجمعت على صحته جميع الطوائف حتى الفلاسفة غير ان المتعقّبين
 بأحواله تسكّموا عنه من طريق الخبر والظن الذي يعطيه الشهود الحياتي
 والعرفان اللدني واما الفلاسفة فأدركوا صدقه من طريق الفكر والاستدلال
 النظري فقالوا إنه الإنسان لا يزال يتتبع المعلومات حتى يقابل الإله وجهاً
 لوجه فيعمل ما يعمل ويعلم ما يعلم
 ومن افراد الأمم بل الغالب من كل أمة من تعرضته عوارض مائمة

عن ذلك التفرغ فكان استغفاله بالتحرز عن الميل لتلك الشواغل بمثابة الأوامر واجتناب المناهي قائماً عنده مقام ذلك التفرغ ولكنه ما وصل الى ذلك الغرض إلا بعد فراغ الأجل المانع لوجود تلك العوارض حتى اذا جاء الموت وجدته على أهبة تامة لنيل ذلك الغرض لأن العبد المتابع لأوامر سيده المتجنب لمناهيه هو في حكم المتخلق بأخلاقه لاتحادهما في المبدأ والغاية واتفاقهما في سلوك مناهج الاستقامة والاعتدال ولذلك ربط الله سبحانه وتعالى السائرين في تلك الطريق برابطة الأخوة المشار اليها بقوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) وبذلك الرابطة صرح للخلف منهم أن يسأل ربه أن ياحقه بالسلف كما قال الله تبارك وتعالى حكاية عن يوسف الصديق عليه السلام في قوله (أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) وقول آخر (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) وقول الآخرين (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك على كل شيء قدير) وهذه مزايا عالية اختص الله بها أهل الإيمان دون جميع الطوائف البشرية وما هي الا من ثمرات التدين بهذا الدين القويم المشار اليه بقوله تعالى (والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وما ظنك بدين ينشر الرحمة في القلوب ويشغلها بالغرض المطلوب عن تفقد ماستره الله من الميوب ويحمل السرائر سليمة من أمراض الاعتراض والانتقاد بتعليم الله وإرشاده في مثل قوله (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن

إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا (وَإِنَّ الَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى آخِرِ الْآيَةِ)

فلذلك ترى المؤمن إذا عاين مصيبة أخيه رحمه وسأل الله له العافية
والغفران وإذا علم من نفسه مقتلاً رجع بالملام عليها واعتذر إلى ربه بمثل
قولهم اللهم لا لوم ولا اعتراض ذلك بعض مزايا الدين وبعض محاسن
المتدينين والفلسفة الطبيعية بضد ذلك ولو أن أخلاق المتفلسفين كانت
كأخلاق المتدينين لما سلفت الجرائد الناس بالسنتهم الحداد ولا أصبح
كل ذي جريدة بجريدة المؤيد مثلاً جاءلاً له جواسيس يحسون خلال
الديار ليأتونه بمعائب أهل القرى والامصار حتى يتحيف بنشرها القراء على
زعمه ولو أنهم اعنى أولئك المتقولين من أرباب الجرائد كانوا مؤمنين لما
تنافسوا في هتك الأعراض والتشهير بمستور المعائب ولا تفقدوا عورات
الناس ولا تعمدوا افتضاح من وقع في زلة وإن كان كريم قومه إذ الدين
الإيماني ينهي عن ذلك العمل السيء القبيح وما بمثله لأن من ذلك ما هو
من لغو الحديث الذي مدح الله المؤمنين بأنهم عنه مرضون ومنه ما هو
من الغيبة التي حرمها الله تعالى على عباده المؤمنين ومنه ما هو نعمة وهي من
خصال الأشرار اللوثة ومنه ما هو تزكية لنفوس لم يتركها الله تعالى وهو
المنهي عنه بقوله تعالى ولا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اهتدى) ومنه ما هو
قول مكذوب وأمر الكاذب معلوم إلى غير ذلك من معائب المتفلسفين
الذين كانوا شياطين الأمة في هذا الزمن وكان أمر الله قدراً مقدوراً

فيا أيها العقلاء افقهوا رحمكم الله وتبصروا الأمور وتدبروا سريان

المقدور لتعلموا أن حالكم هذا هو الحال الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله إذا أظفر الناس العلم وضميعوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاتلوا بالإرحام لنهم الله عز وجل عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم وعن الإمام أحمد قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثني عبد الرحمن بن جبير عن أبيه أنه قال لما فتحت قبرص وشرقي بين أهلها بيني بعضهم لبعض فرأيت أبا الدرداء رضي الله عنه جالسا وحده يبكي فقلت يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله فقال ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا اضماعوا أمره إنما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصيروهم إلى ما ترى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يملك الناس حتى يُحدروا من أنفسهم وهو معنى قوله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) يعني إن الله سبحانه وتعالى كتب على نفسه الرحمة فلا يفتح رحمته عن قوم حتى يستجابوا بأعمالهم غضبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشاك أن تداعي عليكم الأئمة من كل أفيق كما تداعي الأكلة على قصعتها قلنا يا رسول الله أمن قالهينا يومئذ قال أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل تنزع صبايتكم من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قالوا وما الوهن قال حب الحياة وكرامة الموت وفي مراسيل الحسن إذا أراد الله بقوم خيرا جعل أمرهم إلى حلمايتهم وفيهم عند سمعائهم وإذا أراد الله بقوم شرا جعل أمرهم إلى سفهائهم وفيهم عند بخلائهم وقال يونس عليه السلام يارب انت في السماء ونحن في الأرض فما علامة غضبك

من رضاك فقال له اذا استعملت عليكم خياركم فهو من علامة رضائي
عليكم واذا استعملت عليكم شراركم فهو علامة سخطي عليكم واوحى الله
الي بعض الانبياء اذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني وحديث
ابن عمر يرفعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي محمد بيده لا تقوم
الساعة حتى يبعث الله أمراء كذبة ووزراً فجرة واعواناً خونة وعرفاء ظلمة
وقراء فسقة سيماهم الرهبان وقلوبهم اتقن من الجليث اهلواؤهم مختلفة
فيتيح الله لهم فتنة غيراء مظلمة فيها وكون فيها والتي نفسي محمد بيده
ليمنقضي الاسلام عروة عروة حتى لا يقال الله الله لتأمرني بالمعروف وتنهوني
عن المنكر او لسلطن الله عليكم اشراركم فيسودونكم سوء العذاب ثم
يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم لتأمرني بالمعروف وتنهوني عن المنكر او
ليبعثن الله عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر كبيركم وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ستظهر شرار امتي على خيارها حتى يستغنى المؤمن
فيهم كما يستغنى المنافق فينا اليوم

فيا أيها العقلاء أليس ما عليه اليوم الآن هو ما نبأ به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس الجزاء الذي ما شعرت به هو ما اخبر به رسول
الله الستم المأخوفين من حيث لا تشعرون أنظنون أن الله سبحانه وتعالى
لا يفض على من عصاه أم تظنون أن الغضب لا يكون الا بالخسف
والمسخ والأخذ الويل كلا ولكن للعقوبة انواع مختلفة منها امانة القلوب
ولذلك قال الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام يا موسى اول من مات
من خلقي ابليس لأنه اول من عصاني وانما اعث من عصاني من الأموات

ومن انواع العقوبة حرمان المذنب من حلاوة الذكر والمناجات فقد قال
 ذوا النون المصري رضي الله عنه لكل شيء عقوبة وعقوبة المؤمن انقطاعه
 عن ذكر الله وقال ابو الحسن احمد ابن الحواري رضي الله عنه من عرف
 الدنيا زهد فيها ومن عرف الآخرة رغب فيها ومن عرف الله تعالى آثر رضوانه
 على كل شيء ومن لم يعرف نفسه فهو في دينه مفرور وما ابتلى الله تعالى
 عبداً بشيء أشد من الغفلة وقسوة القلب وإذا أحب الله عبداً أفاده في
 البقعة والنام . ويروى ان حبراً من احبار بني اسرائيل كان يقول يارب
 كم عصيتك ولم تعاقبني فأوحى الله سبحانه وتعالى الى نبي ذلك الزمان قل
 له كم اعاقبك وانت لا تدري الم اسلبك حلاوة مناجاتي

وان من عقوبة الذنوب لتسهيل طريق العصيان والاسترسال في
 الشهوات حتى تحول بين القلب وبين الحياء والخوف قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنباً نكث في قلبه نكته سوداء
 فاذا تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلوا على قلبه فذلك
 الران الذي ذكره الله عز وجل بقوله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
 يكسبون) وانواع العقوبة لا تحصى فان الله الذي لا تحصى نعمه كذلك
 لا تحصر تقمته وانما تختلف باختلاف انواع المعاصي وباختلاف قوايل
 العصاة وشؤونهم فلا تكون عقوبة العالم الذي اطفاه العلم كعقوبة الجاهل
 الذي اطفاه الجهل ولا عقوبة البخيل مثلاً كعقوبة الظالم وكما ان من
 الامراض ما يكون سيء العاقبة ولكنه خفي الألم فلا يشعر بمضاره وديب
 مملكاته إلا من كان شديد الشعور والإحساس فكذلك من أنواع العقوبة

مالا يتفطن له إلا ذؤوا الأذواق السليمة والبصائر النيرة ولقد علمنا من
 أعمال الله سبحانه وتعالى بعباده التي جاء بها القصص القرآني أن الله سبحانه
 وتعالى ما عاقب أمة من الأمم الطاغية إلا من بعد ما بسط لأفرادها من
 الرزق ما أطعمهم وأنه يمهل بوسع حلمه ولكنه لا يمهل ولقد قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ولقد كثرت
 المظالم حتى أصبحت من الموائد المعتادة فمن لم يكن ظالماً لغيره فما هو إلا
 ظالم لنفسه فشارب الدخان ظالم لبدنه وماله وولده وشارب الخمر ظالم لعقله
 وماله وأهله وشارب الخشيش ظالم لفكره وبدنه والمغتتاب ظالم ومزدري
 الغير ظالم والمفرط في جانب الله ظالم وتارك الفرائض ظالم ومضيع وقته
 في الملاهي ظالم ومنفق المال في المعاصي ظالم والجاهل بأمر دينه ظالم
 والذي لا يبحث عن طريق النجاة ظالم والغافل عن ذكر ربه ظالم وهاجر
 المساجد ظالم إلى مالا يتناهى من الأعمال التي تمودها أهل هذا الزمن
 وراء المفسدين الذين يظنون أن الإنسان حر لا يتقيد بقيود من القيود
 فيأثمها العقلاء ناشدكم الله إلا ما تخلصتم من هذه المظالم فما فوقها
 مما طنتهوه هيناً وهو عند الله عظيم وإني متوسل إليكم باخوة الإيمان
 وحنان النوعية وتمطفات الوطنية وبالروابط الدينية أن لا تهملوا البحث
 عن طريق النجاة والوقوف على حقيقة ما جاءكم به رسول ربكم بمطالعة
 كتب أهل التقوى الذين اصطفاهم الله من عباده أو بالاسترشاد من مرشد
 ناصح أمين فإن ذلك أقرب للسلامة وأليق بالعقلاء ولا تهملوا أنفسكم
 فتكونوا كهيمة الأنعام تذلها الأطفال وتمتطي ظهورها الجهال من

فَوَيْ الْأَمْوَالِ فَاقْبَلُوا نَصِيحِي فَأَنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ وَتَلَقَّوْهُ بِقُلُوبٍ صَاحِيَةٍ
 وَأَذَانٍ وَاعِيَةٍ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّمَا عَبْدٍ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ
 فِي دِينِهِ فَأَتَاهَا نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَتْ إِلَيْهِ فَإِنْ قَبِلَهَا بِشُكْرٍ وَإِلَّا كَانَتْ حِجَّةً مِنَ
 اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ لِيَزِدَّادَ بِهَا إِيْمَانًا وَيَزِدَّادَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطًا • اللَّهُمَّ عَفْوًا يَا كَرِيمَ
 الْعَفْوِ وَوَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ • اللَّهُمَّ لَطْفًا يَا قَابِلَ التَّوْبَةِ وَالْمَعْدِرَةَ • اللَّهُمَّ رَحْمَةً تَعْمُ عِبَادَكَ
 الْمُؤْمِنِينَ • اللَّهُمَّ رَأْفَةً وَلَطْفًا بِضِعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ • اللَّهُمَّ هِدَايَةً لِمَنْ ضَلَّ • اللَّهُمَّ
 إِقَالَةً لِمَنْ عَثَرَ وَزِلَ • اللَّهُمَّ إِنْ عِبَادَكَ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِمَعَاذِكَ الْأَلِيمِ وَإِنَّا نَتَشَفَعُ
 إِلَيْكَ بِمَقَالِ مَنْ قَالَ (إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) • اللَّهُمَّ اجْمَعْ قُلُوبَنَا عَلَى عِبَتِكَ وَحُجَّةِ رَسُولِكَ وَحَيَاةِ الْأَطْيَارِ
 اللَّهُمَّ قُوَّةَ إِيْمَانِنَا وَآيَةَ سُلْطَانِنَا وَحَرَمَ اجْسَادِنَا عَلَى النَّارِ • اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ
 أَعْدَائِكَ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَحَلَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُضَلِّينَ يَا فَاطِمَةُ الْأَرْضِ
 وَالسَّمَوَاتِ يَا لَمَنَّا أَنْتَ إِلَهٌ لَا يُشْتَرَى بِالزَّيْغِ وَالْفِتَنِ وَلَا تَخْفَى عَلَيْكَ خَفِيَّاتُ طُيُورِ الرِّقِّ
 الْحَمْنِ وَالْإِخْصَنِ وَحَاشَا أَنْ تَمَيِّزَ قَدْرَتُكَ الْقَاهِرَةُ عَنْ أَنْ تَذْهَبَ بِتِلْكَ الرِّزَايَا وَلَا
 عَنْ أَنْ تَرْفَعَ عَنَّا مَازِلَنَا مِنَ الْبَلَايَا إِلَهِي لَقَدْ أَزِفَتْ الْآزِفَةُ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مِنْ
 دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ إِلَهِي أَوْنَا آثَارَ رَحْمَتِكَ كَمَا أُرِيتُنَا آثَارَ قَهْرِكَ وَقَدْرَتِكَ

عَدَّتِ الْمَادُونَ وَجَارُوا وَرَجَوْنَا اللَّهَ مُجْبِرًا

وَكُنْفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكُنْفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا

وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

جَاءَنَا هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِنْ حَضْرَةِ الْفَاضِلِ الْأَدِيبِ الشَّيْخِ مُصْطَفَى

الرك من مدينة حمص يرغب نشرها في إحدى الجرائد فاحببنا درجها
هنا لما بين سماء المبشرين واحداث المتفلسفين من المناسبة الزينة ولقد
سماها منشئها التعنيف في الرد على قصيدة اليازجي ناصيف فقال

لا يخفى ان ناصيف اليازجي البيروتي اللبناني له قصيدة ميمية مظلما
(نحن النصارى آل عيسى المنتمى * حسب الناس للبتولة مريم)
بين فيها عقيدته وادعى عدم تحريف الانجيل و كنت قدما سمع بها ولم ارها
ثم من نحو ثلاث سنين اطلمت عليها ونظمت هذه من قافيتها وأوزانها
وقصيدته مشهورة كانت طبعت في رسالة الكندي عبد المسيح وهذا
هو الرد على تلك القصيدة

يامن الى عيسى ابن مريم ينتمى	غالبت فيه وقد اتيت بما ثم
صبرته ابن الاله وروحَه	بل والاله ثلاثة لم تفهم
وجعلت كلا منهمو لشريكه	عينا فهذا نقض عد محكم
بالشمس تقريبا لنا مثاهم	والنور وصف والحرارة فاعلم
ولذا المثال عجبت حيث مثالكم	هو في عماء في الغيوب مكتوم
أهمو ذوات ام صفات جمعت	في ذات فرد واحد لم يقسم
لا يمكن التثليث مع توحيدكم	الا اذا كان اعتبارا فافهم
وهما حقيقتان عند سؤالكم	جمع التناقض قط غير مسلم
انى لا عجب كيف دعوة صرقس	في الله أولوقا ألا من مفهم
لم يذكر التثليث فيما حررا	هل قلنا متى كما المتعلم
واقفت من تواراة موسى آية	قد صار منا واحدا عن آدم
فاقول لفظ الجمع كيف حصرتة	بثلاثة والحصر محض تحكم
ولربما قد صار آدم رابعا	إذ صار منهم واحدا في الاسهم

هذا وموسى صاحب التوراة لم
والانبياء طراً على التوحيد قد
هذا تحكّم جاهل في رأيه
وتقول خلاص آدم من ذلة
فعلية موسى والخليل وآدم
فلأي شيء جاء بالتوراة مو
قد كان بالآيات خير مؤيد
فالؤمنون به ومن قد اخصلوا
ان كان في الدنيا الخلاص بصلبه
ومن العجائب ندبه لعباده
دعواك هذى ما المسيح دعا لها
بل قال صلوا قائلين اغفر لنا
لكن بولس لئنه وفدى لكم
هذا المخلص لم يجبه طائماً
قد كان مقصده النجاة من الاذى
فاذا زعمت الضعف مظهر حاله
بالله هل هذا رضائه بالقضا
ان الخلاص هو الولادة ثانياً
هي صبغة من لم ينلها لم يلج
ولأجلها كان العماد اشارة
وتقول لاهوت الوجود اذا اكتسى
دعوي التجسد للقديم محالة
واذا منجنه الظهور بمظهر
فالشمس مذ عكست على البدر انما

يظهره هل هو شرحها لم يعلم
سلكوا وما تركوا لأمر منيهم
هل جاء في المهددين لفظ الاقنم
وبنيه طراً من عذاب جهنم
والانبياء تحت المذاب المؤلم
صلى لليهود من الحكيم الأحكم
لم يعطها الا لكى يهدى العمى
منحوا الرضا حقاً بغير توهم
دينونة الاخرى لماذا فاحكم
للصفح وهو لا آدم لم يكرم
ما قال في غفرانكم يقدي دمي
خطاً كما تمفوا ذنوب المجرم
جمل المسيح فيافضيحة متهم
بل كان محتفياً ولم يتقدم
ولأجله نادى الإله المحتمي
فلم الذبح نراه لم يتكلم
أم فيه تسليم لأمر مبرم
فهي الحياة وليس اهراق الدم
ملكوت عليين حفرة منيهم
يومي اليها في لسان مترجم
جما فهل ضرر له بتجسم
ما لا يصور لا يحل بأدمي
يبدو به تأليه لم يلزم
ما صار شمساً بالسنا المتبسّم

ان كنت مغروراً بالفاظ أتت
 هي وحدة باسم الوجود تحققت
 وتقول فيما تدعي بشهادة التور
 حقق تجدها في اليهود فقد نجوا
 (وتلك القصة في اصحاح ٣٥ و ٣٧ من أشعياء وتوضحها في ص : ٣٦)

وكذلك أمثال لها لاحت لمي
 وتقول ان كتابنا هو شاهد
 حكم الكتاب بكفر من قالوا هو الله
 ونهى بلا تغلوا يريد رجوعكم
 وانظر الى نفخ الأمين بقوله
 هي نفخة في جوف صريم قدسرت
 إنا نرى الانجيل حقاً وهو ما
 لا قول بولس أو رسائل غيره
 إذ أثبت التحريف فقد تواتر
 وأقول ما قالته فيه تلامذة
 أو ما ترى فيها التناقض بادياً
 انظر لقصة صلبه وزمانها
 وابصر يهوذا كيف كان مماته

نك كالسراب فظنه الماء الظمى
 قد قال روح الله حل بمرم
 في المسيح وعنه طرفك قد عمي
 عن جعله إنساً له فتعلم
 من روحنا تهدي لفهم المنهم
 فتكون البشر الذي عيسى سمي
 قد قاله عيسى ابن مريم بالنهم
 أو قصة في الصلب فزينة ظلم
 يأتي به متأخر عن أقدم
 كلماته ليست بوحي ملهم
 لفظاً ومعنى كالطراز المعلم
 ولنسبة تصل المسيح بآدم
 ولأرميا فالقول قول متمم

(هو في مجلة من الإنجيل الأول ص : ٢١ متى وهو غلط والثاني ص : ٢ متى)
 (بمصدق باب ٣١ أرميا ولكن مصداقه حادثة بختنصر)

وكم اختلافاً بيننا فيها حكوا
 وانظر الى فاندليك في تصحيحه
 وابتحث فما بين الهلال ومثله
 وزيادة في بعضهم لم ترقم
 تجد الكثير من الخلاف الاعظم
 جعل خلا عنها صحاح الاقدم

وانظر الى فرج البياض وتركها
 وارحل الى التوراة تعلم انها
 كم حرفت فيها اليهود عبارة
 زادوا لاسفار اراها اليوم في
 بيت داوود ولوط قبله
 ياليت شعري ذا التناقض هل ترى
 هل للمدافع صولة من بعد ما
 فالشك عند الخصم ضربة لازم
 وتقول يحيى الميتين بأمره
 ويقال مذ أحيا لعاذر قد دعا
 واره منسوخ الارادة دائماً
 فلقد تعطل شرع عيسى جملة
 فقد الكرامة بالنسك والتقي
 إن الكرامة اطلقت بكتابهم
 ملئت كنائسهم تماثيلاً وقد
 نسبوا عيسى شهوة الخمر الذي
 وقد ادعوا أن الكرامة نيلها
 غابت عرائس دينهم من خدوها
 فاراد ربي أن يجد دينه
 فاختار خير الخلق احمد سيداً
 فأتى بقرآن أضواء سراجهم
 هو بزررة نبئت بقاران وقد
 قهملت في الخافقين غصونها
 يأوي اليها كل طير ناعب

ما نابها في الفابر المتردّم
 نسخ ثلاث في حساب مقسم
 بل ضيحت كتباً بخضلة نؤم
 ما تعلمون بصدقها لم يجزم
 والانياء عملاً كفعل المجرم
 يقضي بضبط للكتاب القيم
 صدم الدليل جداله بمرمر
 والجزم أبعد من منال الأنجم
 فهو الآله ومن تشكك يندم
 يومي بطرف للسماء ميمم
 ترك الامور لواحد متحكّم
 من سرّ توحيد الاله الاعظم
 وغدت كرامته بجمع الدرهم
 في كل من يؤمن بوجه تعمر
 جعلوا عبادتهم لتمثال الدم
 يحيى أبى أن يشبهه بمعلم
 عم الجميع بصلب راضع مريم
 وسرى الغي بتيه عقل مظلم
 بشريعة أركانها لم تهدم
 متقلداً سيف القضاء المبرم
 وزهايسر في الحروف مكتم
 قامت على ساق بنعم مقوم
 وكم استظل بظلالها من ضيفم
 فيعود بمد مجاعة بالمغنم

وهو الذي قد قال عنه أشعيا عن ربه قول الأمين اللهم
عبدني واختاري الذي سررت به نفسي ومن أعدائه لم يقصم
وديار قيسدار ليعلو قدرها سكان سلم قل لها قترنم
تلك الديار ديار اسماعيل من أرض الحجاز أتخ هناك وخيم
هي أرض يثرب إن تسليني يافتي بلد النبي الهاشمي الأفخم
هل غير (له) كان يقصد أشعيا وبغيره ذا النعت لم أتوسم
وبشارة وبشار إن أحسكها عنها يضيق هنا سوار المعصم
من غيره طرق النجاة تعطلت فحبسه وبوذه فاستعصم
ما ثم باب لآله موصل الآدم فالزم بابه واسترحم
هذي مقالة عاجز قد صاغها رداً على ناصيف فاقراً وأحكم

﴿ أفقر العباد وأحقهم • مصطفى الركب • في مدينة حمص ﴾

ولما كانت هذه القصيدة الغراء وجيزة المقال • عزيزة المنال • على أفهام
العامّة الذين لا يفقهون مواقع الجدل أوجب علينا صدق البيان أن نأتي
بما يشرح معانيها للمطلعين فما وجدنا أوضح بياناً • ولا أرفع في مواقع
المظاهرة بياناً • مما جاء به وحيد عصره • ومجيد شعره • الشهم الهمام • الذي
استحق أن يدعى بحامي الاسلام • الاستاذ الفاضل الشيخ احمد علي
المليجي الكتبي الشهير • ذلك الرجل الذي كان من تاريخه أنه عند تراهي
بمئة المبشرين من المسيحيين على البلاد المصرية لدس الدسائس في معتقدات
بسطاء العوام كان هو أول مدعو إلى محافل أولئك السفهاء حيث كان
مروره على وجه الصدفة من طريق تمر على أبوابهم فنعلق بعضهم بأثوابه

كما تتلاقى الباغية من الزناة بمن لا يميل إليها فكانت تلك الدعوة ضايعاً
 شؤم على الداعين وطالما طال الجدل بين ذلك الفاضل وبين أولئك
 الحق حتى ماوارؤيته . وكرهوا زيارته . لما كان يمتريهم من الخزي في
 تلك المجامع فلما تفرس ذلك الفاضل في القوم أنهم فقراء وأن لهم أجوراً على
 هذا العمل السيئ . وعلم أنهم لا يرون نجاحاً ولا فلاحاً تركهم في طغيانهم
 يعمهون وألقى إليهم مقالا معجزاً سماه (السؤال المجيب . في الرد على
 أهل الصليب) ولما كان ذلك السؤال . غير مسبوق بمثال . ولا مقرون
 في جميع الوجود بنظائر ولا أشكال . وله وقائع عجيبة . وكان عند المبشرين
 أكبر مصيبة . رأيت من المحتم أن أعضد بسهامه الصائبة طعنات صاحب
 الميعة لما فيه من سر الإعجاز . وبلاغة الإيجاز . فلنبداً به أولاً ثم نتلوه
 بما له من الوقائع الغريبة أثماراً بقوله تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم
 ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) وما قاتلنا قتال رماح
 ولا سهام . ولكنه قتال سموم ناقعة في آية من كلام . (قال ذلك الأديب
 الفاضل . لا زال بالحق عن الدين يناضل)

السؤال المجيب . في الرد على أهل الصليب

بمحمد الإله قوي الجنبات	تنجي السعادة من كل باب
وبالشكر دوماً على فضله	تهون جميع الأمور الصعاب
وبعد الصلاة وأزكى السلام	على المرسلين أولى الاقتراب
خصوصاً محمداً المصطفى	إمام الجميع بغير ارتياب
أقول لأهل العقول اسمعوا	سؤالا عجيباً أتى بالمجاب

سألت النصارى على ما به
ولم أخلق فيه ما لم يكن
إذ الاختلاف قبيح ولا
ومن بعد أن تسموه احكموا
عسام إذا مارأوا حكمكم
يقولون ما قاله أحمد الـ
وحيث المراد بتحكيمكم
فها أنا أبدي لكم نصه
أعباد عيسى لنا عندكم
إذا كان عيسى على زعمكم
فكيف اعتقدتم بأن اليهود
وكيف اعتقدتم بأن الإله
ويطلب من خلقه شربة
فيأتيه منهم عدو له
ويعطيه إياه مستهزئاً
ولما تناوله لم يرد
ولكن على الأرض التي به
وكيف يكون إلهاً له
ويلقى الإهانة من خلقه
ويوضع ذلاً على رأسه

ذكرت ومطالبهم بالجواب
لديهم بإقرارهم في الكتاب
بوجه لأهل النهى يستطاب
بمحكم يزول به الاضطراب
قويماً عن الحق ألقى النقاب
مليجي عين الهدى والصواب
ظهور الحقيقة بعد احتجاب
بتوجيه قولي لهم في الخطاب
سؤال عجيب فهل من جواب
إلهاً قديراً عزيزاً يهاب
أذافوه بالصلب مرّ العذاب
يوت ويدفن تحت التراب
ليطفى عن قلبه الإلهاب
بمرّ وخل وبئس الشراب
بحضرة مثل باقي الصحاب
تعاطيه إذ له ما استطاب
ومات حليف الظما إذا اكتاب
تذلّ خضوعاً جميع الرقاب
ومنهم يصاب بهذا المصاب
من الشوك تاج يشيب الغراب

أَسْأَلُ دِمَاءَ عَلَى خَدِّهِ
وَقَدْ كَانَ يُبْصِقُ فِي وَجْهِهِ
وَذَلِكَ بِمَضَى الَّذِي قَدْ جَرَى
وَبِرُكْبِ جَحْشًا بِهِ يَتَّقَى
وَقَدْ كَانَ يَا كُلَّ مَنْ جُوعَهُ
وَيَأْتِي الْخَلَاءَ اضْطِرَارًّا لِكِي
وَيَفْرَحُ طَوْرًا وَطَوْرًا يُرَى
وَتَدْعُو فَارِصٌ جَدًّا لَهُ
وَلَا يَدْخُلُ الرَّبُّ مَنْ جَاءَ مِنْ
وَمَنْ بَعْدَ هَذَا تَمُدُّونَهُ
وَمَا هُوَ إِلَّا كَأَمْثَالِهِ
كَأَنَّ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ
وَهَذَا الصَّوَابُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ
خُصُوصًا وَمَا زَادَ عَنْ غَيْرِهِ
فَإِنْ قَلَّمُوا امْتِازَ عَنْهُمْ بِمَا
مِنَ الْمَدْهَشَاتِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ
أَقْلَ مَا الَّذِي امْتِازَ عَنْهُمْ بِهِ
فَإِنْ كَانَ مِنْ أَجْلِ مِيلَادِهِ
وَحَوَائِهِ مِنْ غَيْرِ أُمَّ وَكَمْ
وَمَلِكِي صَدُوقٍ بِلَا أَوَّلِ

وَصَيَّرَهَا فَوْقَهُ كَالْخَضَابِ
وَيُطْمِنُ فِي جَنْبِهِ بِالْحَرَابِ
عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْمِ شَيْخٌ وَشَابٌ
هَنَاءٌ مَسِيرٌ لَهُ قَدْ أَصَابَ
وَيَشْرَبُ مِنْ ظَمَأٍ وَالتَّهَابِ
يَزِيلُ بَقَايَا الْغُذَا وَالشَّرَابِ
حُزَيْنٌ فَوَادٍ كَثِيرٌ اتِّخَابِ
وَنُطْفَتُهُ مِنْ زَنَى وَارْتِكَابِ
زَنَى فِي جَمَاعَتِهِ لِلشَّوَابِ
إِلَهًا وَلَمْ تَسْتَحُوا مِنْ عِتَابِ
مَنْ أَخْلَقَ عَبْدًا لِحَرْبِ السَّحَابِ
بَنَصٍّ صَرِيحٍ أَتَى فِي الْكِتَابِ
صَوَابًا فَإِنْ يَكُونُ الصَّوَابُ
مِنَ النَّاسِ مَا يُوْجِبُ الْارْتِيَابِ
تَوَاتُرٌ مِمَّا رَوَتْهُ الصَّحَابِ
لَأَمْثَالِهِ مِنْ أَوَّلَى الْاقْتِرَابِ
وَفِي أَمْرِهِ أَوْجِبُ الْاضْطِرَابِ
فَأَدَمُ مِنْ غَيْرِ أُمَّ وَأَبِ
رَأَيْنَا مِنَ الطِّينِ خَلْقَ الدَّوَابِ
وَلَا آخِرَ وَبَغْيِ انْتِسَابِ

وإن كان من أجل إحيائه
 فقد كان حزيناً يحى الألوف
 وإن كان من أجل ما نال من
 فأيلياً قد نال ما ناله
 وإن كان من أجل إبرائه
 فقد كان هذا بأذن الإله
 كما هو في كتبكم مثبت
 وصدق النبيين آياتهم
 أآلهة هم كما أنه
 أقول عبيد كما أنه
 ولو كان رباً كما تزعمون
 ومن كان يدعو من فضله
 وذلك لما رأى قومه
 وأيقن من بغيرهم أنهم
 ومن ذا الذي رد روحاً له
 ومن كان من بعده حافظاً
 أرباً سواه بتدبيره
 وهل صلبه كان عن زلة
 وهل أحسن القوم في صلبه
 من النار حيث استقروا بها
 لميت رميم ثوى في التراب
 وإيلياً نادى لميت أجاب
 صمود إلى ما وراء السحاب
 من الارتقاء لذاك الرحاب
 عليلاً وتطهير جسم مصاب
 وما هو من نفس ذاك الحجاب
 وما هو مما غدا في انقلاب
 وكم من نبي أتى بالعجاب
 إله وإلا بماذا يجاب
 لمولاه عبد بغير ارتياب
 فمن كان يرجو لكشف العذاب
 ليصرف عنه الخطوب الصعاب
 يريدون إيقاعه في التباب
 لا إعدام حضرته في ارتقاب
 وقد فارقت جسمه بالذهاب
 نظام الوجود لوقت الإياب
 تكفل أم فاته للخراب
 وإلا علام استحق المقاب
 لتخليص أشياخكم والشباب
 زماناً طويلاً يرون المذاب

وإلا أسأوا بجلب الخلاص
 فإن قلمو إنهم أحسنوا
 أقل فعلاً مَ تمادونهم
 وإن قلمو إنهم أجروا
 أقل كيف هذا ولولاه ما
 وهل رضي الصاب أم مكره
 فإن قلمو صلبه عن رضى
 وأعني به آدم الفضل من
 وسامحه الله من فضله
 فأنتم كذبتهم على وبكم
 فقد كان يهرب من صلبه
 ويدعو أجرنى إله السما
 وإيلي إيلي نادى بها
 إذا كان يمكن يا خالقي
 فهذا دليل على أنه
 وهذا دليل على أنكم
 خصوصاً وأمثال توراتكم
 وإن قلمو الصاب قهراً جرى
 بتعليقه فوق عود الصليب
 كما هو نص أناجيلكم
 لكم أن هذا شيء عجاب
 ولم يفعلوا غير عين الصواب
 ومن يصنع الخير يجزأ الثواب
 بصلب الإله وبش المصاب
 تخلصتمو من وخيم المآب
 عليه فما هو فصل الخطاب
 لتكفير ذنب امرئ منه تاب
 لمولاه مما جنى قد أناب
 وإذا بعد توفيقه للمتاب
 لما صحح من فعله في الكتاب
 ويعروه حزن لذا واكتئاب
 بفضلك من ذى الامور الصعاب
 لم اليوم تتركني للعذاب
 خلاصي فافعله يا خير آب
 عبيد وإكفنه ذوا اقتراب
 كذبتهم وقلم خلاف الصواب
 تقول المسيء فدا من اناب
 فياعجز رب قوى الجناب
 لقد جاءه اللعن من كل باب
 وتوراتكم فلتكفوا العتاب

ولا تجعلوني عدواً لكم
فيا أسفاه علي ما به
ويا خجلته لمن باعه
ويا شقوته لمن قد غدا
وكان الشقي به يهتدي
ويا حسرتاه علي صلبه
ويا حزنه علي موته
ويا عجباه لهذا الإله
وفيه انحطاط لمقداره
أما كان يمكنه دفعه
وإلا فهذا من المضحكا
كقصه إبليس مع ربكم
فقد كان يأمره فوقه
وكان يرغبه بالمطام
أربُّ ويأمره عبده
وربُّ يصارع عبداً له
وهذا قبيح ولا يرتضي
وربُّ علي خلقه آدم
ويجهل أين المكان الذي
وربُّ ويقصد من جوعه

إذا أنا قلت بنير الكتاب
أصيب وما زلة قد أصاب
وكان له من أعز الصحاب
له منكرأ بمد طول اصطحاب
لدى قومه إن غدوا في اضطراب
بصحبة لصين كل معاب
مهاناً وفي حاجة للشراب
علام رضاه بهذا المصاب
وقل عظيم له قد أعاب
أم الذلُّ كان له يستطاب
ت التي سطرت عندكم في الكتاب
علي الجبل المرتقى للسحاب
له بالسجود وبالاقتراب
لملك أراه إذا ما أجاب
بطاعته إن هذا عجاب
بليل ولا يستحي أن يعاب
به غير وغد بصرع مصاب
يرى نادماً وحليف الكتاب
له كان فيه اختفا واحتجاب
شجيرة تين وبئس الذهب

ولما بها لم يجد ما اشتى
وبنينا لها قال لا تشري
كما أحرم الناس أثمارها
أما كان خيراً له لو دعا
لشمر في الحال أزهارها
وربُّ يقول أنا لم أجيء
ولكنني جئت من أجل أن
وربُّ يسبح بأفماله
كما عَقَّ أُمًّا له عند ما
فأعرض عنها ولم يلتفت
فبالله بالله يا قومه
أهذا يليق خصوصاً ومن
وهذا يكون الهاء كما
وان قيل قوم بهذا أثوا
فان قلتمو هكذا ينبغي
أقل ما تقولون في ربكم
أجيبوا سؤالي ولا نهملوا
ولكن على شرط أن تسلكوا
والا اذا لم تجيبوا ولن
فقولوا معي ربنا واحد

عليها دعا إذ بها الظن خاب
وأحرمها طرحها المستطاب
ومنها لهم كان خيراً اكتساب
لها لا عليها بما يستجاب
فيأكل من طرحها ما استطاب
لا لتي سلاماً يزيل اضطراب
أفرق بين أولي الاقتساب
عقوق الذراري لأم وآب
دعته وكان بجمع الصحاب
إليها ودعوتها ما أجاب
بامتكم وبما في الكتاب
إله وهذا لشر ارتكاب
زعمتم والا فكيف الجواب
أما يستحقون قطع الرقاب
وهذا قليل لهم في العقاب
أراضون عن فعله أم غضاب
فان السكوت عليكم يعاب
طريق السكوال وترك السباب
تجيبوا وان شاب رأس الغراب
له الخلق والأمر دون اوتياب

إله قديم بلا أول
 عليم مرید وذو قدرة
 وبالنفس لا بالسوى قائم
 غني عن الخلق سبحانه
 وليس له من شبيه ولا
 وعن ان تراه عيون الوری
 وما كان من بعد أن لم يكن
 فهذا الإله الذي قد علا
 وهذا الذي ينبغي منكمو
 وأما الذي مات قهراً على
 فليس إلهاً وأكبه
 فلا تمبدوه وعن دينه
 وها قد نصحت وما أرتجى
 وموتى على دين خير الوری
 محمد المصطفى من علا
 ومن جاءنا بالكتاب الذي
 ولم يأت به باطل بل ولم
 ومن كتب الله قد بشرت
 كتوراة موسى وإنجيل عيسى
 وما هي غير التي عندهم
 وبقا اليه يكون المآب
 بها لملاه تذلل الصواب
 وحي محال عليه التباب
 وكل لإحسانه في ارتقاب
 له من مثل بوجه اقتراب
 تنزه اذ ذاته في احتجاب
 وليس له للمباد انتساب
 علاه عن النقص من كل باب
 له تنثنى بالخضوع الرقاب
 صليب مهاناً وباللعن آب
 كما مر عبد ضعيف الجناح
 فقولوا وكونوا له في اجتناب
 بنصحي لكم غير حسن الثواب
 شفيع الخلائق يوم الحساب
 على المرسلين اولي الاقتراب
 أبان طريق الهدى والصواب
 ندنسه ككأبه بالمعاب
 ببعثه في صريح الخطاب
 وزبور داود من قد اناب
 وإن مسها منكمو الانقلاب

فَأَنتم به من رسول كريم
له معجزات كمد الحصى
وما هي إلا كشمس الضحى
ولو لم يكن غير قرآنه
لكان لإعجازه كافياً
فهذا الرسول الذي جاءنا
به يوم حشر الورى يرتجى
فيافوز قوم به آمنوا
ويا تمس من لم به يؤمنوا
ويا ليت من أنكروا فضله
وقالوا رضينا ديناً لنا
ليحظوا بجنات عدن ولا
ولكن إذا الله أعمى أمراً
ولا يرتضى بالهدى إن بدا
وهذا لإنفاذ ما ربه
وإني أقول لكم ناصحاً
ألا تاركوا غيكم واهتدوا
وقولوا رضينا به واطهروا
فان تقبلوه فذا مقصدي
وإلا فأنتم على دينكم

نبي عظيم رفيع الجنب
وعد الرمال وقطر السحاب
إذا ما تبدت بغير احتجاب
دليلاً على صدقه المستطاب
لمن يطلب الحق من خير باب
بدين قويم به الشرك غاب
حصول الخلاص ورفع المذاب
وفيه استقاموا فنالوا الثواب
ويا ويلهم من شديد العقاب
غدوا عن تعصبهم فى اجتناب
ولا ترتضى لسواه انتساب
يكون لهم فى الجحيم إنكباب
عن الحق لا يهتدى للصواب
له بل يرى الرشيد فيما يعاب
قضاه له من أليم المذاب
باخلاص قصد عسى أن أثاب
بدين الرسول لباب اللباب
إذا باعتناق له واصطحاب
وفيه سرورى ولي يستطاب
وقد بان ما كان خلف الحجاب

ولقد نادى هذا السؤال العجيب . المفهم بباهر براهينه علماء عباد
 الصليب . بالويل على سفهاء المبشرين الذين هتكوا حرمة الاديان السماوية
 ودنسوا طهارة الدين المسيحي بفضائح أعمالهم . وقبائح اقوالهم . ووجه إليهم
 زاجر وعيد تهديد معنى قوله تعالى (وقفوهم إنهم مسئولون مالكم لا تنصرون
 بل هم اليوم مستسلمون) فكان حالهم معه كحال القوم المشار إليهم بقوله
 جل شأنه (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا ياويلنا إنا كنا طاعينين)
 وكما اجتمعوا واجتمعوا وهموا واهتموا وحاروا ثم تمازوا وتأملوا فيه وتعلموا
 وهاجوا وماجوا حتى طاشت منهم الالباب . وسدت عليهم الى الصواب
 الطرق والابواب . فما أحسنوا الجواب . ولا صغوا الى العتاب

وكادت من النغيظ الشديد قلوبهم * لرؤيته لولا الذهول تذوب
 ثم بعد بعيد من الزمن أصبح السفهاء منهم هاذين بقصيدة مطلعها
 ايا مسلمين اتاكم فتى قوي احتجاج سديد الجواب
 فلما تناولها ذلك الفاضل الغيور وقد كان على لهف وشديد تشوف إلى
 سماع الإجابة ظن ان في البيضة ديكاً وأنه عثر بضالته المنشودة فما جاوز
 البيت الثاني من تلك المنظومة المشؤومة على ناظميها إلا وقد تورط او حال
 تلك الشبه المضلة التي كان يزود أولئك العمي عن ظلماتها ثم رأى من
 خبائث السباب والطمع على الحضرة المحمدية ما به علم ان ذلك الناظم
 محروم من العقل والادب وأنه ما زاد حربه الا ضللاً . ولا أورث نفسه
 الا خبالاً ووبالاً . ولقد جاء فيها ببعض شبه ظن أنها تنفى من الحق شيئاً
 فما وسم الاستاذ المليجي لعلمه بأن في الناس من تخيل الباطل حقاً الا انه

رَدَّ عليها رداً جميلاً بقصيدة غراء ختمها بقوله
 وإني محق ولي دائماً بأني انادي ليوم المآب
 سؤالي عجيب وذو قوة ولا زلت اطلب عنه الجواب
 ولقد عجبت وعجب العقلاء . من اعمال أو تلك السفهاء . الذين خرجوا
 من ديارهم محارين للدين الإسلامي بالسنتهم وتمويهاتهم المضلة كيف
 فارقوا أوطانهم معجيين بأنفسهم على وهم انهم ألو الألباب وبصائر وأنهم
 هموا العلماء وأن لهم قوة على مقاومة ذلك الدين القويم فهل من العقل
 أن إنساناً أو أمة من الأمم أو طائفة من الطوائف كهذه الطائفة التي فقدت
 العقل والأدب تقوم لمقاومة أمة ملأت من المعمورة أغلبها ثم تزام
 العقلاء في أديانهم بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير بل بمجرد سفه
 وفضول وجدل غير محترم ولا معقول فلماذا إذا كانوا عقلاء لم يحسبوا المثل
 هذا السؤال حساباً ولم يمدوا له قبل أن يقفوا ذلك الموقف الخطر جواباً
 وكيف فتحوا الحوانيت ودعوا الناس إلى المحاورات والمناظرات وهو
 الجهلاء بما حوته كتبهم أفلا يعلم العقلاء من عجز هذه الطائفة المفتونة
 أنهم بين أمرين إما أن يكونوا جهلاء بما حوته كتبهم من الشبه التي
 وضعها سفهاؤهم الأقدمون وإما أن يكونوا مجمين على الضلال عالين به
 وإلا فما المانع لهم من دفع ما في هذا السؤال من الشبه بأجوبة صريحة
 تنفع المطالع وتذهب عنهم ما لحق بهم من الخزي والخجل إن كانوا ممن
 يُنجلهم الصدق إذا كذبوا ويرشدهم الحق إذا ضلوا ولكن القوم في
 ضلال بعيد وأخو الغواية لا يخزيه الضلال والعامل على الباطل لا يرده

إلى الحق صائبُ الأقوال

ولقد نشر ذلك الفاضل في أقطار الأرض إعلانات كانت أعدادها
مائة ألف أو يزيدون لكيلا يكون لأي طائفة من القوم احتجاج بعدم
بلوغ الدعوة ثم أعقب ذلك بكتاب سماه إعلام البعيد والقريب بمعجز من
ظن أنه رد على السؤال العجيب فأظهر فيه من العجب العجيب ما لوراءه
أي مسيحي شديد التمسك بما هم عليه من الضلال المهلك لكان من المسلمين
لأول نظرة ولقد أسلم وأعلن إسلامه ابتغاء مرضاة الله تعالى الفاضل الذي
سمى نفسه إبراهيم راغب المهدي وكان قصاً وأميناً لدير السريان بوادي
النظرون ثم تبعه الفاضل الذي سمي نفسه محمد الصادق المهدي الذي كان
قصاً وأميناً لدير البرموس بذلك الوادي وكان من أمرهما أن كلما أحد
الشعراء باعلان إسلامهما بمباراة شعرية على السنة الجرائد فجاء ذلك
الشاعر النبیه بنونية قال فيها على لسان كلا الفاضلين

الله اكرمني بدين محمد	خير النبيين العظيم الشأن
ومن التعمق في الضلال أقالني	وإلى الهراط المستقيم هداني
فله جزيل الشكر حيث امدني	برضاه بعد غوايتي وحباني
وله الجميل من المحامد اذهدي	قاي وأنقذني من الطغيان
وله الشناء على جميل تجملي	بهداية الإسلام والإيمان
سبحانه كشف الغطاء بفضله	عني وللدين القويم دعاني
وأزال عن قلبي بنور رشاده	ما كان فيه من ظلام الران
وأزاح عن إنسان عين بصيرتي	حجب الضلال ونزغة الشيطان

وإلى الوصول إليه أرشدني بما
وبخير أسماء النبي المصطفى
فقدوت في نادي النعيم وكنت في
وتحداً بهدايتي طـــــــايتي
وبما من الفوز العظيم منحة
وعليه فالمرجو من حضراتهم
وليذكرا بالخير أحمد من علي
فهو المليجي الذي أرجو له
وعليه اثني ماحيت وإن أمت

أبداه لي في محكم القرآن
إنسان أعين خلقه سمان
وادي الجحيم كسائر الأقران
ويرفض دين عبادة الصليبان
أعلنت إسلامي لدى الإخوان
مأعشت تهنتني بكل لسان
يده اعتنقت لأفضل الأديان
حسن الثواب بجنة الرضوان
فعلية تشني أعظمي وكفاني

وكم أسلم عتب ذلك السؤال من مسيحي سراً وعلانية عند الوقوف
على حقائق تلك الشبه التي عجز القوم عن الإجابة عنها فكأنما بعثه الله في
هذا الزمن نذيراً لاؤلك الضلال بين يدي خزي فاضح وخجل مهلك
لا لأنه نبي أو رسول ولكن لأنه محمدي صادق الإيمان قوي اليقين
ثابت العزيمة تقلد الحق وتأبط الصدق وتمطى الغيرة الدينية وتدرع بالحمية
الإسلامية وقام مدافعاً عن الدين وحائلاً بين قلوب المسلمين وبين نزغات
الشياطين . وإن له لقصيدة بل جملة قصائد منها ما هو مدون في كتابه
المسمى بأتحاف اللبيب بشواهد السؤال المجيب الذي ين فيه مواضع
استشاداته من كتبهم ومنها ما هو مدون في كتابه إعلام البعيد والقريب
الذي زين طراز حله الزاهرة بقوله

سؤالي عجيب أعجز القوم بعضه ولم يستطيعوا رده بجواب

وبالجملة فما كنا نظن أن الله سبحانه وتعالى يرسل على أعدائه وأعداء دينه القويم من افواه الرجال صواعق محرقة للقلوب القاسية والا كباد الفليضة ولا ان يصيبهم بسهام صائبة مسمومة من اكنة صدور ذوي الغيرة الدينية حتى أدهشتنا أعمال هذا البطل الهام الذي باع لله نفسه وماله وفاجأنا أقواله التي أخزت أهل الفضائح وأخجلت ذوي القبائح من أولئك السفهاء فنسأل الله أن يقوم به وبأمثاله أعرجاج هؤلاء الضلال وأن يذيقهم بألسنة أهل الصدق كوؤوس النكال

ولقد علمنا من قصيدته التي سماها بالمطالب المحالة على أهل الانصاف والعدالة انه ما زال يطالب بالجواب عن ذلك السؤال فأتينا بها كاملة ليطلع عليها العقلاء المطالبون بالحكم بين الفريقين الا وهي هذه

إليكم رجال العدل أملي وأكتب	وانصافكم في الحكم أرجو وأطلب
فلي قصة مع قوم عيسى عجيبة	وها أنا أديها لكي تتعجبوا
سألهمو عن بعض ما في كتابهم	سؤالا عجيبا ما لهم منه مهرب
وقلت لهم هل من جواب لديكمو	يكون سديداً بأشتباهي يذهب
فما استطاع منهم ذوا لسان إجابة	على بعضه إذ ذلك الامر يصعب
وما كان من أهل الدراية منهمو	لقوة ما فيه سوى أن تحجبوا
وأما ضمايف الراي منهم فانهم	تجاوزوا علينا بالسباب وأطنبوا
وأقبح من هذا تطاولهم على	نبي له كل الكمالات تنسب
ونسبهم إياه من حمقهم الى	قبائح ليست في كتاب فتطلب
وإني لا أدري علام سبابهم	له بل وما الداعي ولا ما المسبب

أمن أجل أمر قد أسأناهم به
والأفمن أجل السؤال الذي به
وذلك منذ طالبهم بإجابة
ولم يستطيعوا أن يجيبوا القوة
وأنني لهم أن ينقضوه وأنه
وقد قال بمض الأذكاء بشأنه
سؤال المليجي أحمد الفمل هادم
سؤال محال أن يجي بمثله
سؤال بلا ريب عجيب وأنه
سؤال عجيب ليس يعرف قدره
سؤال به البرهان أشرق نوره
سؤال به شمس الحقيقة أشرقت
سؤال دهي أهل الصليب ظهوره
وهذا لما فيه لنا من أدلة
واني بوجه الاختصار اعاجز
عن الحصر في سرد فضائله التي
كما أنني عن شكر ناظمه الذي
لمعترف بالمعجز مهما مدحته
جزاه إله العالمين بفضله
فهذا الذي فاه الخطيب به لدى

وذا لا مرفي شرع المدالة منضرب
أصيبوا وفي نيرانه قد تقلبوا
على ما به مما به قد تمذهبوا
حواها بوجه الحق والحق أغلب
عليهم كوقع السهم بل هو أصعب
على منبر الارشاد من مقام يخطب
لمفتريات المبطلين ومذهب
لنا غيره أو بالذي منه يقرب
لني بابه من خير ما عنه يكتب
سوى من لغير الحق لا يتطلب
كشمس الضحى لكنه ليس يغرب
على كل قلب في الهداية يرغب
وأورثهم عاراً له الذل يصحب
إذا ما أقنأها عليهم تلهبوا
مدى الدهر مهما قت في المدح أطرب
تجل عن التعداد حصراً وتعزب
له الفضل في انشائه ظل ينسب
مقرب تصيري وإن كنت أسهب
عن الدين خيراً ما تلاً لا كوكب
كثير وكل قال هذا مصوب

وكم مادح أنى عليه لكونه
ولولا من التطويل أخشى ملالة
ولكن كفى قول الخطيب الذي مضى
وإن كان هذا مذهباً لأولي النهى
وكيف ضعاف الرأي منهم سفامة
محمد الداعي إلى سبيل الهدى
على أننى ما جئت فيما نظمته
بشيء سوى ما في الكتاب رأيت
ومن كان في شك مريب ولم يكن
عليه (باللام البعيد) فانه
وفيه يرى الرد الذي قد أتى به
وينظر ايضاً فيه ردى لردم
ومن بعد أن يدري حقيقة ما انطوى
ويدرى بأنى لم أقبل سفها به
يكون بصدقي وأثما وبزيل ما
ويوقن أن القوم حمقى وثن ما
وأن ليس برضاه سواهم لكونهم
وانى لهذا قت أسألهم عسى
والا فكل عن تمسكه به
ويشقاق للدين الخفيف الذي به

سؤالا به للشرك قد زال غيب
لجئت بما قالوه فيه وأعربوا
لأن الذي أبداه للكل مذهب
فكيف أولو التثايلث عنه تجنبوا
يسبون من منه المكارم توعب
وأوسع رسل الله جاهاً وأرحب
لهم في سؤالي حينما كنت أكتب
له العقل من كل الوجوه يكذب
رآه وفي إثبات صدق يرغب
يراه به ان كان إياه يطلب
عليه ضعاف الراي منهم ويوجب
بأقوى دلائل للمجادل يرهب
عليه سؤالي من ممان تصوب
وأن اعتقاد القوم جهل مركب
عساه من الشك المريب ويذهب
يقولونه عند القول مريب
جميعاً به دون البرايا تذهبوا
يجيبوننى عنه بمسالا يعيب
يحيد ومن هول القيامة يرهب
أنا امام الأنبياء المقرب

محمد المختار أفضل مرسل
 ليحظى بجنات النعيم التي لنا
 والا فنيران الجحيم جزاؤه
 وحينئذ فيها ينادي بليتي
 وما كنت ممن خالفوه تمتا
 وبالي لست في الجحيم مقيلة
 ولكنها ليست بمنجية له
 وهذا اعتقادي والصواب اتباعه
 فبالله يا أهل العدالة هل أنا
 والا أنا فيه أعد بمخطيء
 فان كنت يا أهل العدالة مخطئاً
 وانقاد للحق الذي ترتضونه
 وان كان نولي للصواب موافقاً
 فقولوا لا وغاد النصارى بالسن
 ألا أيها الاوغاد هذا اعتقادنا
 ويا أيها الاوغاد من حيث أنه
 حقم عليكم أن تقولوا به ولا
 وإن كنتمو لم ترتضوه تمتاً
 إذ السب مذموم لدى كل عاقل
 ولكنه إظهار عجز وإنه

وأشرف خلق الله أصلاً رطيب
 أعدت وفيها ما نشاء ورغب
 ولا يد يصلها وفيها يذهب
 أحبب الميحي في الذي كان يطلب
 لدى ما دعاهم للمدى فتحنبوا
 لقائلها مذ في لظاها يقاب
 وقد كان للحق الميبن يكذب
 ومن قال لا فليبد ما هو أصوب
 مصيب وهل قولي لديكم صوب
 لديكم أجيوني لما أطلب
 ففي الحال عن قولي به أجنب
 لأن اتباع الحق للحر مذهب
 وكل له منكم يميل ويذهب
 حداد ولا تخشوا جهولا يؤنب
 وإنا لمولانا به نتقرب
 صواب وعند الأذكاء محب
 يصدنكم تقايد قوم تمصبوا
 بغير دليل فالسباب تجنبوا
 وليس جواباً للذي الحق يطلب
 لمار عظيم ضل من فيه يرغب

كما أنه عنوان كل وقاحة
بزجر وتوبيخ وصفع على التقا
وهذا قليل من كثير وإنما
وتالله هذا مذهب الحق والذي
وإنا أئنه لكم رافعة بكم
فان تقبلوه فأبشروا بخلاصكم
وأيضاً بجنات النعيم فأبشروا
وهذا لما فيها من النعم التي
وأعظمها في القدر وضوانه الذي
وكم لهذا الفاضل من قصائد أقامت على القوم قياة الإفتضاح . وأوقفهم
على جهلهم فأيقنوا أن لا نجاح من بعد ولا فلاح وقد اكتفينا منها بما سبق
وبهذه القصيدة التي هي أشد وقفاً من سهام المنون . المسماة بالجنون فنون
قوم عيسى قد تغالوا
حيث قالوا مذ اتاهم
ما أنا إلا عبيد
وإليه جئت أدعو
إنه للكون رب
واحد فرد قديم
ليس يحويه مكان
صمد يقصد فيما
ففيه جهلا وضلالا
أنت رب قال لالا
أعبد الله تعالي
كل من يبغي اتصلا
محسن يعطي النوالا
ذاته تآبي المثالا
عز شأنه وجلالا
هو صعب لن ينالا

فأعجبوا وأنبأوا وأطيموه امتثالاً
وأعلموا أني رسول جئت أوليكم كمالاً
وارييكم واجبات وحرماً وحلالاً
فأجابوه عناداً لم نصديق ذا المقال
إن يكن ما قلت حقاً وصحياً لا حلالاً
كيف من غير أب قد جئت يانوراً نلالاً
وهو أمر ما تأتي ولدي العقل استحالاً
وبه لم نلق شخصاً عاقلاً في الناس قلاً
قال ما هذا عجب ما يورث الفكر اشتغالاً
ما أنا إلا كجدي آدم في الخلق حالاً
لم أزد شيئاً عليه يكسب الأمر احتمالاً
بل هو الأعجب إذ لم يلق حملاً وفصالاً
وهو الأولى إذا ما رام شخص يتفالى
فقصوه ثم قالوا أنت رب لا جدالاً
فترك البرهان يا من وجهه فاف الهاللاً
انه لو كان مهماً كان لا يجدي انهمالاً
وأقصر القول ودعنا يا إلهاً ان يزالا
فأعجبوا يا قوم منهم زادهم ربي خبالاً



فلما ابتهج المسلمون بنصرة ذلك الأديب على أولئك السفهاء قاموا له
بواجب الشكر والثناء. وقدموا له من التقاريط والمدائح ما يضيّق المقام عن ذكره
وقد انتشر غالبها في كتبه المطبوعة على نفقته ولما استحسن حضرة الشاعر
الليبي الأستاذ الفاضل الشيخ مصطفى ابن أبي سيف الحماني ذكر قصيدته
اتى امتدح بها جنابه المهيب ودرجها ضمن هذا الكتاب أجبنا طلبه إعلانياً
لفضائل المادح والمدوح وهي هذه

إلى رب الجمال طفقت اشكوا	وأبدى ما بأحشائي توارى
وأعرب عن خفي الوجد لما	تلاقينا بمسربة نهـ سارا
فصل لي من الاستقام ثوبا	والبسنيه رغماً واضطاراً
وغازلني بلحظه ان تصدى	لصيد حُشاشة أبدى انكساراً
وفوق سهمه فأطاش لبيـ	وعند العتب قدم لي اعتذاراً
وقال أصبت لآعن سوء قصد	ألا هـلاً تمجأت الفراراً
وغادرني صريباً إذ تثنى	وكالبدر المنير سرى وساراً
فقلت كفيت مابي يا حبيبي	أرح قلبي ففبك الفكر حاراً
فهر عواطفاً وأرى ابتسماً	وقال إذا تولى الحسن جارا
ولما ان يئست من التذاني	وصدّ الظبي واختار الغفارا
أبنت له التجلد والتجاني	وللهجران أعددت اصطباراً
واشغلت القواد بمدح شهم	بسيف الحق قد فهم النصارى
واجهد نفسه فيهم جهاداً	بميدان الجدل فهل يجارى
وأنى والحقائق واضحات	وسهم الصدق يصرع من تنارى

فَأَنْ عَنهُ تَسَانِي قَلت مَهْلًا
 أُولَى الْخَانَوَاتِ حَانَوَاتِ التَّعَامِي
 أُولَى التَّبَشِيرِ بِالْخَزِي الْمَوَانِي
 أُولَى التَّمْوِيهِ وَالتَّدْلِيْسِ مِنْ هَمْ
 أَوْلَاكَ يَذْبُوْكَ عَنْهُ حَقًّا
 وَأَنْ هَمْ أَنْكَرُوهُ قَتْلَ عَجِيْبٍ
 فَكَيْفَ جَهَلْتُمُو الْمُنَاقِي إِلَيْكُمْ
 وَأَخْزَاكُمْ وَأَخْجَلَكُمْ حَيَاءَ
 أَلَمْ يَكْ أَحْمَدُ الشَّهْمِ الْمَالِيْجِي
 أَلَا لَا فَضْ فَوْهُ يَا رِفَاقِي
 بَهْرَتِ ذَوِي النُّهْيِ يَا بَنَ الْمَالِيْجِي
 وَ(بِالْإِعْلَامِ) أَطْلَمْتَ الْبَرَايَا
 فَنِيْظًا يَا أُولَى التَّبَشِيرِ مَوْتُوا
 وَشَكَرًا يَا بَنِي الْإِسْلَامِ قُولُوا
 وَمَنْ عَادُوهُ قَدْ بَاؤُوا بِخَزِي
 أَدَامَ اللَّهُ أَحْمَدَنَا الْمَالِيْجِي

أَلَا فَاسْأَلْ عَنِ الْقَمَرِ الْخِيَارِي
 أُولَى الْجَدَلِ الَّذِي لَمْ يَجَلْ عَادَا
 إِذَا لِلْقَبْرِ مِنْ غَرْوِهِ صَارَا
 لِشَيْطَانِ النُّرُورِ غَدَوَا أُسَارِي
 فَقَدْ عَرَفُوهُ فُخْرًا وَاتِّصَارَا
 أَرَى الْخَفَاشَ مَا جَهِلَ النَّهَارَا
 سَوَالًا مِنْهُ أَوْشَدُ كُمْ تَوَارِي
 وَنَجْمٌ مَسُودَكُمْ فِي النَّحْسِ غَارَا
 لَكُمْ خَصْمًا وَأَوْرَثَكُمْ دِمَارَا
 لِيَصْلِي أُمَّةٌ لِلْمُصْلُوبِ نَارَا
 بِتَوَجِيهِ (الْعَجِيْبِ) إِلَى النَّصَارِي
 بِأَنَّكَ ذُو لِسَانٍ لَا يَمَارِي
 فَتَبَشِيرِ الضَّلَالِ غَدَا فُشَارَا
 مُحَاسِنِ أَحْمَدِ كَلِمَتِ فُخَارَا
 كِفَايَةِ بَغْتِ جَهْلَا جَهَارَا
 وَلَا زَالِ الْكَمَالِ لَهُ دُثَارَا

لطيفة من لطائف صاحب السؤال (العجيب) لقد جمعت الصدفة بينه
 وبين بعض المبشرين في محفل عام وكان أهل ذلك النادي على كثرتهم
 سكوتًا كلهم كأنهم على تشوف لسماع المحاورات الجدلية بين ذلك الفاضل

ورين المبشر وأتباعه فكان من أمره أن قال سبحان من لم يتخذ صاحبة ولا ولداً
فما كنت بمبشر إلى بعض المبشرين إلى بعض واتخذوا تحرك الحواجب وتقلب
الأبصار رسلاً بينهم حتى استقر الرأي على أن يفتتح أبواب الجدل
أرشدهم فقال سبحان من جعل كلمته إنشأه وروحاً فكان هو هي وهي هو
فقال المليجي أو لم يتكلم الله سبحانه وتعالى غير كلمة واحدة وهل يتجدد
كلام من تنزهت صفاته عن الاتصال والانفصال قال المبشر أو ما قال
قرآنكم الحكيم (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) فقال المليجي وقال أيضاً
(فلاني آدم من ربه كلمات) فلي يترجح كلام الله فتكون كلمته التي ألقاها
إلى مريم ما هي من نوع كلمات آدم أم جهلكم بدقائق القرآن أجاكم إلى
إساءة الظن بالله إلى هذا الحد المهلك مع ما سمعتموه في القرآن من تكذيبكم
وشد الذمارة عليكم في مثل قوله تعالى (كبرت كلمة تخرج من أفواههم
إن يقولون إلا كذباً) وهل من عاقل له أدنى نصيب من الذوق يعترف
أن جبار السموات والأرض يكون له ولد ويصاب أرميهان هو بالسلب
إن كنتم تقولون انه هو الله نفجّل المبشر وهال الحاضرون وانصرف
القوم خاسرين

تم طبع هذا الكتاب بمهونة الله سبحانه وتعالى وتيسيره بمطبعة
الخواجه اندريا كوستايولا بجوار الاوبرا الخديوية بمصر
وسيتلوه كتاب المباحث الادبية الذي هو الآن تحت الطبع بالمطبعة
المذكورة فنرجوا الله جل شأنه وتقدست أسماؤه أن يمن علينا بقول كل

قول وعمل وأن يرزقنا الإخلاص وصلاح النية وأن يصرف عنا السنة
 الأشرار وإساءة الفجار الذين زين لهم الشيطان محاربة الدين والمندسين
 وأن يوجه إلى ما نقول قلوب أهل الإيمان محبة وقبولا واستحسانا حتى
 يباؤنونا على أحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقول والعمل وعلى
 نصرة لدين القويم عسى الله أن يكف عن الدين بأس المتفلسفين ورزقة
 المنعمرين والله أشد بأسا وأشد تنكيلا . (رب احكم بالحق وربنا الرحمن
 المستعان على ما تصفون) ربنا عليك توكلنا وإليك أنبتنا وإليك المصير
 اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك . اللهم إنا ندو بك في محورهم
 ونموذ بك من شرورهم والله غالب على أمره ولو شاء ربك لآمن من في
 الأرض كلهم جميعا ولكن حقت كلمة المذاب على الكافرين ربنا آمنا بما
 أنزلت واتبعنا لرسلنا فاكثبنا مع الشاهدين اللهم صلى على سيدنا محمد
 الفتح لما أغلق والخاتم لما سبق والناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك
 المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم

(وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

كل علم يخالف الدين جهل وأخو العقل من يخاف القيامة
 فأنشد الرشدا أهله وتجنب تابين الهوى رزقت السلامه

